

إِتْقَانُ الْإِكْرَامِ

بشرح كتاب الجامع في الأخلاق والآداب

« من مئثرغ المرام »

ح
عبد الجبار عبد العظيم الماجد، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح فوزان بن عبدالله

إتصاف التكرام بشرح كتاب الجامع في الأخلاق والآداب من

بلوغ المرام / صالح فوزان بن عبدالله الفوزان؛ عبد الجبار

عبد العظيم محمد الماجد - الرياض، ١٤٣٣ هـ

٣٣٤ ص، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك: ٩١٨٥-٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الحديث - أحكام ٢- الأخلاق الإسلامية

أ- الماجد، عبد الجبار عبد العظيم محمد (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٣٧.٣ ١٤٣٣/١١٧٦

رقم الإيداع: ١٤٣٣/١١٧٦

ردمك: ٩١٨٥-٠-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

قامت بطبعته وإخراجه دار قرطبية للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان ص.ب: ٥٠١٣ - فاكس: ٧٣٠١٥٩ / ٩٦١١

dar_kortoba@hotmail.com

إِتِّخَافُ الْكَلَامِ

بشرح كتاب الجامع في الأخلاق والآداب
« مِنْ بُلُوغِ الْمَرَامِ »

الشَّرحُ

لِلْمَقَالِ السَّيِّعِ الدُّكْتُورِ

صَاحِبِ بَنِ فَوْزَانَ بَعْدَ اللَّهِ الْفَوْزَانِ
عُضْوِ هَيْئَةِ كِبَرِ الْعُلَمَاءِ وَعُضْوِ الْأَجْنَدَةِ الدَّائِمَةِ لِلْإِسْلَامِ

مُصَنَّفِ وَإِعْدَادِ

عَبْدُ الْجَبَّارِ بَعْدَ الْعَظِيمِ مُحَمَّدٌ آلِ مَاجِدِ
عَفَرَ اللَّهُ ذِكْرَهُ وَلَوْلَا دِينُهُ وَطَمِيعُ السَّالِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤلف: ربيع: قد أذنت للشيخ: عبد الجبار عبد الغفار محمد
بطباعة شرح الأحاديث المتعلقة بالأخلاق
منه شرحي على كتاب بلوغ المرام
ورقة له

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسَنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].
أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ... وَبَعْدُ:

[فَإِنَّ الْمَتَأَمَّلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، الْمَتَدَبِّرَ لآيَاتِهِ، لَتَسْتَوْفِقَهُ تِلْكَ
التَّوْجِيهَاتِ السَّامِيَةِ، وَالْوَصَايَا الْجَلِيلَةَ الَّتِي تَخَاطَبُ النَّفْسَ، وَتَحْتَمِلُهَا عَلَى
التَّحَلِّيِّ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، لِكَيْ تَرْفَعَ مِنْ قَدَرِهَا، حَتَّى تَطْهَرَ وَتَرْكُوْ،
كَيْفَ لَا؟ وَأَصْلُ الرِّسَالَةِ يَوْجِزُهَا الرَّسُولُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ
مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣)، والحاكم (٦١٣/٢).

ويقول تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

قال السعدي رحمه الله في معنى ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: (أي يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتركيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتوadd، وغير ذلك من أنواع التزكية...) (١).

ولذا جاء القرآن بالحث على اكتساب ما يزين النفس من الأخلاق، معبراً عن ذلك بأساليب شتى، وبمواضع عديدة، لكي تشرب النفوس وتسعى لتحصيلها.

والأخلاق: جمع خُلُق، وهو هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُميت الهيئة: خُلُقاً حَسَناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر: خُلُقاً سيئاً، وقد يطلق الخُلُق ويراد به الدين.

قال الماوردي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: ٤]، فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أدب القرآن، قاله عطية، الثاني: دين الإسلام، قاله ابن عباس، الثالث: طبع كريم، وهو الظاهر (٢).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في كتابه تحفة أهل العلم والإيمان ص (٥٣): روى الإمام أحمد في المسند بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». اهـ. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رحمه الله برقم (٤٥).

(١) انظر: تفسير العلامة السعدي رحمه الله (١٤٧/١) طبعة دار السلام بالرياض.

(٢) انظر: تفسير الماوردي رحمه الله «النكت والعيون» (٦١/٦).

وإليك بعض أساليب القرآن في التعبير عن الأخلاق:

١ - الأمر الصريح بالتحلي بالأخلاق الحسنة: كالعفو، والأمر بالمعروف، والقول الحسن، والصبر، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاضُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٢ - النذب والحض على التحلي بالأخلاق الحميدة: كالنهي عن الامتناع عن الصدقة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢]، والصفح، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، والمسارة إلى فعل الخير، قال تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفِوا الْخَبِرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

٣ - ترتيب الثواب الجزيل لمن اتصف بها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَنَزِيدَنَّ فِي الْخَيْرِ﴾ [الشورى: ٤٣].

٤ - ذكرها في معرض بيان أحوال الكُمَّل من خلقه، وهم الرسل ﷺ، الذين هم موضع القدوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعِزُّوا بِأَكْفَالِكُمْ كُنْتُمْ لَكُمْ رُجُومًا﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

٥ - جعلها من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٢٣].

٦ - جعلها من السلوك الحسن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِسَجِيئَةٍ فَاِجْتَبَا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٧ - النهي عن الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا ضَلَالَةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

٨ - الوعيد لمن اتصف ببعض الأخلاق الذميمة: كالافتراء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [الزلزال: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، وإشاعة الأخبار الكاذبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ الْمُتَفِرِّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَعْنَتَكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠].

٩ - التنفير من الأخلاق الذميمة لكونها من صفات الكفار والمنافقين: كالافتراء والخداع والبهتان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

١٠ - سَوَّقَهَا عَلَى أَنَّهَا ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَارِ الطَّاعَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْرِبْ الْمَسْكُونَةَ إِلَى الْمَسْكُونَةِ تَهْنِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

تلك بعض الطرق التي تناولها القرآن الكريم للتأكيد على جانب الأخلاق، فحري بالمسلم أن يجتهد في بلوغ الغاية منها، فهي جماع خيرَي الدنيا والآخرة: «إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(١) [٢].

والرسول ﷺ هو أول من تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ الكريم وألزم نفسه بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ خُلُقُ الرَّسُولِ ﷺ الْقُرْآنَ.

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى هذا أنه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خُلُقًا له وسجيةً، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين»^(٣).

ولذا حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - واهتموا وتابعوهم اهتماماً كبيراً وتخلَّقوا بِأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، مستندين في ذلك إلى ما جاء في كتاب الله ﷻ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فهم قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق.

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم (٣٥٥٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حياته، برقم (٢٣٢١).

* وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٨/٨٠): «فيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه».

(٢) من كلمة لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في مجلة أهل القرآن عن «الأخلاق في القرآن الكريم» عدد ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ.

(٣) في تفسيره (٨٧/١٤).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أولئك أصحاب محمد ﷺ؛ كانوا أفضل الأمة: أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» ^(١).

لذلك عظم الله جلّ ثناؤه شأن الأخلاق من وجوه كثيرة، منها:
[* الخلق الحسن من أعظم روابط الإيمان وأعلى درجاته؛ لقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» ^(٢).

* الخلق الحسن من تخلّق به كان من أحبّ الناس إلى النبي ﷺ وأقربهم منهم مجلساً يوم القيامة: «إن من أحبّكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» ^(٣).

* الخلق الحسن يجعل المسلم من خيار الناس مطلقاً، ولا يكون كذلك إلا بالتخلّق بهذا الخلق العظيم، قال النبي ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً» ^(٤).

وقد أحسن الشاعر إذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا
* الخلق الحسن من أعظم القربات وأجلّ العطايا والهبات، ولهذا قال النبي ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق

(١) أخرجه أبو عمر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع، باب حق المرأة على زوجها، برقم (١١٦٢)، وأبو داود في كتاب السنّة، باب الدليل على زيادة الإيمان وتقضائه،

برقم (٤٦٨٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب معالي الأخلاق، برقم (٢٠١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم (٣٥٥٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ، برقم (٢٣٢١).

حسن. فإذا الله تَبَيَّنَ الفاحشَ النبي^(١).

* الخلق الحسن يدرك المسلم به درجة الصائم القائم. قال النبي ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»^(٢).

* انخلق الحسن خير من الدنيا وما فيها؛ ولهذا قال النبي لعبد الله بن عمرو: «أربع إذا كنَّ معك فما عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانة، وصدقُ حديث، وحسنُ خلقية، وعفة في طعمة»^(٣).

* يحصل بالخلق الحسن: جوامع الخيرات والبركات. قال النبي ﷺ: «البر حسن الخلق»^(٤).

* الخلق الحسن هو وصية رسول الله ﷺ إلى جميع المسلمين، فقد أوصى به ﷺ معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن والباء، وقاضياً، وداعياً إلى الله فقال له: «.. وخالق الناس بخلق حسن»^(٥).

* الخلق لحسن ذو أهمية بالغة، لأن الله ﷻ أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه به، وعظم شأنه الرسول الأمين ﷺ قال الله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ٤٩] وقال ﷻ: ﴿وَرَبَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القمم: ٤]، وقال النبي ﷺ: «إنما بُعِثْتُ لأَتِمُّمَ

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (٤٧٩٩)، وأبو داود في كتاب البر والصلة، باب يدا من جاء في حسن الخلق، رقم (٢٥٨٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩١١/٣).

(٢) أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩١١/٣).

(٣) رواه أحمد في مسند إسماعيل بن عبد الله (١٧٧/٢)، وأبو داود في صحيح الجامع الصغير للألباني (٣٠١/١)، رقم (٨٨٦).

(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والآداب، رقم (٢٥٥٣).
(٥) أئرمدي في كتاب البر والصلة، باب معاشره الناس، رقم (١٩٨٧)، وحسنه لأبي في صحيح مسر أئرمدي (٢ ١٩).

مكارم الأخلاق^(١).

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت: «.. فإن خلق نبيكم عليه السلام كان القرآن»^(٢).

* الخلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب الناس إلى الإسلام، والهداية، والاستقامة؛ لهذا من تتبع سيرة المصطفى عليه السلام وجد أنه كان بلازم الخلق الحسن في سائر أحواله وخاصه في دعوته إلى الله تعالى. فأقبل الناس ودخوا في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى، ثم بفضل حسن خلقه عليه السلام، فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم.

فهذا يُسم ويقول: «والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي»^(٣).

وذاك يقول: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً»^(٤).
تأثر بعفو النبي عليه السلام. ولم يتركه عليه السلام على تحجيره رحمة الله التي وسعت كل شيء، بل قال له: «لقد تحجرت واسعا».

والآخر يقول: «فبأي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه»^(٥).

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى بلفظه (١٩٢/١٠)، وأحمد (٣٨١/٢)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٦١٣/٢)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للأبني (١/١٥)، برقم (٤٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن سمع منه أو مرص، برقم (٧٤٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب المغاري، باب وفد بني حنيفة، برقم (٤٣٧٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحسه وجوز المن عليه، برقم (١٧٦٤).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة لئس وإسهام، برقم (٦٠١٠).

(٥) رواه مسلم في كتاب المسجد، باب تحريم الكلاء في الصلاة وسح ما كان من يرحه، برقم (٥٣٧).

والرابع يقول: «يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»^(١).

والخامس يقول: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ»^(٢).

والسادس يقول بعد عفو النبي ﷺ عنه: «جئتم من عند خير الناس»، ثم يدعو قومه للإسلام فأسلم منهم خلق كثير^(٣)، وهناك أمثلة كثيرة جداً.

* الخلق الحسن هو أمنية كل مسلم وكل داعية مخلص خاصة؛ لأنه بذئ ينجو ويفوز وينجح في جميع أموره الخاصة والعامة؛ ولهذه الأهمية كان ﷺ يدعو ربه أن يهديه للخلق الحسن، فكان ﷺ يقول في استفتاحه لصلاة الليل: «واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت»^(٤)، وكان يقول: «اللَّهُمَّ كما أحسنت خلقي فحسن خلقي»^(٥).

* الخلق الحسن يحبب المسلم إلى الناس جميعاً حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف صبقاتهم، وكل من جالسه

(١) رواه مسلم في كتاب الفصائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فط فقل: لا، وكثرة عطائه، رقم (٢٣١٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفصائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فط فقل: لا، وكثرة عطائه، رقم (٢٣١٣).

(٣) انظر، فتح اسرى (٦/٤٢٨).

(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧١).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٦/٣٦٤)، وأحمد (٦/٦٨)، وصححه الألباني في إرواء الغريب (١/١١٣)، رقم (٧٤).

أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك مصالبه السامية بإذن الله تعالى؛ لأن الدعاة إلى الله ﷺ لا يَسْعَوْنَ الناس بأموالهم ولكن ببسط ابوجه وحسن الخلق^(١).

* من لم يتخلق بالخلق أحسن من المسلمين ينقر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من علمه وحبرته؛ لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم، أو يبدو منه احتقارهم واستصغارهم، ولو كان ما يقوله حقاً. قال ﷺ للنبي الكريم ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَهُمْ وَأَنْتَ كُنْتَ قَطًّا غَدِطَ الْقَلْبَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران ١٥٩].

وقال ﷺ: ﴿وَلَحِصَّ جَنَاحُكَ لِمَنْ اتَّعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء).

وقال ﷺ ممتناً على عباده: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ (التوبة).

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران ١٦٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً يَتَعَمَّقُونَ﴾ (الأنبياء).

وقال ﷺ: ﴿تَحَمُّدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالْبِرُّ مَعَهُ أَشَدُّ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً يَبْهَتُ بِهَا نَفْسٌ﴾ (فتح ٢٩).

(١) روى إس أبي شيبه (٢١٢، ٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سعى الناس بأموالكم ليس بدينهم، فتكلموا بوجهي وحسن خلقي»، والزار ٢١ (٤٤٢)، وحسنه لأبي غيره في صحيح الترغيب والترهيب (٩، ٣).

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وداعياً إلى الله بدينه وسراجاً مضيئاً (٤٦) وسَّيِّرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْرَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَصْلاً كَبِيراً (٤٧) [الأحراب].

ولا شك أنه يتعين على كل داعية أن يتخذ من ﷺ قدوة وإماماً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) [الأحراب].

* إن صلاح الأمة وهدايتها والنهوض بها لا يكون سليماً نقياً إلا بالأخذ من المبعي الصافي، والبعيد عن الأفكار الهدامة المنحرفة، والتزام المسلمين بالخلق الحسن ودعوة الناس إليه هو من هذا المنبع، وتطبيق ذلك على أنفسهم قبل الدعوة إليه.

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٦) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٦) [الصف]: ولهذا أمر الله بالعلم قبل العمل، وبالعمل قبل الدعوة إليه، فقال تعالى: ﴿فَاعْتَمِرْ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقال: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَصِرٌ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالْعَصْرِ (٣) [العصر]، فقدّم العمل قبل الدعوة إلى الحق.

* الخلق الحسن يجعل المسبب مستنير القلب، ويفتح مداركه، فينصّر به مواطن الحق، ويهتدي به إلى الوسائل والأساليب لصحيحة في دعوة الناس لملائمة للظروف والأحوال، والأشخاص ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الآية [الأنعام: ٢٩].

* لخلق الحسن من أعظم الأسباب التي تُنجي من النار وتورث لفوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم، وهذا هو غاية كل مسلم بعد رضا الله ﷻ، ولهذا عندما سألت النبي ﷺ رجلاً فقال له: «ما تقبل في الإسلام؟» قال: أتشبه ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار. أم والله!

ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «حَوْلَهَا تُدْذِنُ»^(١)، وهذا يدلُّ على أن جميع الأقوال والدعوات والأعمال؛ إنما هي من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار بعد رضا الله ﷻ.

* تكفل النبي ﷺ ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه، فقال: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحِقًّا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٢).

* الخلق الحسن أكثر ما يدخل به الناس الجنة: فقد سُئِلَ النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»^(٣).

* اخلق الحسن من أسباب النجاة من النار: فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرَمُ عَلَى النَّارِ - أَوْ بِمَنْ تَحْرَمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ - عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ»^(٤).

* صاحب الخلق الحسن خير أمة محمد ﷺ؛ لقول النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(٥).

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، برقم (٧٩٢)، وأحمد (٣/ ٤٧٤)، وانظر: صحيح ابن ماجة (٢/ ٣٢٨).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم (٤٨٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩١١). وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٧٣).

(٣) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب حسن الخلق، برقم (٢٠٠٥)، وانظر جامع الأصول (١١/ ٦٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ١٩٤).

(٤) رواه الترمذي في كتاب صفة نفيضة والرفق وانورع عن رسول الله ﷺ، باب حدثنا هدد، برقم (٢٤٨٨)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٦٩٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦١١)، برقم (٩٣٨).

(٥) رواه الترمذي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فصل

* الخلق لحسن موضوع واسع جداً يشمل: الجلم والأنة، واجود والكرم، واعفو والصفح، والرفق واللين، والصبر والعزيمة، والثبات، والعدل والإنصاف، والصدق، والبر، والوفاء بالعهد، والإيثار، والرحمة، والعفة، والتواضع، والزهد، والكيس والنشاط، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، والإخلاص... وهذا هو الخلق الحسن في الدعوة إلى الله تعالى وما يتفرع منه.

* أم الخلق العظيم الذي مدح الله به النبي ﷺ فهو الدين كنه، والخلق لحسن جزء منه كم ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الفتاوى»^(١)، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين»^(٢): «خُس الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيم ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة»^(٣) [٢٠٣].

ولما كان لمكارم الأخلاق منزلة عظيمة، ودرجة سامية جليلة، ومقصداً أساسياً من مقاصد بعثة النبي الكريم ﷺ، لذا اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بهذا الجانب دراسة وبحثاً ودعوة وتأليفاً.

أزواج السي ﷺ، برقم (٣٨٩٥)، وابن ماجه عن ابن عباس ؓ في كتاب النكاح، باب خُس عشرة النساء، برقم (١٩٧٧)، وصححه الألباني في سلسلة لأحاديث الصحيحة (١/٥١٣)، ورواه ليهقي عن أبي هريرة ؓ في شعب الإيمان (٦/٤١٥)، بلفظ: «خيركم خيركم لنسائه وبناته»، واحاكم عن ابن عباس ؓ (٤/١٧٣)، بلفظ: «خيركم خيركم للنساء»، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن عساكر عن عبي ؓ (١٣/٣١٢)، بلفظ: «خيركم خيركم لأهله، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»، وضعف الألباني هذه الزيادة في ضعيف الجامع (ص ٢٤٣)، برقم (٢٩١٧).

- (١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٦٥٨). (٢) مدارج سالكين (٢/٣٠٨).
(٣) استعمده من كتاب «الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة»، لفصيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعيد بن وهف القحطاني حفظه الله.

ومن هؤلاء الفضلاء والأئمة النلاء الذين حفظ الله بهم الشريعة صاحب المعالي فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوران عضو هيئة العلماء وعضو المجنة الدائمة للإفتاء - يحفظه الله الذي ألف كتاباً كبيراً سماه: «تسهيل الإمام بفقه الأحاديث من بلوغ المرام»، وهو كتاب نفيس لا يستغني عنه طلاب العلم ولا يشبع منه العلماء، وقد طبع مراراً بإخراج وإشراف فضيله الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان وفقه الله وبارك جهوده.

فاطلعت على درر نفيسة، وتوجيهات رصينة، وفوائد جمة في هذا الكتاب، فألفيته شرحاً قيماً نافعاً مفيداً لإخواني من طلاب العلم لم حواه من ناصيل بديع، فاستحنت بالله سبحانه ورأيت أن أفرد شرح فضيلته - حفظه الله - للأحاديث التي تتعلق بالأخلاق والآداب وسميته: «إتحاف الكرام بشرح أحاديث الجامع في الأخلاق والآداب من بلوغ المرام» ليعم النفع به بإذن الله ﷻ.

وأسأله سبحانه أن يحزي معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوران خير الحزاء، وأن يمتعه بالصحة والعافية ويبارك له في عمره وعلمه وعمله.

كما أسأله جل ثناؤه أن يجعل هذا العمل حالصاً لوجهه الكريم مقرباً إليه مباركاً نافعاً لعباده، إن ربي سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

الفقير إلى عفو ربه ورحمته

عبد الجبار بن عبد العظيم بن محمد آل ماجد

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

Email: a.j.majid@hotmail.com

ترجمة المصنف

معالي الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان^(١)

اسمه ، ونسبه ، ونسبته :

صالح بن فوز بن عبد الله آل فوزان . من أهل الشماسية ، من قبيلة الدواسر .

مولده ونشأته زماناً ومكاناً :

ولد الشيخ - حفظه الله تعالى - عام (١٣٥٤هـ) في مدينة الشماسية في منطقة القصيم ، في المملكة العربية السعودية . وتوفي والده وهو صغير ، فتربى في أسرته .

وتعلّم القرآن الكريم ، ومبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ حمود بن سيمان التلال - رحمه الله تعالى - ، وهو إمام مسجد البلدة ، وكان قارئاً متقناً ، وتولى القضاء في بلدة ضرية في منطقة القصيم .

وقد درس الشيخ الدراسة الأولية (الابتدائية) في بلده بمدرسة الحكومة حين افتتاحها في الشماسية ، عام (١٣٦٩هـ) . ثم أكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام (١٣٧١هـ) .

ثم التحق الشيخ بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحها ، عام (١٣٧٣هـ) ، وتخرّج منه عام (١٣٧٧هـ) .

(١) انظر مقدمة كتاب معاليه حفظه الله : «شرح المنظومة الحاثية في عقيدة أهل السنة والجماعة» ، اعتنى به الأخ عادل الرفاعي وفقه له ص (٩) .

ثم التحق بكلية الشريعة في الرياض، وتخرج منها عام (١٣٨١هـ).

ثم نال شهادة الماجستير في الفقه، عام (١٣٩٧هـ) بأطروحته التي كانت بعنوان: «أهم المسائل الخلافية في المباحث الفرضية»، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، وقد طُبع الكتاب باسم: «التحقيقات المرضية في المباحث المرضية». وكان امشرف عليه شيخه الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله تعالى -.

ثم حصل على درجة الدكتوراه عام (١٣٩٩هـ) من نفس الكلية، في موضوع: «أحكام الأطعمة: حلالاً وحراماً، واستدلالات وترجيحاً». وقد طُبع باسم: «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية»

مشايخه:

- ١ - الشيخ عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن الخليلي (ت ١٣٨١هـ) - رحمه الله تعالى -.
- ٢ - الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، صاحب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (ت ١٣٩٣هـ) - رحمه الله تعالى -.
- ٣ - الشيخ العلامة المفتي والقاضي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن حميد (ت ١٤٠٢هـ)، وكان يحضر دروسه في جامع بريدة.
- ٤ - الشيخ صالح بن عبد الرحمن بن إبراهيم السكيتي (ت ١٤٠٤هـ) - رحمه الله تعالى -.
- ٥ - الشيخ صالح بن علي بن سليمان الناصر (ت ١٤٠٦هـ) - رحمه الله تعالى -.
- ٦ - الشيخ صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي (ت ١٤١٠هـ) - رحمه الله تعالى -.

- ٧ - الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي (ت ١٤١٥هـ) رحمه الله تعالى - .
- ٨ - الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن بار، مفتي الديار السعودية في وقته (ت ١٤٢٠هـ) - رحمه الله تعالى - .
- ٩ - الشيخ حمود لعقلا (ت ١٤٢٢هـ) - رحمه الله تعالى - .
- ١٠ - الشيخ إبراهيم بن عبد بن عبد لمحسن (ت ١٤٢٦هـ) - رحمه الله تعالى - .

كما تتلمذ الشيخ وأخذ العلم على عدد من شيوخ الأزهر الوافدين للتدريس في كلية الشريعة في جامعة الإمام.

تلامذته:

تلقى عنه العلم جماعة من أنبل وأشهر العلماء وطلاب العلم في العصر الحاضر، منهم أساتذة في الجامعات وقضاة وأئمة مساجد منتشرون هنا وهناك لنشر العلم والدعوة إلى الله تعالى .

مكائنه العلمية والاجتماعية:

- عمل مدرّساً في مدرسة مدته الشماسية.
- ثم مدرّساً في المعهد العلمي ببريدة.
- ثم مدرّساً في كلية الشريعة بالرياض.
- ثم مدرّساً في كلية أصول الدين.
- ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء وأستاذ فيه.
- ثم عضواً في اللجنة الدائمة العلمية والإفتاء. وعضواً في هيئة كبار العلماء، وما يزال في المنصبين.

وشارك في العديد من مؤتمرات: رابطة الشباب المسلم العربي، والشباب الإسلامي في عرب إفريقيا، والدعوة الإسلامية. ورسالة

المسجد، وعُيِّنَ عضواً في لجنة الإشراف على توجيه الدعاة في الحج، ولجنة مراجعة مؤلفات مقرر العقيدة للثانوي المطور، إضافة إلى مشاركاته المتعددة في الصحف والإداعة والمحاضرات العامة.

مؤلفاته وآثاره العلمية:

- كتاب «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد»، مجلد.
- كتاب «الملخص لفقهي»، مجلدان.
- كتاب «الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام».
- كتاب «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية»، مجلد، (وهو رسالة الدكتوراه).
- كتاب «انحقيقات المرضية في المباحث الفرضية»، مجلد، (وهو رسالة الماجستير).
- كتاب «الإرشاد إلى توضيح مسائل الزاد»، حاشية على زاد المستقنع.
- كتاب «إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان».
- كتاب «الاجتهاد».
- كتاب «بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل».
- كتاب «بيان ما يفعله الحاج والمعتمر وتسهات على أخطاء يرنكها بعض الحجج».
- كتاب «البيان فيما أخطأ فيه بعض الكتّاب».
- كتاب «تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهباً».
- كتاب «التعقيب على ما ذكره الخطيب» في حق الشيخ محمد بن عبد الوهب.

- كتاب «التعليق المختصر المفيد على كتاب التوحيد».
- كتاب «تنبيهات على أحكام تخص المؤمنين».
- كتاب «التوحيد»، ويقع في جرتين، وهو مقرر في مرحلة الثانية
بوزارة التربية والتعليم في لممكة.
- كتاب «رد أوهام أبو زهرة في حق شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ
الإسلام محمد بن عبد الوهاب»
- كتاب «رسائل في مواضيع مختلفة».
- كتاب «الرد على الشيخ السيبي في تعقيبه على فتوى شيخنا
عبد العزيز بن بر».
- كتاب «لذكاة الشرعية وأحكامها وحكم تناول الميتة».
- كتاب «لذكاة اشعرية وحكم المحوم المستوردة»
- كتاب «لشباب دوره ومشكلاته».
- كتاب «شرح العقيدة الواسطية».
- كتاب «إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد»، للشيخ محمد بن
عبد الوهاب، مجلدان.
- كتاب «لضيء اللامع من لأحداث لقدسنيه احوامع».
- كتاب «فتاوى ومقالات»، نشرت في مجلة الدعوة.
- كتاب «لفرق بين البيع والربا في الشريعة الإسلامية».
- كتاب «لفقه الأكر».
- كتاب «الحطاب المنبرية في المساسبات العصرية»، في ثمانية
مجلدات.
- كتاب «كيفية تغسيل الميت وتكفينه».
- كتاب «محة عن الفرق الضالة»

- كتاب «محموع فتاوى في العقيدة والفقه»، مفرغة من البرنامج الإذاعي في إذاعة القرآن الكريم «نور على الدرب»، وقد أنجز منه أربعة أجزاء.

- كتاب «مجموعة رسائل وفتاوى»، (مشارك).

- كتاب «مختصر أحكام الجنائز».

- كتاب «محاضرات في العقيدة والدعوة»، (صدر منه ٥ مجلدات).

- كتاب «معنى (لا إله إلا الله) ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع».

- كتاب «من مشاهير مجددین في الإسلام».

- كتاب «المنقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان».

- كتاب «الولاء والبراء في الإسلام»

ولشيخ - حفظه الله - العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب الأدب

المرادُ به: الأدب الشرعي، وهو ما يتعمق بمكارم الأخلاق^(١)، ومحاسن الأعمال، وهو ما ينبغي للإنسان أن يفعله، وما ينبغي له أن يتركه. وقد ألّف العلماء في الأدب الشرعي كتباً، منها (الأدب الشرعي) لابن مفلح، عدة مجلدات، ومنها (منظومة الأدب)، و(شرح المنظومة) وهو كتاب مشهور، وكان طلبة العلم يحفظون هذا النظم، ويقرأون شرحه في المساجد على المشايخ؛ لأن هذه الآداب مهمة جداً، وعلى الإنسان أن يلمّ بها ويعرفها حتى يتحلّق بها^(٢).

وألّف الإمام البخاري كتاب (الأدب المفرد)، وهو كتاب مستقل، ويذكرون كتاب الأدب ضمن مؤلفاتهم، مثل ما ذكر المصنف هنا، فهم يهتمون بالآداب الشرعية.

(١) قال الإمام النووي رحمه في شرحه لصحيح مسلم (٨/٨٠). «قال الحسن المصري حقيقة حسن اخلاق: بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه» وقال القاصي عياض رحمه: «وهو مخالطة الناس بالجميل والبشر والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم والحنم عنهم، والصبر عليهم في المكروه، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة العظلة والعصب والمؤاخذة».

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه: «وَدَبُ المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقوته وبواره، فما استجبت حير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب». مسارج السالكين، طبعة دار الكتب العلمية (٢/٤٠٧).

بيان حق المسلم على المسلم

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حقُّ المسلم على المسلم ميتٌ: إذا لقيتهُ فسلمْ عليه، وإذا دعاكَ فأجِبْهُ، وإذا استنصَحَكَ فانصَحْ لَهُ، وإذا عطَسَ فحمِدْ الله فشمِّتهُ، وإذا مَرَضَ فعُدَّهُ، وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ»^(١). رواه مسلم.

- الشَّيْخ -

هذا حديثٌ عظيم. فيه بيان حقِّ المسلم على المسلم. المسلمون لهم حقٌّ على بعضهم بحكم الإسلام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [نحرات ١٠]. أخوةٌ في الدين. تقتضي أن يكون المسلم مع أخيه لمسلم كأخ له في النسب بل أعظم. أخوة الإسلام أعظم من أخوة النسب. فالمسلم له على أخيه المسلم حقوقٌ ذكرَ النبي ﷺ منها ستاً في هذا الحديث الصحيح:

الأول: (إذا لقيتهُ فسلمْ عليه) أي: بقول السلام عليكم. وإن راد وقد نال السلام عليكم ورحمة الله فأحسن. وإن زد فقال. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فأحسن وأحسن. وبردٌ عليه أخوه بالمثل أو بزيده. قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ فَاَحْسِنُوا وَأَاحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [نساء ٨٦].

(١) رواه مسلم في كتاب السلام. باب من حق المسلم على المسلم رد السلام.

والبداة بالسلاَم سُنةٌ مؤكدة، وردُّ السلاَم واجب، قال ﷺ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ هذ واجب.

والتسليم من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، حتى ولو كان بينهم شيءٌ من الشحنة، أو غير ذلك مما ينزع الشيطان بينهم، فعلى المسلم أن يسلم على أخيه المسلم وإن كان بينه وبينه قطيعة، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلاَم، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «... يلتقيان فيعرضُ هذا ويُعرضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلاَم»^(١)، فسلم عليه ولو كان بينك وبينه سوءٌ تفهم، فهذا يذهب الحقد، ويزرع المودة في القلب، أما الإعراض وعدمُ السلاَم فهذا يزيد التهاجر والتباغض. فسلاَم فيه مصالح عظيمة، ومعناه: الدعاء.

السلاَم من أسماء الله ﷻ، فإذا قلت: السلاَم عليكم، أي: اسم الله عليك، وبركته عليك، وأن يسلمك الله من الآفات، فانه هو السالم والمسلم ﷻ، وقيل: السلاَم المراد به هنا: الدعاء له بالسلامة. يدعو له بالسلامة من الآفات، فله معنيان: أنه من أسماء الله، أو أنه دعاء بالسلامة

وعلى كل حال هو لفظٌ عظيم. ولا يقول مثل ما يقول النسر في هذه الأيام: بالخير أو كيف أصبحت، أو ما أشبه ذلك.

قال ﷺ: «أَفْشُوا السلاَمَ بَيْنَكُمْ»^(٢)، يقول: السلاَم عليكم، وإذا راد على ذلك، وقال: كيف حالك، كيف أصبحت؟ فهذه زيادةٌ حيرة، أما أنه يستعني بذلك عن السلاَم، فهذا نقصٌ فيما شرع الله ﷻ.

(١) رواه البخاري في كتب الأدب، باب الهجرة، رقم (٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب النور والصفة والأداب، رقم (٢٥٦٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب يد أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون....، رقم (٥٤) من حديث أبي هريرة.

(إذا لقيته فسلم عليه) وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا لقي أحدهم الآخر سلم عليه، فإذا افترقا أو حالت بينهما شجرة، أو جبل أو شيء، ثم تلاقيا، سلم بعضهم على بعض، من حرصهم على إفشاء السلام^(١).

الثاني: (إذا دعاك فأجبه) إذا دعاك أخوك لمسلم إلى وليمة، فأجبه، أو دعاك إلى أي شيء ليس فيه محذور، فأجبه، لما في ذلك من تطيب خاطره، إلا أن إجابة الدعوة لوليمة العرس واجبة، وأما إجابة الدعوة لغيرها فمستحبة.

الثالث: (وإذا استنصحك فأنصَحْ لَهُ) إذا استشارك في أي أمر من الأمور، زواج، أو سفر، أو شراء شيء، فإنك تذكر ما تعلم من النصيحة، ولا تكتُم النصيحة عنه، ولا تُجامل أو تغش، وتشير عليه بالضرر، هذه خيانة لأخي^(٢)، قال عليه السلام: «الدين النصيحة»، فلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٣)، فإذا طلب منك النصيحة، يعني استشارك في شيء مشكل عليه فبين له

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى ما أخرجه الإمام أبو داود في سننه، برقم (٥٢٠٠) في كتاب الأدب، باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه؟ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا لقي أحدكم أخاه فيسلم عليه»، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني رحمته الله الحديث، رقم (١٨٦)، وحديث أس رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمشون، فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة، فتصرفوا يميناً وشمالاً ثم التقوا من ورائها سلم بعضهم على بعض». أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٧٩٨٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم (٢٤٦)، وصحح العلامة الألباني بسنده في سلسلة الأحاديث، الصحيحة (١/٣٦٣).

(٢) كما روى أبو داود في سننه في كتاب العلم، باب التوقي في الغيب، برقم (٣٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشd في غيره فقد خانه».

(٣) رواه مسلم في كتب الإيمان، باب يدر أن الدين النصيحة، برقم (٥٥)

الصواب، في حدود ما تعرف ولا تكتمه شيئاً، وليس هذا من باب الغيبة، إذا استشارك في شخص يريد أن يشاركه، أو أن يزوجه، أو أن يسافر معه، فبين ما في هذا الشخص من خير وشر^(١).

الرابع: (وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمَّتْهُ) العطاس نعمة من الله ﷻ^(٢)؛ لأنه عبارة عن رد فعل ينشأ عن إثارة نهايات الأعصاب في الأغشية المخاطية في الأنف بسبب مواد عديدة، مثل الغبار والغازات والبكتريا وما شابه ذلك، فيندفع الهواء من الأنف، ويسمع له صوت، ونتيجة لذلك يتخلص من العارض الذي سبب العطاس، فإذا تخلص من هذا العارض خفّ مرضاً.

فألزم نوع من المرض، والمصاب بالزكام لا يُشَمَّتُ بل يُدْعَى له بالعافية، إذا عطس ثلاث مرات تشمته في الأولى والثانية والثالثة، وفي الرابعة تدعو له بالشفاء؛ لأنه مزكوم^(٣)، هذا هو التسميت، أو التسميت بالسين، ويقولون: أصله بالسين من الدعاء له بحسن السمّت، وانقلبت السين إلى شين، وقالوا: تسميت، ومعناه أن تقول له: برحمك الله، ولكن بشرط أن يحمّد الله، فإذا حمد العاطس الله،

(١) نظر. شرح رياض الصالحين للشبح العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (١٣٤/٦).

(٢) لله حل ثنؤه يحب العطاس، فعز أي هريره رحمه الله، عن النبي ﷺ: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سماعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فيرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان» رواه بخاري برقم (٦٢٢٣).

(٣) كما جاء في عمل اليوم والليل للإمام ابن لسي رحمه الله (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا يُشَمَّت بعد ذلك»، حسبه الأساي في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (١٣٣٠).

وقال: الحمد لله فإنك تشمتّه، وإن لم يحمد الله فلا تشمتّه^(١).

وما مناسبة حمد الله بعد العطاس؟ ذكرنا أن العطاس نعمة من الله ﷻ لخروج العارض الغريب الذي سبّب العطاس، فهذه نعمة من الله يُحمد الله عليها. فيقول: الحمد لله، فإذا قال: الحمد لله تشمتّه بقولك: يرحمك الله، ثم هو يردّ ويقول: يهديكم الله ويصحّ بلكم. ما أطيب هذه الكلمات، وما أحسنها (وإذا عطس فشمتّه).

الخامس: (وإذا مرض فعُدّه) إذا أصابه مرضٌ فعليك أن تعودّه لأجل التوسعة عليه، وتصيب خاطره، والدعاء له بالشفاء؛ لأن زيارة المريض لها تأثيرٌ عليه، لطيب النفس، وانسراح الصدر؛ ولأنه في مرض وفي ضيق، فإذا جاء أحوه نفس عنه بلا شك، وحفّف عنه المرض، ولا تفل له: أنت مريضٌ، أو المرض زائد عليك اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل تقول: ما شاء الله، اليوم أنت أحسن، ونحو ذلك. لا إذا رأيت علامات الموت عليه فإنت تذكره بالوصية، وبالشهادة، أما ما دام لم تظهر عليه علامات الموت فأنت توسّع له وتفسح له في الأجل؛ لأن هذا يطيب خاطره، ويستأنس به، فزيارة المريض لها أثر كبير.

(وإذا مرض فعُدّه) حتى الكافر لا مانع من زيارته رحاء إسلامه فيه يُزار، ويدعى إلى الله؛ لأنه الآن على فراش المرض، فهو بحاجة إلى التدكير، فإذا كان يُرجى إسلامه فإنه تُستحب زيارته؛ لأن النبي ﷺ زار

(١) كما جاء في صحيح مسلم، باب شمت العطس وكراهة التدثؤب، رقم (٢٤٩٢)، وفي مستند أحمد (٤/٤١٢) من حديث أبي موسى، لأشعري قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه) انظر كتاب حديث المساء لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ص (٣٤٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة بعلامة الأندلسي رحمه الله، الحديث رقم (٣٠٩٤)

غلاماً يهودياً كان يخدمه عليه الصلاة والسلام، زاره وهو يهودي، وعرض عليه الإسلام، قال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم عليه السلام، فأسلم فخرج النبي عليه السلام وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(١)، وزر عمه أبا طالب، وعرض عليه أن يشهد أن لا إله إلا الله، وقال: «يا عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»^(٢)، لكن كان عنده من الجلساء السيئيين الذين قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب، كرر عليه الرسول عليه السلام أن يشهد أن لا إله إلا الله، فكرروا عليه أن يبقى على ملة عبد المطلب، فأطاعهم، وقال: هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك. الشاهد من هذا أنه تستحب زيارة المريض حتى ولو كان كافراً رجاء إسلامه، لأنه في هذه لحالة قرب إلى الإحابة، لما أصابه من المرض وقرب الموت.

السادس: (وإذا مات فاتبع جنازته) اتباع جنازة الميت المسلم وتشييعه واصلاة عليه، وحضور دفنه، هذا من حق المسلم على المسلم؛ لأنك إذا صليت عليه ودعوت له، ومشيت مع جنازته، وحضرت دفنه، ودعوت له بعد الدفن، واستغفرت له بعد الدفن، وقمت على قبره، كل هذا ينفع أحاك المسلم، (ومن صلى على الجنازة فله قيراط من الأجر،

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه وهو يعرض على الصبي الإسلام؛ برقم (١٣٥٦)، وأحمد في مسنده (١٧٥، ٣) بسط «أن غلاماً يهودياً كان يصنع لنبي عليه السلام وضوءه ونسوله معه، فمرص فثاه لنبي عليه السلام فدخل عليه وأبوه قد عد عند رأسه فقال له النبي عليه السلام: «يا فلان اقل لا إله إلا الله» فصر يبي أبيه فسكت أبوه، فأعد عليه النبي عليه السلام، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه، أطع أب القاسم. فقال لعمام. أشهد أن لا إله إلا الله وأست رسول الله، فخرج النبي عليه السلام وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، برقم (٣٨٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أو الإيمان قول لا إله إلا الله، برقم (٢٤).

ومن صلى عليها وتبعها حتى تُدفنَ فله قيراطان. والقيراط مثل جبلٍ عظيمٍ من الأجر^(١).

فهذه أمور ينبغي للمسلم أن يلتزم بها. وأن يداوم عليها مع إخوانه المسلمين أحياءً وأمواتاً. حتى الميت له عليك حقٌ بالصلاة عليه، والمشي مع جنازته. وحضور دفنه.

وتشييع الجنازة فيه أيضاً إحسان إلى أهل الجسارة. لأنهم يواسونهم. ويشاركونهم في أحزانهم. ويحثونهم على الصبر على مصائبهم. فتشييع الجنازة وحضور الدفن فيه إحسانٌ إلى أهل الميت، وإحسانٌ إلى الميت. ولكن الإحسان إلى الميت أكثر، فهذه حقوق بين المسلمين. هذه الستة تجب المحافظة عليها.

ودلّ هذا الحديث على أن المؤمنين إخوة. وموجب هذه الأخوة

(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، برقم (١٣٢٥)، ومسمّى في كتب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجسارة وتدعها، برقم (٩٤٥).

«وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله: «وهذا يبين لنا عظم شأن تباع الجسائر، وكثير منا يفرط في ذلك ولا يبالي، وهذه من المصائب ومن صعب الرعية فيما عند الله ﷻ، فالكثير من الجنائز لا يتبعها إلا اليسير النادر إلا إذا كان من أصحاب الإنسان أو من أقربيه فيشط، ولست ندعو إلى اساع الجنائز مطلقاً وإن كنت لا أعرفها، وإن كانت ليست من أقاربك، من باب جبر المصعب، ومن باب التأثير بالموت وحضور الدفن لعل القلب يتحرك ولعله يتبه.

فاتبع الجنائز فيه فوائد كبيرة، منها إظهار هذه الشمية، ومنها: حبر لمصابين ومواساتهم وتعزيهم، وحضور هذا المشهد العظيم الذي يحرك القلوب ويدعوها إلى الاستعداد، ثم مع هذا يحصل له الفضل العظيم بأد يرحح بقيراطين والقيراط مثل جبلٍ واحد، وهذا شيءٌ عظيم» انظر: «الفوائد العدمية من اندروس البارية» جمع الشيخ الدكتور عبد السلام السليمان حفظه الله (٤٤٠/٥ - ٤٤١)

هذه الأعمال الطيبة فيما بينهم، وهذا مما يزيل هذه الحزازات، وهذه البغضاء والشحناء بين المسلمين^(١).



(١) فائدة: قال الإمام موسى بن أحمد الحجاوي الحنبلي في شرح منظومة الآداب الشرعية - طبعة دار النوادر - عند شرحه لهذا الحديث ص (١٧٧):

فصل (مما للمسلم على المسلم أن يستر عورته، ويغفر زلّته، ويرحم عُثرته، ويتّين عُثرته، ويتقبل معذرتَه، ويرد غيبتَه، ويدّيم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّه، ويجيب دعوتَه، ويفضل هديّته، ويكفّي صلّه، ويشكر نعمته، ويحسن نصرتَه، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمّت عصيته، ويرد ضالّته، ويواليه ولا يعاديه، ويصصره على ظالمه، ويكفه عن ظلم غيره، ولا يسممه، ولا يخلّله، ويحبّ له ما يحبّ لنفسه) .هـ.

❖ وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في كتابه «حديث لساء» ص (٣٣٩) «هذا حديث جامع يدل على أنه لا يكمن الإيمان ولا يتم الإيمان حتى تحب لأحييت المسلم ما تحبه لنفسك من خير وصلاح، واستقامة، وعنى وعافية وغير هذا من وجوه الخير، ومنى وأحد في قلبك عنه حقد وما إلى ذلك من عيبة وسيمة وحيانة وغير ذلك صار ضعف في إيمانك ونقص في إيمانك».

انظروا إلى من هو أسفل منكم

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»^(١). متفق عليه.

الشرح

في هذا الحديث أدب آخر إضافة للآداب التي ذكرت في الحديث السابق، وهو أن الإنسان لا يرغب في هذه الدنيا، ولا يجزع بما أصابه، بل يصبر ويحتسب سواء كان فقيراً أو مريضاً أو غير ذلك، فالدنيا دار ابتلاء، فلا يجزع من المصائب ومن الابتلاء، والذي يسهل عليه ذلك ما أرشد إليه النبي ﷺ في هذا الحديث: (انظروا إلى من هو دونكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم).

فالفقير ينظر إلى من هو أفقر منه، ولا ينظر إلى الغني، ولو شاء الله لجعلك مثل هذا الفقير الذي ليس عنده شيء، أنت عندك بعض شيء، وعندك قوت يومك، وهذا الفقير ما عنده شيء، ليس عنده حتى قوت يومه، أنت أحسن منه حالاً، الحمد لله على هذا، ولا تنظر إلى الأغنياء؛ لأن هذا يحملك على السخط على الله وعدم الرضا بقضاء الله، تقول: لماذا صرت مثل فلان، ولم أكن مثل الأثرياء، هذا معناه أن

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ليظهر إلى من هو أسفل منه ولا يبطر إلى من هو فوقه، برقم (٦٤٩٠)، ومسلم في كتاب الرهد، برقم (٢٩٦٣) واللفظ له

تزدري ما عندك من النعمة، أما إذا نظرت إلى من تحتك، فهذا يبعثك على الشكر لأن حالت أحسن من حال كثير من الناس، الصحيح ينظر إلى المريض فيحمد الله على الصحة، والمريض ينظر إلى من هو أشد منه مرضاً، فيحمد الله على خفة المرض.

فهذه قاعدة عظيمة (انظروا إلى من هو دونكم) في المال، في الصحة، وفي غير ذلك من الأمور، إلا في أمور العبادة. ففي أمور العبادة لا تنظر إلى من هو دونك، لا تنظر إلى الكسالى والمضيّعين، بل انظر إلى الأبرار وإلى الأتقياء، لكي تشركهم أو تتشبه بهم، ففي أمور الدين لا تنظر إلى من هو دونك، بل انظر إلى من هو فوقك في الدين. لماذا لا تكون مثله؟ لماذا لا تقتدي بالصالحين؟ لماذا لا تقتدي بالعلماء وتطلب العلم؟

إذا كنت طالب علم فلا تقنع بما حصلت عليه من العلوم، بل اطلب المزيد منها ما دمت حياً، وهذا خلاف أمور الدنيا^(١).



(١) قال الإمام محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله في كتابه الأحلاق والسير، ص (٨٩).
"ينظر في سفل وأحسن وأصح إلى من هو أدنى، وينظر في الدين والعلم والفضائل إلى من هو فوقه".

ما جاء في تفسير البر والإثم

٣ - وعن النّوّاس بن سميّان رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(١). روه مسلم.

الْتَّبَاحُ

(النّوّاس بن سميّان) بكسر السين، ويجوز فتحها.

(الْبِرُّ). كلمة جامعة تجمع خصال الخير كلّها، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَدَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِمَآءِهِ وَلَكَانِبٍ وَأَتَيْنَكَ وَالْيَتِيمَ وَءَاتَى الْوَالِدَ عَن حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَلِئْتَمَنَ بِالْمَسْكِينِ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّابِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فالبر كلمة جامعة تجمع خصال الخير، ويقابلها الإثم. والإثم يجمع كلّ شر، وكلّ معصية فإنها إثم، فهما متقابلان البر والإثم.

وقوله ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»، أي: من أعظم خصال البر حسن الخُلُق، وليس المعنى أن البر محصور في حسن الخلق، ولكن حسن الخلق من أعظم خصال البر، كما قال ﷺ: «الْحَيُّ عَرَفَةُ»^(٢)، أي: أن

(١) روه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم (٢٥٥٣).

(٢) روه أبو داود في كتاب المناسك، باب من لم يترك عرفة، رقم (١٩٤٩).

الوقوف بعرفة هو أعظم مناسك الحج، وقال ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(١)، فليست العبادة محصورة في الدعاء، بل العبادة أنواع كثيرة، ولكن الدعاء أعظمها، فيحوز أن يعبر ببعض الشيء عن كله إذا كان هذا الشيء مهماً، وقوله ﷺ: «البر حسن الخلق» أي: أن حسن الخلق من أعظم خصائص البر، ومن أعظم أنواع البر، والخلق صفة يجعلها الله بالإنسان، قد تكون هذه الصفة حسنة فتسمى حسن الخلق، وقد تكون سيئة فتسمى سوء الخلق.

(حسن الخلق): يراد به البشاشة، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، وكل ما فيه إحسان إلى الناس فهو من حسن الخلق. وقد أثنى الله على نبيه ﷺ فقال: ﴿وَلَنِكَ لَعَلِّي خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فحسن الخلق صفة عظيمة يجعلها الله في بعض عباده منة منه ﷺ، وقد يكون حسن الخلق حيلة في الإنسان، جبهه الله عليها، وقد يكون مكتسباً بأن يعود نفسه التخلق بالأخلاق الحميدة.

فعلى كل حال حال حسن الخلق خصلة طيبة، وعبر عنه النبي ﷺ في هذا الحديث بأنه البر؛ لأن من رُزق حسن الخلق وفق للأعمال الصالحة والإحسان، فحسن الخلق خصلة جميلة طيبة تكسب الإنسان فعل الطاعات، بخلاف سوء الخلق - والعياذ بالله - فإنه يحرم الإنسان من كثير من الخير، ويقرر الناس عنه.

- وائتمذي في كتاب الحج. باب ما جاء فيمن أدرك الإمام جمع فقد أدرك الحج، برقم (٨٨٩)، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة، برقم (٣٠١٦)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر، برقم (٣٠١٥)، وأحمد في مسنده (٤، ٣٠٩).

(١) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم (١٤٧٩)، والترمذي في كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المؤمن، برقم (٣٢٤٧)، وابن ماجه في كتاب أبواب الدعاء، باب فضل الدعاء، برقم (٣٨٢٨)، وأحمد في مسنده (٤، ٢٦٦).

ثم قال: (والإثم) هذا مقابل البر «ما حاك في صدرك»، يعني تردّد في صدرك. ولم تطمئن إليه في أمر من الأمور. «وكرهت أن يطلع عليه الناس» هذا هو ضابط الإثم. فإذا رأيت في نفسك تردداً في شيء ولم تقبله نفسك. ولم ترتح إليه نفسك فاتركه. هذا يدل على أنه إثم. فالإثم استدلووا عليه بأمرين:

الأمر الأول. الأدلة الشرعية، ما دلت الأدلة على أنه حرام، فإنه إثم. لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف. ٣٣]. فالإثم كله حرام، ويُعرف هذا بالأدلة.

الأمر الثاني: فإذا خفيت الأدلة فراجع نفسك. إذا لم تجد دليلاً على أن هذا الشيء حرم وأنه ممنوع فرجع نفسك، فإن وجدت في نفسك طمأنينة في قبوله فاعلم أنه خير. وإذا وجدت في نفسك نفرة عنه. وعدم قبول له وعدم اطمئنان له، فهذا دليل على أنه شر؛ لأن نفس المؤمن لا ترتح إلى الشر، وإنما ترتح إلى الخير، فهي ميزان لما هو خير وما هو شر. وكون الإنسان يستحي من الناس أن يظهر بهذا الشيء يدل على أن هذا الشيء إثم؛ لأنه لو كان براً لما استحي من الناس^(١).



(١) قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم (٨، ١١٢) «قال العلماء: لير يكون بمعنى الصفة وبمعنى الصفة وبمعنى المطلق والمرة، وحسن اصطلاحه والعشرة وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الحق وبمعنى «حدث في صدرك» أي: تحرك فيه وتردد، ولم يشرح له الصدر. وحصل في القلب منه الشك والخوف كونه ذنباً»

من آداب المجالس والاجتماعات

٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخِرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»^(١). متفق عليه، واللفظ لمسلم.

- الشَّيْخ -

هذا الحديث من آداب المجالس والاجتماعات، فإذا كنوا ثلاثة نفرٍ فإنه يُسهي أن يتناجيا اثنان، والتجوى: هي حديث لسر، لأنهما إذا تجريا من دونه أحدث عده الشكوك، يخف أنهما يتحدثان فيه، وأيضاً إذ تحدثا من دونه فإن ذلك يُشعره بأنهما يحتقرا، ولا يريانه شيئاً، فيخفبان أمرهما عنه، ويتساران في حديثهما دونه، لأنهما لا يثقان به، يقع في نفسه ذلك، ولهذا قال ﷺ: «من أجل أن ذلك يحزنه» يحزنه، أي: يبعث في نفسه الحزن. فيقول: إما أنهم يتحدثون في، وإما أنهم يحتقروني، فيصبح حزيناً بهما.

فمن آداب المجالس أن يكون الحديث ظهراً ولا يكون بين اثنين فقط دون الثالث، أما إذا كان عدد الناس كثيراً في المجلس يزيدون عن ثلاثة، فلا بأس أن يتجوى الاثنان لعدم المحذور؛ لأن الدافس كثيرون.

(١) روه البحري في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة ولمدة، برفم (٦٢٩٠)، ومسلم في كتاب السلام باب تحريم مساجاة الاثنين دون الثالث بغير رضا، برفم (٢١٨٤) واسلف له

فلا يقع في نفوسهم شيء، فهذا من آداب المجالس. فدل الحديث على
تحريم النجوى بين الاثنين دون الثالث.

ودل على أنه إذا كانوا أكثر من ثلاثة فإنه لا بأس أن يتناجى
الاثنان لقوله ﷺ. (حتى تختلطوا بالناس) يعني إذا زال المحذور
فلا بأس.



ما جاء في النهي عن إقامة الإنسان من مجلسه

٥ - وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفْسَحُوا وَتَوَسَّعُوا»^(١). متفق عليه.

الْتَبَاحُ

وهذا لحديث أيضاً من آداب المجالس، فإذا سَقَّ أَحَدٌ إِلَى مَجْلِسٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقِيمَهُ مِنْهُ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي مَجَالِسِ النَّاسِ خَارِجَ الْمَسْجِدِ كَالْبُيُوتِ، أَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْجُلُوسِ فِي الْأَسْوَاقِ لِبَيْعٍ وَاشْتِرَاءٍ، فَمَنْ سَبَقَ إِلَى مَكَانٍ وَجَلَسَ فِيهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْوِلَهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْمَجْلِسِ وَآثَرَ بِهِ الْقَادِمَ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ تَنَزَّلَ عَنْ حَقِّهِ، وَأَمَّا أَنْ يَقِيمَهُ بغير رِضَاةٍ وَبغير إِتْمَانٍ مِنْهُ فَهَذَا ظُلْمٌ وَخَطَأٌ.

فَمَنْ سَبَقَ إِلَى مَكَانٍ مَبَاحٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ كَائِنْ مَنْ كَانَ، سَوَاءٌ كَانَ هَذَا فِي مَسْجِدٍ أَوْ فِي مَجْلِسٍ خَاصٍّ، أَوْ فِي الْأَمْكَنَةِ الَّتِي يَبِيعُ النَّاسُ وَيَشْتَرُونَ فِيهَا، أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَكَانُ غَيْرَ مَسْمُوحٍ بِهِ مِنْ قَبْلِ وِلَاةِ الْأُمُورِ، فَلَا يَحُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَخَالَفَ وَلِيَّ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْعَامَّةَ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَكَانُ خَالِياً لِأَجْلِ مَرُورِ النَّاسِ، أَوْ مَوَاقِفَ

(١) رَوَاهُ تَحَدِيثِي فِي كِتَابِ الْأَسْتِثْذَالِ، سَابِقٌ لِلَّهِ وَلَكُمْ تَفْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا...، بَرْقُم (٦٢٧٠)، وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِسْلَامِ، بِسَبَبِ تَحْرِيمِ إِقَامَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ مَوْضِعِهِ إِجْبَاحَ الَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ. بَرْقُم (٢١٧٧)

سيارتهم، أو دوابهم أو مرافقهم، فإذا منعه وليُّ الأمر فطاعةً ولي الأمر واجبةً، لأنه يمسعه للمصلحة العامة، أما إذا سمح في ساحةٍ أو في مكان للناس، فكل من سبق إلى مكان فيها فهو أحقُّ به، ولا يجوز لأحد أن يقيمه منه، لا إذا سمح هو واثّر غيره بمكانه، فلا بأس أن يجلس فيه، ولكن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - كان لا يجلس في مكان رجل حتى ولو قام صاحبه له، كان إذا قام له أحدٌ فإنه لا يجلس في مكانه^(١)، وهذا من باب التورّع والنواضع منه ﷺ.

من جاء إلى مكان فإنه يجلس حيث ينتهي به المجلس، فإذا جاء إلى المسجد، فإنه يصف في المكان الذي ليس فيه أحدٌ في طرف لصف؛ لأن هذا حظه، لماذا لم يتقدم ويكن مع السابقين؟ وكذلك في لمجالس يجلس في المكان الذي ينتهي به، ولا يقيم أحدًا من السابقين غير رضاه، وتناوله من نفسه، هذا معنى قوله في هذا الحديث: (لا يُقيم غيره من مكانه، ويجلس فيه)

وأيضاً إذا كان المجلس ضيقاً فإن المشروع لهم أن يتفسحوا ويهيئوا له مكاناً، قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا فَمَشَّحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١١]، فيفسحون لأخيهم ويجلسونه في مكان كي يشاركتهم في مجلس العم، أو في مجلس الأنس والملاطفة، فهذه هي آداب المجلس.



(١) انظر صحيح البخاري في كتاب الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا...﴾، برقم (٦٢٧٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها .. برقم (٢١٧٧)

استحباب لعق الأصابع والقصة

٦ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يلعقها»^(١). متفق عليه.

الشيخ

هذا في آداب الأكل والشراب، من آداب الأكل: أن الإنسان يبدأ بسم الله، ويأكل بيمينه، ويأكل مما يليه، إذا كان الطعام نوعاً واحداً، كما قال ﷺ لعمر بن أبي سلمة رضي الله عنه وكان غلاماً صغيراً في حجر النبي ﷺ، لأنه ﷺ تزوج أمه فقال له: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»^(٢).

ومن آداب لأكل ما جاء في هذا الحديث، أنه إذا فرغ من الطعام يحمد الله ﷻ فيقول: الحمد لله، ثم ينظف يده من الطعام ومن آثار الطعام، وذلك بلعقها بلسانه، أو أن يلعقها خادمه أو ولده أو أحد ممن له عليه دالة، ولا يترك بقايا الطعام تذهب في المزابل أو في الغسل، لا يغسل يده وفيها بقايا طعام تذهب مع الماء أو يمسحها بالمنديل، ويترك بقايا طعام تعلق بالمنديل؛ لأن هذا إهانة للنعمة، فمن آداب الطعام أنه

(١) روه البخاري في كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع ومضمها قبل أن تمسح بالمنديل، برقم (٥٤٥٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع واقصعة، برقم (٢٠٣١).

(٢) روه البخاري في كتاب الأطعمة، باب لتسمية على الطعام والأكل باليمين، برقم (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٢).

بلعق يده بعد الطعام بحيث لا يبقى فيها شيء من الطعام. ثم يغسلها بعد ذلك. لا يغسلها وفيها طعاماً. ثم يذهب الطعام مع الغسالة. وربما يذهب إلى البالوعة وإلى القاذورات، وهو طعامٌ نعمة من الله ﷻ، وكذلك جاء الأمر أيضاً يَلْعَقُ الصَّحْفَةَ^(١)، ولا يُتْرَكُ فيها شيء من بقايا الطعام لئلا يفسد هذا الطعام، أو يلتقي في القاذورات. فهذا من احترام النعمة، بل حتى إذا سقطت لقمته فإن النبي ﷺ أمره أن يأخذها وأن يميّط ما عليها من الأذى وأن يأكلها، ولا يدعها للشيطان^(٢). هذا كله من احترام النعم، ومن شكر النعم، وعدم إهدار لنعم.

فهذه الأطعمة التي يُصرف في إعدادها من باب المباهاة ومن باب البدخ والسرف ثم تهدر وتلقى في مجمّعات القمامة، أو تلقى في التراب هذا من كفران النعم، وهناك أكْبَدُ حائِئَةً بحاجة إلى لقمة العيش. فهذا خطرٌ على الأمة، ويأتي هذا في «كل واشرب ولبس وتصدق من غير سرف ولا محيلة»، فالأمور لها موازين ولها ضوابط، ويغم الله ﷻ إذا شكرت قرّت وزادت، وإذا كُفرت زالت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّكُ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَرْبِّدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم ٧].

فالنعم لها حق أن يُحتفظ بها، وأن يُنتفع بها ولا تُهدر، إذ كانت لعاقبة الأصابع لا يجوز للإنسان أن يتركها، فكيف بالموائد الكبيرة التي

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى ما أخرجه مسلم في كتاب الأشرية، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة... برقم (٢٠٣٣) من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: «إنكم لا تدرون في أية البركة».

(٢) رواه مسلم في كتاب الأشرية، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، برقم (٢٠٣٣) (٢٠٣٤).

تُهدر وتُلقي في مجتمعات القمامة، فهذا ينذر بخطر عظيم من تغيير هذه النعمة، قال تعالى: ﴿لَيْكَ بِأَنْكَ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُعِزًّا نِعَمَةً أَعَمَّا عَلَى قُوَّةٍ حَتَّى يَعْرِفُوا مَا بِنَفْسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، ولكن الله يمهل ولا يهمل ﷺ، ولو تذكر هذا الإنسان المسرف أكبد الجائعين الذين يتصورون من الجوع ولا يجدون ما يأكلون، لو تذكر هذا لكفه ذلك عن الإسراف^(١) والتبذير وهدار النعم، وخاف من سوء العاقبة.

فدل هذا الحديث على احترام النعم، وعدم إهدارها ولو كانت قليلة، ولو كانت أثر طعم على الأصابع.

ودلّ الحديث على أن من آداب الأكل أيضاً أن الإنسان يتنظف من آثار الطعام، بأن يمسح يده بالمنديل، أو يغسل يده من ما غلق بها من آثار الطعام من الأدهان أو غيرها، أما الآثار التي لا يؤخذ منها شيء، ولا ينتفع بها، مثل الدهن الذي يصير على اليد أو الأصابع، فهذا يغسل لا بأس، ولا يترك الإنسان الدهن في يديه، أو يترك الدهن في فمه؛ لأن هذا من سوء النظافة، ويسبب روائح، وربما يسبب أمراضاً إذا نام وهذه الأشياء في يديه أو فمه^(٢).

(١) فائدة: أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (٢٢١/٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يوضأ فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟! قال أفي الوضوء سرف؟! قال. «نعم وإن كنت على نهر جار» حسه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة، برقم (٣٢٩٢).

وروى لبيهقي رحمه الله في سننه (١٩٧/١) عن هلال بن يساف قال (كان يقال في كل شيء إسراف حتى لظهور وإن كان على شاطئ نهر).

(٢) أخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، برقم (١٢١٩) أن النبي ﷺ قال: «من بات وفي يده غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه» وصححه الألباني في سلسله الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٩٥٦).

فالشارعُ أمر الإنسان إذا فرغ من الطعام أن يلعق يديه^(١) ويزيل ما تبقى عليها من الطعام، ثم بعد ذلك يغسلها بالماء أو يمسحها بالمنديل، ويتمضمضُ بحيث لا تبقى رائحةُ الطعام أو الدسومة، أو إذا شرب لبناً فإن اللبن فيه دسومة، فلا ينام وفي فمه رائحةُ اللبن بل يغسل فمه، أوصى النبي ﷺ بذلك؛ لأن دين الإسلام دينُ النظافة.



(١) قال الإمام ابن المقفّر رحمه الله في كتابه «التوضيح» (٢٦، ٢٣٨): «عند شربه يهدأ لحديث: «قال العلماء: استحباب لعق اليد محبظة على بركة الطعام، وتنظيفها، ودفعاً للكبر».

من آداب السلام

٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(١). متفق عليه.
وفي رواية لمسلم: «وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»^(٢).

الْتِمَاحُ

مرّ بنا في أوّل حديث أن من حقّ المسلم على المسلم إذا لقيه أن يسلم عليه، وأن إفشاء السلام بين المسلمين من آداب الإسلام، مثل إطعام الطعام وطيب الكلام، واصلاة بالليل والناس نيام، كلها من أسباب دخول الجنة.

إفشاء السلام يعني: نشر السلام بين المسلمين، لأنه يورث المحبة ويزيل الوحشة، فإذا مرّ بك أحد ولم يسلم عليك لا شك أنك تجد في نفسك حرجاً عليه؛ لأنه لم يسلم. فإذا سمّ زال ما في نفسك، حتى ولو كان عدواً لك وبيدك وبيده شحاء، إذا سلّم أزال الله ما بينكما من الشحاء. إفشاء السلام لها فائدة عظيمة.

وفي هذا الحديث آداب السلام، أنه (يسلم الصغير على الكبير).

(١) رواه البحري في كتاب الاستئذان، ص ٢٨٨ تسليم قبل على الكثير، رقمه (٦٢٣١)، ومسلم في كتاب السلام، ص ٢٨٨ تسليم لراكب على ماشي ولقصر على الكثير، رقمه (٤١٦٠).

(٢) ورواه البحري أيضاً في كتاب الاستئذان، ص ٢٨٨ تسليم لراكب على الماشي، رقمه (٦٢٣٢).

لأن الكبير له حق، فيسلم عليه الصغير. وإذا لم يسلم الصغير يسلم الكبير. وقد كان النبي ﷺ يسلم على الصبيان إذا مرّ بهم^(١)، ولكن الأولى أن يسلم لصغير على الكبير.

(ويسلم المار على القاعد) أي يسلم الماشي على لقاعد.

(ويسلم القليل على الكثير) القليل من الناس على الكثير من الناس. إذا تلاقى جماعات فإن الجماعة القليلة تسلم على الجماعة الكثيرة.

(ويسلم الراكب على الماشي) هذه من آداب السلام.

* * *

(١) كما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله (١٨٣/٣)، ولأدب المفرد لسخري رحمه الله (١٠٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: مر علينا رسول الله ﷺ وبحر صبيان فقال «السلام عليكم يا صبيان»، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رحمه الله (١٠٩٠/٦) و(٢٧٣/٣).

ما جاء في سلام الجماعة وردّهم

٨ - عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجْزَى عَنْ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزَى عَنْ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ» ^(١). رواه أحمد، والبيهقي.

- الشَّيْخ -

معنى الحديث أنه إذا سلّم واحد من الجماعة كفى، البداءة بالسلام سنّة كفاية، إذا سلّم بعضهم. ولو واحداً منهم يكفي، وكذلك الردّ إذا رد واحد من الجماعة، فهذا فرض كفاية، إذا سلّم واحد من الكثيرين كفى عن الباقيين.



(١) رواه أبو داود في كتاب لأدب، باب ما جاء في رد واحد عن الجماعة، برقم (٥٢١٠)، والبيهقي (٤٩/٩)، وحسنه الألباني رحمته الله شواهده في رواه الغيل، برقم (٧٧٨)، وفي سلسله الأحاديث الصحيحة، برقم (١١٤٨) و(١٤١٢).

* قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله في حاشيته على بدوع المرام ص (٧٧٥) عن هذا الحديث: «لم أجده في مسند أحمد رحمته الله وإسما أخرجه أبو داود، برقم (٥٢١٠) والبيهقي (٩/٤٨) وفي إسناده سعيد بن خالد الخزاعي وهو ضعيف كما في التفریب (٢٣٠٦) ونهدب التهذيب (٢١/٤) وبذلك يُعسم وهم المؤلف رحمته الله في عزوه إلى أحمد، والله ولي التوفيق»

النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام

٩ - وعنه، - قوله - وعنه - يعني عن عليٍّ عليه السلام وصوابه - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»^(١). أخرجه مسلم.

الشرح

وهذا أيضاً من آداب السلام. ننا لا نبداً اليهود والنصارى والكفار بالسلام؛ لأنهم أعداء الله، السلام من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، أما الكافر فليس له حق، والواجب علينا أن نهجره وأن نبغضه في الله ﷻ، ولكن إذا سلم علينا، إذا بدأنا بالسلام فإننا نرد عليه؛ لأن دين الإسلام دين المكافأة والإحسان.

فمن أحسن إليك ولو كان كافراً فأحسن إليه، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة ٨]، هذا من باب المكافأة، لم كفوا أذا هم عنا، نكفهم بأن نبر بهم ونحسن إليهم، فالإسلام دين المكافأة بالإحسان، فإذا سلموا علينا نرد عليهم.

وقد جاءت صيغته الرد بأن نقول: وعليكم، لا تقبل. وعليكم

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم (٢١٦١).

السلام ورحمة الله وبركاته، فهذا من حق المسلم، أما الكافر إذا سلّم عليك نرد عليه ونقول: وعليكم، هكذا كان النبي ﷺ يرُدُّ على اليهود إذا سلّموا عليه، وأمر بذلك فقال ﷺ: «قولوا: وعليكم»^(١).

وفيه أيضاً أنت تضطّرهم في الطريق إلى أضيّقه، معناه: أننا لا نجعل لهم وسط الطريق أو أحسن الصريق؛ لأن هذا عدوّ الله ﷻ، فيجب أن نهينه؛ لأن الله أهانه فلا نكرمه نحن، ﴿وَمَنْ يُهِنْ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، فلا نجعل له وسط الطريق، هذا حق المسلم، وإنما نجعل لهم جانب لطريق، أي: لا نمنعهم من المرور، ولكن نتركهم يمرون من جانب الطريق، ولا ندع لهم وسط الطريق، وأحسن الطريق.



(١) أخرجه البخاري في كتب الاستئذان، باب كيف يُردُّ على أهل الذمة السلام، برقم (٦٢٥٨)، ومسلم في كتب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُردُّ عليهم، برقم (٢١٦٣).

صفة تسميت العاطس وجوابه

١٠ - وعنه [قوله: وعنه، يدل ظاهره على أن هذا من حديث علي عليه السلام وصوابه، عن أبي هريرة رضي الله عنه^(١)، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ، أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ، وَيُصْلِحْ بَالَكُمْ»^(٢). أخرجه البخاري.

(١) انظر: حاشية «بلوغ المرام» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله ص (٧٧٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، برقم (٦٢٢٤). قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في «فتح الباري» (١٤/١٢٢): «... قال بن أبي جمرة وفي الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العطس: يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة لعطاس، ثم شرع له الحمد الذي يناب عليه، ثم ادعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات هي زمن يسير فصلاً منه وإحساناً، وفي هذا لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في إيمانه حتى يحصر له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام عديدة، ويدخله من حب الله الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في ناله، ومن حب الرسول ﷺ الذي جاء بمعرفة هذا الخير على يده والعلم الذي جاءت به سنته ما لا يقدر قدره. قال: وفي زيادة درة من هذا ما يفوق الكثير مما عداه من الأعمال، والله الحمد كثيراً».

وقال الحليمي أنواع البلاء والافات كلها مؤاخذات، وإبما المؤاخذة عن ذنب، فإذا حصل الذنب مغفوراً ودركت العبد الرحمة لم تقح المؤاخذة، وإذا قيل للعاطس: يرحمك الله، فمعتاه جعل الله لك ذلك لتدوم لك سلامة، وفيه إشارة إلى تنبيه العطس على طلب الرحمة والتوبة من الذنب، ومن ثم شرع له الجواب بقوله «عمر الله لك ولكم».

الشيخ

هذا أيضاً بيانٌ للحديث الذي سَرَّ «حَقُّ المسلم على المسلم»، ومنها (إذا عَطَسَ فحمدَ اللهَ فشمَّته)، فهذا الحديث فيه شرحٌ للحديث السابق، وكيفية التشميت، وكيفية الرد، أنه إذا عطسَ وحمدَ اللهَ فإنك تقول: يرحمك الله، ثم هو يردُّ ويقول يهديكم الله، ويصلح بالكم. فالعطاس نعمةٌ من الله ﷻ، لأنه يخرج البخار الذي في الرأس، ويخف الإنسان بعد العطاس ويجد رحةً بعد العطاس، فهو نعمة، فلذلك يحمد الله على هذا ويقول: الحمد لله، فإذا حمد الله فإن من سمعه يُشمَّته، ويقول: يرحمكم الله، ثم هو يردُّ ويقول: يهديكم الله ويصلح بالكم. هذا من آداب العطاس^(١).



(١) روى الإمام مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع ؓ أنه سمع النبي ﷺ وعطس رجل عنده، فقال له: «يرحمك الله»، ثم عطس أخرى، فقال له رسول الله ﷺ: «الرجل مزكوم». ورواه الترمذي رقم (٢٧٣٤) وفيه: ثم عطس الثانية والثالثة، فقال رسول الله ﷺ: «هذا رجل مزكوم». قال الإمام ابن القيم ؒ: (وقوله في هذا الحديث «الرجل مزكوم»: نسيه على الدعاء له بالعافية لأن ازكمة عمة، وفيه عتذار من ترك تشميتيه بعد الثلاث، وفيه تنبيه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها فيصعب أمرها، فكلامه ﷺ كله حكمة ورحمة وعلم وهدى... زاد المعاد (٢/٤٣٠).

من آداب الشرب

١١ - وعنه [أي عن أبي هريرة رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ:
«لا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً»^(١). أخرجه مسلم.

الشَّيْخ

وهذا من آداب الشرب. أنَّ الأفضل أن يشرب الإنسان وهو جالسٌ، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك.

ومن آداب الشرب أن لا يشرب بنفس واحد كما يشرب البعير، وإنما يشرب (... بثلاثة أنفاس)^(٢)، ويُخرج فمه من الإناء عند التنفس، (لا يتنفس في الإناء)^(٣)؛ لأن ذلك يقذره على من بعده فيشرب بثلاثة أنفاس في كل مرة يُخرج فمه عن الإناء ويتنفس حارجه، ويشرب وهو جالس. هذا هو الأفضل، ويكره أن يشرب وهو قائم. ولا يحرم ذلك؛ لأن النبي ﷺ صح عنه أنه شرب وهو قائم ليبين أجوازَ أُمته، فقد جاء إلى رمرم بعد ما فرغ من طواف العمرة والصلاة عند مقام إبراهيم في طواف الإفاضة يوم النحر، جاء إلى رمرم وندول دلواً منها وشرب عليه

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً، برقم (٢٠٢٦).
(٢) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب الشرب بنفسين أو ثلاثة. سرقم (٥٦٣١)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب كراهية التنفس في نفس الإناء واستحياب للتنفس ثلاثاً خارج الإناء، برقم (٢٠٢٨).
(٣) انظر: صحيح البخاري في كتاب الأشربة، باب المنفس في الإناء، برقم (٥٦٣٠)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب كراهية استنفس في نفس الإناء، برقم (٢٦٧).

الصلاة والسلام وهو قائم، ليسن لأمته الحواز وأنه يجوز للإنسان أن يشرب وهو قائم^(١)، ولكن الأفضل أن يشرب وهو جالس.



(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الأشربة،
د في الشرب من زمزم قائماً، رقم (٢٠٢٧)

من آداب الطعام والشراب

١٢ - وعنه عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(١). أخرجه مسلم.

الشيخ

هذا من آداب الطعام والشراب أيضاً.
وفيه أن من آداب الأكل أن يأكل بيمينه، وأن من آداب الشرب أن يشرب بيمينه.
وفيه النهي عن الأكل والشرب باليد اليسرى، والتعليل: أن الشيطان يأكل ويشرب بشماله، ونحن منهئون عن انتشبه بالشيطان.



(١) رواه مسلم في كتاب الأثربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٠).

* فائدة: روى الإمام أبو داود رحمه الله في مسنده، برقم (٣٢)، باب كراهة مس الذكر باليمين في الاستبراء، عن حفصة زوج النبي ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ويجعل شماله لما سوى ذلك.»
* وله عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يد رسول الله ﷺ اليمنى لظهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى».

انظر: صحيح سنن أبي داود للعلامة الألباني رحمه الله، حديث حفصة رضي الله عنها، برقم (٢٥) وحديث عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٦).

من آداب اللباس

١٣ - وعنه [أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ:
«إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، لَتَكُنَ الْيُمْنَى أَوْلَهُمَا تَنْعَلُ وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»^(١). متفق عليه.

١٤ - وعنه ﷺ [أي: عن أبي هريرة] قال: قال رسول الله ﷺ:
«لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُنْعِلَهُمَا جَمِيعاً أَوْ لِيَخْلَعَهُمَا جَمِيعاً»^(٢). متفق عليه.

الشَّيْخُ

من آداب اللباس: لبسُ لعلين، يُلبسُ الرَّجُلُ الْيُمْنَى قَبْلَ الْيُسْرَى، وَفِي الْخَلْعِ بِالْعَكْسِ، يَخْلَعُ مِنَ الْيُسْرَى قَبْلَ الْيُمْنَى؛ لِأَنَّ اللَّبَاسَ مِنْ شَأْنِهِ الْإِكْرَامُ وَالتَّجْمُلُ فَيَبْدَأُ بِالْيَمِينِ، وَالْيَمِينُ يَفْذُمُهَا لِكُلِّ مُسْتَطَابٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَمَا مِنْ شَأْنِهِ التَّنْظِيفُ وَإِزَالَةُ الْأَذَى يَقْدَمُ لَهَا الْيَدُ الْيُسْرَى، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ يَقْدَمُ رِجْلُهُ الْيُسْرَى، وَعِنْدَ الدُّخُولِ يَقْدَمُ رِجْلُهُ الْيُمْنَى؛ لِأَنَّ الدُّخُولَ إِلَى الْمَسْجِدِ

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب لا يمشي في نعل واحد، برقم (٥٨٥٥)، ومسلم في كتاب اللباس والريّة، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً، والخلع من اليسرى أولاً، وكراهة المشي في نعل واحد، برقم (٢٠٩٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب يخرجه يده اليسرى، برقم (٥٨٥٦)، والنقل له، ومسلم في كتاب اللباس والريّة، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً، والخلع من يسرى أولاً، وكراهة المشي في نعل واحد، برقم (٢٠٩٧).

إكراماً وعبادة، وعند الدحول في الحمام يقدم رجله اليسرى، وعند الخروج يقدم رجله اليمنى، وعند الوضوء يغسل ليمنى قبل اليسرى، وعند اللباس يُدخل يده اليمنى في اللباس قبل أن يُدخل يده اليسرى، وعند الخلع بالعكس، يخلع يده اليسرى من اللباس قبل اليمنى، هذه من آداب اللباس^(١).

وكذلك من آداب لس النعلين: أنه لا يمشي بنعل واحدة، بل ينعل رجليه جميعاً أو يخلعهما جميعاً، أما أنه يلبس نعلًا ويمشي بها والأخرى حافية، هذا منهي عنه، وقد جاء فيه أنه مشية الشيطان^(٢)، فلا يمشي بنعل واحدة.



(١) وقد كان النبي ﷺ يُحِبُّ التَّيْمُنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، كَمَا أَحْرَحَ الْإِمَامُ الْحَارِثِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْم (٥٣٨٠) مِنْ حَدِيثِ عَدِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمُنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي ظَهْرِهِ، وَتَنَعَهُ وَتَرَجَّلَهُ».

(٢) لَعَنَ فَصِيحَةُ الشَّيْخِ حَفْصَةُ اللَّهِ يَشِيرُ إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ «مَشْكُلِ الْأَشْرَافِ» (٣/ ٣٨٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمَشْيِ فِي الْعِلِّ الْوَاحِدَةِ وَقَالَ: «بَنَ الشَّيْطَانُ يَمْشِي فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ»، وَقَدْ صَحَّحَ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي سُسَّةِ الْأَحَادِيثِ النَّصَحَةِ، بِرَقْم (٣٤٨).

تحريم جرّ الثوب خيلاء

١٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خَيْلَاءً»^(١). متفق عليه.

الشيخ -

من آداب اللباس: تحريم الإسبال، والإسبال: ما نزل عن الكعبين، وهو في النار، وإذا صاحبه خيلاء وتكبّر فين الله لا ينظر إليه، هذا وعيد شديد والعياذ بالله، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما كان أسفل الكعبين فهو في النار»^(٢)، فالحدّ الفاصل هو الكعبان، وما تحت الكعبين فهو إسبال محرّم، وما من الكعبين فما فوق فهذا هو اللباس الشرعي.

والإسبال سواء قصده أو لم يقصده محرّم؛ لأنه لا يجوز له أن يطيل ثيابه ويقول: ليس قصدي الخيلاء، نقول هذا محرّم ولو لم يقصد الخيلاء، ولكن إذا كان فصله الخيلاء فهذا أشدّ تحريماً، فالإسبال

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، وناث قول الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، رقم (٥٧٨٣)، ومستم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جرّ الثوب خيلاء، رقم (٢١٥٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار، رقم (٥٧٨٦).

فائدة قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧١٨) وشرح أحمد (٤/ ٢٤٦) بإسناد حسن عن إسماعيل بن شعيب رضي الله عنه قال: رأيت أسي رضي الله عنه أخذ يحجره سميان بن أبي سهل وهو يقول: «يا سميان بن أبي سهل لا تسبل إزارك فإن الله لا يحب المسبلين».

محرم مطلقاً. ويُستثنى من ذلك المرأة، فلمرأة لها أن تنزل ثيابها قدر ذراع من خلفها حتى تستر عقبيها عند المشي؛ لأنها عورة رخص لها النبي ﷺ أن تسبل ثيابها قدر ذراع من خلفها^(١).



(١) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يُشير إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». فقالت أم سلمة فكيف تصنع النساء نديولهن؟ قال: «تُرخين شبراً»، قالت: إذاً تنكشف أقدامهن. قال: «فِيرخينه ذراعاً ولا يزدن» أخرجه أبو داود برقم (٤١١٧)، والنورمدي برقم (١٦٣١)، وأحمد (٢٩٥/٦)، وابن حبان (٢٦٥/١٢)، وعبد الرزاق في مصنفه برقم (١٩٩٨٤) وحسنه العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٢٨/١) وقال: قلتُ: وفي الحديث دليل على أن فديمي المرأة عورة وأن ذلك كد امرأ معروف عند النساء في عهد لبوة، فإنه لم قال «حرية شبراً»، قلت أم سلمة: إذاً تنكشف القدماء، مما يُشعر بها كانت نعم أن القدمين عورة، لا يجوز كشفهن وأقرها ﷺ على ذلك، ولذلك أمرها أن تحجر ذراعاً، وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْفِرَ لِرِجَالِهِمُ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾، وراجع لهذا كتاب: «حساب المرأة المسمة».

من وصايا النبي الكريم ﷺ

١٦ - وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلْ واشْرَبْ، والبَسْ، وتصدقْ في غيرِ سَرْفٍ ولا مَخِيلَةٍ»^(١). أخرجه أبو داود، وأحمد، وعلقه البخاري.

الشرح

قوله: (علقه البخاري). أي أنه يذكر الحديث بدون سند، هذه المعلقات عند البخاري.

والحديث هذا يقول فيه ﷺ: (كُلْ واشْرَبْ، والبَسْ وتصدقْ من غير سَرْفٍ ولا مَخِيلَةٍ)، هذا فيه أمر الإنسان أن يأكلَ مما رزقه الله، ويشرب مما رزقه الله من أنواع الأشربة المباحة، ويلبس مما رزقه الله من ملابس الزينة والتجسس، فالأصل الإباحة والله الحمد، لأن الله أباح لنا الطيبات، وحرّم علينا الخبائث، فياكل الإنسان ما تيسر له من أنواع الطعام، ولو

(١) رواه ابن ماجه في كتاب اللباس، باب اللبس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة، برقم (٣٦٠٥)، وأحمد في مسنده (١٨١، ٢)، وأبو داود الطيالسي برقم (٢٣٧٥)، وعلقه البخاري في صحيحه بصيغة الحزم في أوّل كتاب اللباس. وقال الشيخ الألباني رحمه الله في مختصر صحيح الإمام البخاري (٣٢، ٤) (و جعله الطيالسي والحديث أن النبي ﷺ في مسندهما، وأن النبي ﷺ في كتاب 'شكر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً وسنده حسن، وأخرج الترمذي وابن ماجه بعضه). اهـ.

ولمزيد من الموائد في تخريج هذا الحديث، انظر كتاب: منحه العلام في شرح بلوغ المرام (١٠ ٧٤) لفضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان حفظه الله.

كان من الطعام الجيّد، فقد أباح الله له ذلك، فلا حرج أن يأكل من الجيّد، ويأكل من المتوسط، ويأكل مما تيسّر له، ويشرب كذلك من الأشربة الطيبة اللذيذة من الماء والعصائر الطيبة، عُصار الفواكه، والخلّ، وانبيذ الادي لم يصل إلى حدّ الإسكار، كل هذا من الأشربة المباحة، فيشرب ما تيسّر له وإن كان لذيقاً، أو يأكل مما تيسر له وإن كان لذيقاً.

قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المزموذ: ٥١]، وقال النبي ﷺ: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»^(١)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فيأكل الإنسان من الطيبات والمستلذات، ويشرب من الشراب الطيب واللذيذ، ولكن (من غير سرف). والسرف: هو الزيادة عن الحد الكافي.

(ولا مخيلة) والمخيلة هي الكبر (كل واشرب والبس وتصدّق) تصدق على الناس وعلى المحتاجين (من غير سرف ولا مخيلة) والسرف هو أن يزيد الإنسان من الأكل والشرب، فالسرف: هو الزيادة الكثيرة من المباح.

والتبذير. هو لإنفاق في غير طاعة، حتى ولو كان درهماً واحداً، إذا أنفق شيئاً في معصية فهو تبذير، قال تعالى: ﴿... وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الاسراء: ٢٦].



(١) روه مسلم في كتاب الزكاة. باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها،

باب البرِّ والصَّلة

(البرّ) : بكسر الباء المراد به : الخير ، وأما البر بفتح الباء ، فالمراد به : كثيرُ الإحسان ، وكثيرُ الخير . وهو من أسماء الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور]

والمراد هنا البر بالكسر ، أي : خصال الخير . والبرُّ ضد الإثم . الإثم : هو الشرُّ وخصال الشرِّ ، وأما البر فهو خصال الخير ، وأنواع الخير .

(والصَّلة) : كسر الصاد ، المراد بها : صلة الأرحام ، وهي صدقة القطيعة .



من فضائل صلة الرَّحِم

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١). أخرجه البخاري.

الشيخ

(من أحب) أي: رغب (أن يُبْسَطَ له في رزقه، ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه). يدلُّ هذا الحديث على أن بسط الرزق، أي: كثرة الرزق وسعة الرزق لها سبب، وهو صلة الرحم، فمن وصل رحمه فإن الله يوسع له في رزقه، ويبارك له فيه.

والرحم: المراد بهم القرابة، وهم كلُّ من يجمعك بهم قرابة من جهة الأم كالأخوال والخالات، والأجداد، والحدّات، أو من جهة الأب كالأعمام والعَمَّات، ولأجداد الجدّات، وأبناء هؤلاء، أبناء الأعمام وأبناء الأخوال كلُّهم يشملهم اسم القرابة واسم الرحم. ولهم حق عليك، فإن أديت هذا الحق فإن ذلك يسبب لك الخير في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يُبْسَطُ لك في رزقك ويُنسأ لك في أجلك. وفي الآخرة لك الثواب والجنة عند الله ﷻ. فإن الله ﷻ وعَدَّ الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وعدهم بالجنة في الآخرة.

(١) رواه ابوحري في كتاب الأدب، باب من سط له في الرزق لصلة ارحم، برقم (٥٩٨٥). والحديث رواه مسلم أيضاً في كتاب ابير والنسبة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم (٢٥٥٧) عن أنس رضي الله عنه.

وأما قطيعة الرحم فهي كبيرة من كباير الذنوب تُوجب اللعنة. كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [٢٣] [محمد]. وقد نوءد الله لذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أن لهم اللعنة ولهم سوء الدار، قطيعة الرحم كبيرة من كباير الذنوب؛ لأن الله لعن من فعلها، واللعن إنما يكون على كبيرة من كباير الذنوب.

وفي هذا الحديث أن صلة الرحم تسبب للإنسان سعة الرزق، وأنه يبارك له في رزقه، ويُسبَطُ له يعني يوسّع، وأنه ينسأ له يعني يؤخر في أجله، ولكن هذا فيه إشكال مع قوله تعالى: ﴿إِذَا حَاءَ أَهْلُكُمْ لَا يَسْتَأْذِنُوا سَاعَةً وَلَا يَسْقُدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا حَاءَ أَهْلُهَا﴾ [المنفوق: ١١]، فما الجمع بين الآية والحديث؟

أجاب العلماء عن ذلك عدة أجوبة:

الجواب الأول: أن عمر الإنسان مقدر لا يُراد ولا يُنقص، ولكن إذا وصل رحمه فإن الله يبارك له في عمره بالطاعة والخير، فمعنى (أنه يُنسأ له في أجله) معنى أنه يبارك له في عمره، فبسنعمله في الخير، والعمر وإن كان قصيراً إذا استعمل في الخير فهو طويل، وأما إذا استعمل في الشر فهو قصير وإن كان طويلاً؛ لأنه عمر لا خير فيه، ولم يستفد منه صاحبه، فمعنى (يُنسأ له في أثره): يعني في أجله، بمعنى أنه يبارك له في عمره فيستغله بطاعة الله، ويفعل الخير، فيسبب له ذلك الأجر العظيم عند الله ﷻ، وإلا فالأجل هو كما قدره الله في اللوح المحفوظ لا يزيد.

والقول الثاني: أن معنى (يُنسأ له في أثره): عى ظهره، أنه بمدد في حياته، ويطول عمره، أما إذا قطع رحمه فإنه يقصم عمره ويُنقص عمره، فالحديث عى ظاهره، وهذا من ترتيب المسببات على أسبابها،

فإن طول العمر، وقصر العمر مبنيان على أسباب، فإن كن أحسن إلى أرحامه ووصلهم طال عمره. وإن كان قطع رحمه فإنه يقصر عمره، ويكون الله قدّر له ذلك. قدّر أنه يصل رحمه فيطول عمره، وقدّر على الآخر أنه يقطع رحمه فيقصر عمره. الحديث على ظاهره، والله جل وعلا جعل أشياء مبنية على أسبابها.

والقول الثالث: أن معنى (يُنْسَأُ له في أثره): الذُّكْرُ الجميل بعد وفاته، فيكون كأنه معمر، كأنه يعيش بين الناس وهو ميت، وذلك بلثناء عليه، وبذكره في الحير دائماً، فكأنه حي. ولهذا يقول الشاعر:

أحسن لمسك في حياتك ذكرى فالذكر للإنسان عمرٌ ثانٍ
وقيل: إنه بُرزق بذرية صالحة تدعو له بعد موته، فكأنه معمر، كأنه يعيش؛ لأن ذريته تدعو له، وكأنه متواصل العمر، بدعاء ذريته له، كما قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١)، فيكون نساء الأثر بوجود الذرية الصالحة، فإذا وصل رحمه رزقه الله ذرية صالحة تدعو له بعد موته فكأنه حيٌّ لم يمت.



(١) روه مسلم في كتاب الوصية. باب ما يحق للإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، وأبو داود في كتاب الوصية. باب في الصدقة عن الميت، رقم (٢٨٨٠) نقيض: «إذا مات الإنسان...».

قطيعة الرحم من كبائر الذنوب

٢ - وعن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(١)، يَعْنِي قَاطِعُ رَحِمٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّيْخُ

قوله: (لا يدخل الجنة قاطع) فسرّه بأنه قاطع الرحم، وهذا وعيد شديد مع قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْمُحْهُمْ﴾ [محمد، ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد ٢٥].

فقطيعة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، ومن الوعيد الوارد فيها أن قاطع الرحم لا يدخل الحمة، وهذا من باب الوعيد، وليس معناه أنه كافر، ولكن معناه أن لا يدخل الحمة، بل يعذب في النار بسبب القطيعة؛ لأن القطيعة كبيرة من كبائر الذنوب، وأصحاب الكبائر قد يعذبون في النار، ولا يدخلون الجنة من أول وهلة، بل يتأخر دخولهم، فيعذبون في النار، ثم يخرجون منها بعد ذلك.

فالحاصل: أنه ليس معناه أنه كافر، وأنه لا يدخل الجنة مطلقاً، وإنما معناه أنه لا يدخل الجنة من أول الأمر، بل يعذب في النار كأصحاب الكبائر الذين ورد في حقهم الوعيد، الوعيد بالنار، ويدخلون النار مع أنهم من المسلمين ومن المؤمنين، فيدخلون النار دخولاً مؤقتاً لا مخلداً، فهذا معنى قوله: (لا يدخل الجنة)

(١) رواه اسحاري في كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم ونحریم نصبتها، رقم (٢٥٥٦)

وصلة الرحم تحصل بالإنفاق على القريب إذا كان فقيراً والإحسان إليه، وتحصل بالزيارة له ومؤاسته، ونحصل بأنواع من الإحسان القولي والفعلية، هذه صلة الرحم، قد تكون بالمال وقد تكون بالكلام الطيب، وتكون بالزيارة، وتكون بالإعانة على مصالحه وما ينفعه، كل هذا من صلة الرحم^(١).



(١) عن سيمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة» رواه الترمذي (٦٥٨)، وابن ماجه (١٨٤٤)، والنسائي في السنن (٢٥٨٢)، واللفظ له وأحمد في مسنده (١٧/٤)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٣/٣٨٧).

* قال سماحة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين (٣/١٨٥): «وصلة لأقرب بما جرى به العرف وأبعده الناس لأنه لم يُبين في الكتاب ولا في السنة نوعها ولا جسدها ولا مقدارها، لأن النبي ﷺ لم يقيده بشيء معين من أطلق ولذلك يُرجع فيها لعرف قومه جرى به العرف أنه صلة، فهو اصلية، وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة فهو قطيعة».

ولم يرد من الفوائد في أهمية صلة لرحم. انظر كتاب: صلة الرحم ضوابط فقهية وتطبيقات معاصرة تأليف صاحب الفضيلة الشيخ فهد بن سرّيع بن عبد العزيز السعدي وفقه الله، نشر دار المنهج بالرياض.

سنة خصال نهى عنها النبي ﷺ

٣ - وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَوَادَّ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١). منفق عليه.

الشَّيْخ

ذكر في هذا الحديث ستة أشياء أنها محرمة ومكروهة.

الأولى: (عقوق الأمهات) المراد به معصية الأمهات؛ لأن الوالدين أقرب الأقارب، فصلتكم أكد الصلة. قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

فيبدأ الإنسان بالوالدين، بالإحسان إليهما بالإنفاق عليهما، والرحمة بهما، والعطف عيهما، والكلام الطيب، وعدم الإساءة إليهما؛ لأن حق الوالدين يأتي بعد حق الله تعالى، وعقوق الوالدين من أعظم كبائر الذنوب، وذكر الأم بالذات؛ لأن حقها أعظم، وإلا فالوالد أيضاً له حق. قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾، ولكن ذكر الأم هنا وحدها تأكيداً لحقها؛ لأنه تعالى لما سُئل من أمر؟ قال: «أُمُّكَ»، قل: ثم من؟ قال: «أُمُّكَ»، قل: ثم من؟ قال: «أُمُّكَ»، قل: ثم من؟ قال: «أُمُّكَ»^(٢). ففي

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من كبار. برقم (٥٩٧٥)، ومسلم في كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن مع وهب . . برقم (٥٩٣).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب بر الوالدين، برقم (٥١٣٩)، ولترمذي -

لمرة الرابعة قال أباك؛ لأن الأم قاست من التعب والمشقة أكثر من لوالد. قاست الحمل وما فيه من مشقة والتعرض للأمراض، وقاست الولادة وما فيها من الخطر، وقاست الرضاع والتربية وما فيها من المشقة والتعب، فهي قاست أكثر من الأب، ولذلك كان حقها أعظم. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [القمر ١٤]. وقال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحزاب ١٥].

فالأم تقاسي أكثر من الأب، فحقها أعظم، وصنتها ألزم واكد، والأب أيضاً له حق، لأنه قاسى من لتعب في تحصيل الرزق للولد والسعي عليه والولد قاصر وضعيف، والوالد يتعب ويسافر ويتعرض للأخطار يطلب الرزق لولده وينفق عليه، فله حق، والوالد أيضاً يشفق على ولده ويحبه حباً شديداً ويعطف عليه فله حق أيضاً، ولكن لأم أكثر، فلذلك خصها بالذكر في هذا الحديث.

حرّم الله عقوقها بأي نوع من العقوق، سواء بقطع النفقة عنها، أو عقوقها بالكلام الفاسي، أو عقوقها بعدم إجابتها إذا طلبت منه حاجة، والله جلّ وعلا يقول: ﴿... إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا حَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ۖ ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]. ويقول جلّ وعلا: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن].

الثانية: (وواد البنات) وأد البنات هذا كان معروفاً في الجاهلية، أنهم كانوا يدفنون ابنت وهي حية حتى تموت تحت التراب خشية العار،

في أبواب البر وصحة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في بر الوالدين، (١٨٩٧) وأحمد (٣٥)، ولحاكم (٤١٥٠)، والحاوي في الأدب المفرد (٣)، وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء، رقم (٢١٧٠).

يخشون أن تجرّ عليهم عاراً، فهم يكرهون البنات كراهية شديدة، مما حملهم على التخلص منهم. قال تعالى: ﴿وَدَا بَشَرٌ أُمّهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يَوْرَى مِنَ الْقَوَمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِنَّ أَيْمَنَهُمْ عَلَى هَوًى أَوْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩) [النحر]، فإذا ولدت له البنت كرهها، فهو بين أمرين: إما أن يُبقيها على قيد الحياة في اذل والهوان، وإما أن يدفنها تحت التراب حيةً فتموت.

قل تعالى: ﴿وَإِذَا لَمَوْهَدَةٌ سُيِّتَ﴾ (٨) والموهودة هي البنت تُدفن حية ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٩) [التكوير]، وهذا من فعل الجاهلية، كما أنهم كانوا يقتلون الأولاد ذكوراً وإناثاً خشية الفقر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِ نَحْرُ نَرْزُقَهُمْ وَيَرْزُقُكُمْ﴾ [إسراء: ٣١]، وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأعم: ١٥١].

فكانوا يقتلون الأولاد خشية الفقر لأنهم يُسيئون الظن بالله ﷻ، ولا يؤمنون بأن الله إذا خلق نفساً خلق لها رزقها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]؛ لأنهم ليس عندهم إيمان، ولذلك حملهم ذلك على قتل الأولاد خشية الفقر، وهذا ما يذكر الآن وتعتقد له المؤتمرات من طلب تحديد النسل خشية كثرة الأولاد فتشج الموارد ويقل الرزق؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ﷻ، لا يؤمنون بأن الأرزاق بيد الله، وأن الله إذا خلق نفساً قدر لها رزقها، وكثرة الأولاد فيها خير؛ لأنه إذا كثر الأولاد يكثر الإنتاج ويكثر العمال ويكثر المنتجون على العكس مما يعتقدون، وكثرة الأولاد فيها قوة للأمة، إذا كثرت الأمة وكثر عددها صدر ذلك قوة لها، أما إذا قلت صار ذلك ضعف في الأمة.

فالحاصل: أن هذا من دس الجاهلية، وهو قتل الأولاد خشية الفقر، وقتل البنت خشية العار. ومهم صنف ثالث يدحون أولادهم تقريباً إلى الأصنام، قال ﷺ: ﴿وَكَدْرُكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

فَقَدْ أَوْلَدْتَهُمْ شُرَكَاءُ لَهُمْ يُمْرُدُّوهُمْ وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ ﴿١٣٧﴾ [الأعام. ١٣٧].
وفار تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأعام. ١٣٦] لأصنامهم، فهم يتقرَّبون
إلى الأصنام بأنواع من القربات منها ذبح الأولاد، وذبح البهائم.

الثالثة: (ومنعاً وهات) حرَّم الله المنع. منع الأموال وعدم الإنفاق،
فهم يجمعون ويمنعون، والله جلّ وعلا أمر بالإنفاق الواجب، والإنفاق
المستحب، الإنفاق على لفسر، وعلى الأقارب والمحتاجين، والإنفاق
في سبيل الله بالصدقات والتبرعات، وأكد ذلك إخراج الزكاة، وبعض
الناس لا يُخرجُ الزكاة شحاً بالمال.

(منعاً): أي يمنع ما أوجب الله عليه في ماله.

(وهات): يطلب المال من أي وجه، بأي وسيلة حصل على المال
من حرام أو من حلال^(١)، المهم أنه يجمع المال، فهو يجمع ويمنع،
جَمُوعٌ مَنْعٌ، قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا لَطْفٌ ﴿١٥﴾ نَرَاهُ لِلشَّوْى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَرَّ
أَذَرَ وَتَوَكَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج].

جمع المال وأوعاه، أي: أغلق عليه، ولم يُنفق منه شيئاً من
البخل، والله حرَّم هذا. وفي الحديث: أنه في يوم القيامة يُسأل عن ماله
من أين اكتسبه وفيما أنفق^(٢).

(١) بشير الشيخ حفظه الله إلى قول السي صلوات الله وسلامه عليه «ليأتين على
الناس زمان لا يبالى المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام» رواه
البخاري في صحيحه برقم (٢٠٨٣). وأحمد في مسنده «٢٠٨٣».

(٢) رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، برقم
(٢٤١٦) و(٢٤١٧)، وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

الرابعة: (وكره لكم قيل وقال) كرهه. مثل حرّم؛ لأن الكراهة معناها التحريم. قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨] أي: محرّمًا، فمعنى كرهه الله ذلك: يعني حرّمه (قيل وقال) قيل: فعلٌ ماضٍ، وقال: فعلٌ ماضٍ، أي أن الإنسان همّه إشاعة الأخبار، همه تلقي الأخبار والسؤال عنها وإشاعتها، ما له شغل إلا ما قال فلان، وفلان قال كذا وكذا، وبدون تثبّت، وقد يكون كذباً.

وفي الحديث: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْدُثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١). والسبي ﷺ يقول: «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَّهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٢).

فلا يشتغل الإنسان بالقليل والقال وكثرة الكلام. لاسيم إذا كان هذا فيه تحريش وإفساد بين الناس، هذا كبيرة من كدثر الذنوب، وكذلك إذا كان يتتبع غلطات العلماء ويشيعها، قال فلان كذا، وكذا رده عليه بكذا، من أجل الإيقاع بين أهل العلم، فهذا أيضاً من أعظم المحرّمات، فالإنسان لا يتتبع الأخبار والأقوال ويشيعها، إنما يتلقى ويروي ما كان فيه مصححةً ومكان فيه خير. ويترك ما لا خير فيه من فضول الكلام، يقول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ حَاءٍ كُرٍّ فَاسْقُ بِسَبِيلٍ فَيَسِينُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا يَمْكِنُوا فَتَصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ١٠].

الخامسة: (كثرة السؤال) يكره الله كثرة السؤال، السؤال في لأموال، إلا عند الحاجة، فالإنسان لا يسأل الناس أموالهم إلا عند

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه، باب المهني عن الحديث بكل ما سمع، برقه (٥)، وأبو داود في كتب الأدب، باب التشديد في الكذب، رقم (٤٩٩٢) واللفظ به.

(٢) رواه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب حديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، رقم (٢٣١٨)

الحاجة، فيسأل بقدر حاجته؛ لأن المسألة حرام إلا عند الضرورة،
ورخص النبي ﷺ بها في ثلاث حالات:

١ - إذا كان أصابته جائحة في ماله، فيسأل حتى يصيب قواماً من
عيش، أو تسديداً لهذه الجائحة.

٢ - أو تحمّل حمالة عرامة، وليس عنده لها وفاء، أو أنه يصلح
بين الناس وتحمّل حمالة لأجل الإصلاح، فيسأل حتى يسدد هذه
الغرامة، فهذا يجوز له.

٣ - أو أنه أصابه فاقة، أصابه الجوع فيسأل حتى يُصيب سداداً
من عيش ثم بمسك، وغير ذلك لا تحل المسألة كما قال النبي ﷺ^(١).

فإذا كثرة السؤال هدا في الأموال، وكذلك السؤال في مسائل
لعم، فلا يكثر الإنسان السؤال بل يسأل قدر ما يحتاج هو إذا عرضت
له مشكلة، فيسأل إذا أشكت عليه مسألة من مسائل العلم، أما أنه يسأل
عن أشياء لا يحتاج إليها، وليس هي بواقعة، وإنما هي فرضيات
وافتراضات، فلا يسأل عن هذه الأمور، وكذلك لا يكثر سؤال العلماء
من باب الإحراج لهم والامتحان؛ لأن بعض الناس يريد أن يمتحن
العالم، ويكثر عليه الأسئلة من أجل أن يعجزه، فلا تخرج العالم بأسئله
لست بحاجة إليها، وإذا أردت السؤال فأحسن صيغة السؤال، وألقه
بأدب لا بجفاء، فكثرة لسؤال سواء في الأموال أو في العلم أو في
الأمور لعادية، هذا كله من باب الغش، اسأل بقدر ما تحتاج من مال
أو من علم، أو من أمور عادية تريد من ورثها مصلحة لك أو لِمُسؤول
عنه فلا بأس.

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث نبصه من مخدرو الهلالي رحمه الله، الذي
أخرجه لإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكوة، باب من حل له المسألة،
برقم (١٠٤٤)

السادسة: (إضاعة المال) لا شك أن المال كما يقولون: غضب الحياة، وهو نعمة من الله جل وعلا. أمرنا بالمحافظة عليه. قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء ٥]، فالأموال نعمة من الله. فإذا حصلت على مالٍ فعليك بالمحافظة عليه وعدم إضاعته. سواءً بإنفاقه في ما لا فائدة فيه. أو أنك تهملُه ولا تضعه في أمانة مأمونة. وإنما تضيعُه ولا تحافظ عليه. هذا منهيٌّ عنه. لأموال عهدة عندك وأمانة عندك وأنت مسؤولٌ عنها، ولا تضيعها لا بإنفاقها في غير فائدة، ولا بعدم حفظها، والعناية بها.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن الإنفاق على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن تكور النفقة في طاعة الله. هذه مرغوب فيها. وليس هذا من إضاعة المال، بل هذا هو المقصود بالمال

الحالة الثانية: إنفاق المال فيما تحتاجه، هذا أيضاً يس فيه لومٌ. إنما يجعل المال لساحة، فإذا أنفقته في حوائجك فأنت لا تلام على هذا.

الحالة الثالثة: أن ينفقه في معصية الله. وهذا تضييعٌ للمال وحرامٌ ولو كان شيئاً يسيراً، حتى ولو كان درهماً واحداً. والله جل وعلا يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِوْا﴾ [الأعراف ٣١].

فإنفاق المال على ثلاثة درجات:

الدرجة الأولى: إنفاقه في الواجبات، وهذا لا شك منه كإخراج الزكاة، والإنفاق على نفسك وعلى أولادك وعلى أقاربك.

الثانية: الإنفاق في المستحبات، كالنبرعات لدمحتاجين والمشاريع الخيرية. وهذا أيضاً مرغوب فيه. ويس هو من إضاعة المال.

الثالثة: إنفاقه في المباحات، ليس بالواجبات ولا بالمستحبات وإنما في المباحات، بأن تشتري ما تأكل من الفواكه ومن اللحوم،

وتشتري ما تلبس من الملابس الجديدة، والمساكن المناسبة، والمراكب المناسبة لك، فهذا أيضاً قيل: إنه لا بأس به، وقيل: لا بل يقتصد، يقتصد في المباحات ولا يشتري لنفسه كل ما طلبت وكل ما اشتئت، بل يقتصد في ذلك ويعتدل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان].

فالإنفاق في طاعة الله ليس تضييعاً للمال، وإن كان كثيراً، والإنفاق في معصية الله هذا إسراف وإن كان درهماً واحداً، أنت مسؤول عنه يوم القيامة فيم أنفقته؟

واجعل هذه الآية هي لميزان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان ٦٧]، يكون وسطاً بين الإسراف وبين البخل، ﴿وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ هذا هو البخل ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ هذا هو الإسراف ﴿وَتَفْعَدْ مَلُومًا تَحْسُورًا﴾ [الإسراء ٢٩].

ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تُبْذَرْ بُذِيرًا﴾ [٢٦] إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا [الإسراء ١٠]، فالذي ينفق المال في الشهوات المحرمة، في الأسفار إلى البلاد الكافرة للنزهة، وينفق الأموال في الفنادق، وفي المتنزهات، ويخالط الكفار، هذا إسراف، وهذا من إضاعة المال وهو سيُسأل عنه يوم القيامة فيم أنفقته؟^(١)



(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي في كتاب صفة انقيامة والرفائق ... برقم (٢٤١٦)، والسيهقي في شعب الإيمان، برقم (١٦٤٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفق؟ وماذا عمل فيما علم؟^(٢).
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة للألباني رحمته الله (٢/٦٢٩).

رضا الله في رضا الوالدين

٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين»^(١). أخرجه الترمذي. وصححه ابن حبان والحاكم.

الشرح

تقدم في الحديث الذي قبل هذا أن عقوق الأمهات مما حرّمه الله، وفي هذا الحديث أن رضا الله جل وعلا في رضا الوالدين. فإذا أردت أن يرضى الله عنك فأرضِ والديك، وإذا أردت أن يسخط الله عليك فأسخطِ والديك؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهذا يدل على عظم حق الوالدين، حتى الكافرين. قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي سَمَيْنٍ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْوَصِيدِ﴾^(٢) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿[لقمدا].

فالوالد الكافر يُصاحَبُ في الدنيا معروفاً. بأد يُتفق عليه، ويُحسن إليه، ويُبرّ به، لكن لا يصيغه في معصية الله، قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق

(١) رواه الترمذي في كتاب لمر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الفضل في رضا الوالدين، برقم (١٨٩٩)، وابن حبان برقم (٤٢٩)، والحاكم (١٥١/٤). وحسنه الألباني رحمته الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة بمجموع طرقه (٤٤/٢).

في معصية الخالق»^(١)، وأخرج البخاري ومسلم نحوه من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام بلفظ: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف»^(٢)، فلو أمرك والدك بترك الصلاة فلا تطعه، لو أمرك أن تشرب الدخان أو تشتري الدخان فلا تطعه، هذه معصية، وليس هذا من العقوق، بل لو أطعته في المعصية صار هذا هو العقوق، فعليك أد تطيع والدك بالمعروف، يعني غير معصية.

(رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين)، ولما جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد قال: «أحيي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(٣)، فردّه إلى والديه، وجعل برّه بهما من لجهاد في سبيل الله تعالى، فدل على أنه لا بد من استئذان الوالدين في الجهاد، قالوا وهذا في الجهاد الذي هو فرض كفاية، لا بد من استئذان الوالدين، أما الجهاد الذي هو فرض عين فلا يُستأذن الوالدان.



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤٢٦، ٤٣٢)، وعبد الرزاق في مصنفه، رقم (٢٠٧٠٠)، والطبرني في الكبير (١٨ رقم ٤٣٢ - ٤٣٥، ٧٥١).

(٢) هو جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٠)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد يؤذن الأبوين، رقم (٣٠٠٤)، ومسلم في كتاب المر ولصلة والأدب، باب بر الوالدين وألهم أحق به، رقم (٢٥٤٩).

الإحسان إلى الجار

٥ - وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١). متفق عليه.

الشيخ -

الجار له حق من جملة الحقوق العشرة التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْحَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، هذه عشرة حقوق منها حق الجار، وهو الذي يجاورك في السكن.

فإن كان مسلماً قريباً فله ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام.

وإن كان مسلماً غير قريب فله حقان: حق لجوار، وحق الإسلام.

وإن كان كافراً فله حق واحد: حق الحوار، بأن نحسن إليه ولا تسيء إليه.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقمه (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب السبل أن من خصص لإيمان أن يحب لأخيه ما يحب نفسه من الخير، برقمه (٤٥) والمفط له

قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ حتى يحب لجاره - أو قال: لأخيه - ما يحب لنفسه». وهن يقول «يحب لجاره ما يحب لنفسه». فكما أنك تحب لنفسك الخير، يجب أن تحبه جاركَ، وكما تكره لنفسك الشر، يجب أن تكرهه لجارك، فكما أنك لا تحب أن يسيء إليك جاركَ فلا تسيء إليه، وكما يجب أن يحسن إليك حرك فأحسن إليه، عليك أن تحب للنس ما تحبه لنفسك، وتأتي إلى الناس ما تحب أن يؤتى إليك^(١)، الإنسان ينصف من نفسه فهذا فيه حق للجار، وأنه حق عظيم.

(والذي نفسي بيده) هذا حلفٌ، حلف ﷺ، وهو الصادق المصدوق من باب التأكيد والاهتمام.

(لا يؤمن عبدٌ حتى يحب لجاره، ما يحب لنفسه) هذا نفي للإيمان. وليس معناه نفي كل الإيمان بمعنى أنه يكون كافراً، لا، هذا معناه نفي كمال الإيمان، (لا يؤمن) يعني. لا يكمل إيمانه. دليل القاعدة الشرعية أن مرتكب الكبيرة لا يكفر وإنما ينقص إيمانه، فهذا من الأحاديث التي فيها بيان نقص الإيمان.

(حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه) هذا فيه حق الحار، وأنتك مساويه بنفسك، فإذا كنت تكره الإساءة إليك فلا تسيء إلى جاركَ، كما أنك تكره الأذى فاكروه لجارك، يجب أن لا يصدر منك في حقه أي أذى، وكما تحب لنفسك دخول الجنة، وتحب الخير عليك أن تحبه لجارك، فإذ رأيت منه تقصيراً في طاعة الله فإنتك تُناصحه، لألك تحب لنفسك لطاعة والخير والإيمان ودخول الجنة، فلا ترى جاركَ على

(١) قر عبد الله بن مسعود ﷺ: «إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه فليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» رواه ابن أبي شيبة رحمه الله في كتاب الزهد، برفم (٣٥٧٠٥)، وذكره العلامة بن القيم رحمه الله في الموايد ص (٢١٧)

معصية وعلى مخالفة وعلى إثم وتسكت عن ذلك؛ لأن هذا من اغش، فمن محبة الخير للجار مناصحته بالتي هي أحسن^(١).



- (١) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يُشير إلى ما أخرج لإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٥)، والطبراني في معجمه الكبير (٨/ ١٣٠، ٧٥٢٣) من حديث أبي أُمّة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو على ناقه الجداء في حجة الوداع يقول «أوصيكم بالجار»، حتى أكثر فقلتُ إنه يورثه» صححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٥٧٣).
- وعر أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة وحسن الجوار، فإن أذى الجار يمحو السيئات كما تمحو الشمس الجليد».
- حسبه العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٩٩٨): وقال. رواه الخلعي في الفوائد (١٨/ ١٧٣).
- ❦ وأخرج الإمام الحري في الأدب المفرد، برقم (١١١)، وابن أبي الدنيا في مكرم الأخلاق برقم (٣٤٥): عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لقد أتى علينا زمان - أو قال حين - وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت النبي ﷺ يقول: «كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب! هذا أغلق بابَه دوني فمَنع معروفه».

أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟!

٦ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟» قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ، قُلْتَ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتَ: ثُمَّ أَيُّ؟» قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتَ: ثُمَّ أَيُّ؟» قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخ

(أَنْ تَجْعَلَ لَهُ نِدًّا) النَّدُّ: هُوَ الشَّرِيكَ الشَّيْبَةُ (وَهُوَ خَلْقُكَ): وَهُوَ الَّذِي أَنْفَرْدَ بِخَلْقِكَ، فَكَيْفَ تَجْعَلُ مَعَهُ شَرِيكًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مِثْلَكَ، فَالْعِبَادَةُ حَقٌّ لِلْخَالِقِ ﷻ، وَلَيْسَتْ لِلْمَخْلُوقِ، وَقَوْلُهُ: (وَهُوَ خَلْقُكَ) هَذَا فِيهِ ذَمٌّ لَشُرْكَ، كَيْفَ نَسُوِّي الْمَخْلُوقَ بِالْخَالِقِ، هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَالتَّنْقِصِ لَهُ ﷻ، وَالشُّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ.

يُليهِ قَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، بَعْدَ الشُّرْكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْنُتُوا لِنَفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، فَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَائِرِ بَعْدَ الشُّرْكِ، وَقَتْلُ الْقَرِيبِ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ، فَإِذَا قَتَلَ قَرِيبَهُ فَهَذَا فِيهِ جَرِيمَتَانِ: الْجَرِيمَةُ الْأُولَى: قَتْلُ النَّفْسِ

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَدْدًا وَأَنْتُمْ قَعْمُونَ﴾، سرقم (٤٤٧٧) واللفظ له، ومسم في كتاب الإيمان، باب كور الشرك أعظم الذنوب ويبدأ أعظمها بعده، سرقم (٨٦).

بغير حق. والجريمة الثانية: قطيعة الرحم والإساءة إلى القريب، فإذا قتل أباه أو قتل ابنه أو قتل أخاه أو قريبه، فهذا أعظم أنواع القتل، وإلا فقتل النفس بغير حق كله حرام وكبيرة، وبكر قتل القريب أشدُّ، لا سيما إذا صاحبه سوء اعتقاد (خشية أن يطعم معك) سوء اعتقاد بالله ﷻ، كما كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر.

(أن تزاني حليلة جارك) الزنى حرام مطلقاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء]. فالزنا حرام مطلقاً، ولكن الزنا بزوجة الجار أشدُّ؛ لأن لجار أئمتك وجاورك، فإذا خنته في أهله فهذا أعظم أنواع الخيانة، والعياذ بالله.

(أن تزاني) وتزاني هذا فيه مشاركة من الطرفين، وأن المرأة رضىت. كلُّ منهما رضى بالزنى، فتكون قد أفسدتها عليه، إذا رضى بها أفسدتها عليه، وتعديت عليه، مع أن الممروص المحافظة على حرمة جارك كما تحافظ على حرمتك، وأن تستر عورات جارك، كما تستر عورات نفسك، لأنه جارك وله حق بأن تستر عليه بأن تحترمه، بأن تحسن إليه، بأن تكف الأذى عنه^(١)، هذا من حقوق الجوار.

(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٨/٦)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (١٠٣) من حديث المقداد بن الأسود ؓ قال: سأل رسول الله ﷺ أصحابه عن الزنى؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فقال: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»، وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام، حرمها الله ﷻ ورسوله، فقال: «لأن يسرق من عشرة أهل أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره».

« قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ؒ: « . وبعض الناس لا يبالي بالأذى، يؤذيهم إما بأسماع آلات الملاهي، وإما بأشبـه أخرى تؤذيهم في بيوتهم، أو يبقى حول أبوابهم ما يؤذيهم، فلواجب لحد من إيذائهم بنحو أو العمل، وأن يكون عواً لهم على الخير، نكرمهم، وتحسن إليهم وترودهم، .

ما جاء في أن التسبب إلى شتم الوالدين من الكبائر

٧ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قيل: وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قال: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخُ

في هذا الحديث أنه لا يجوز للإنسان أن يكون سبباً في الإساءة إلى والديه، فكما أنه هو لا يُسيء إلى والديه، فلا يكون سبباً في الإساءة إليهما، وأعظم الإساءة لشتم والسب، فلا يجوز له أن يتسبب في شتم والديه، قال ﷺ: (من الكبائر شتم الرجل والديه)، فاستغرب الصحابة

- ويزورونك ما دامت الحالة مستورة، وليس هناك ما يمنع من الزيارة، أما إن كان هناك ما يمنع، كإظهارهم المعاصي والبدع، فهم جديرون بالهجر إذا أظهروا المعاصي والبدع، ولم يتوبوا، هم جديرون بالهجر، وعدم الزيارة، وعدم إجابة الدعوة، أما إذا كان لجار مستوراً، أو طيباً، فالتزاور بينك وبينه، والإهداء بينك وبينه، والإكرام والإحسان؛ كله مطلوب، والحديث يدل على وجوب ذلك؛ لأنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»، «فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»، «فَلَا بُؤْذَ جَارَهُ».

هذا يدل على وجوب ذلك، وأن عدم هذا نقص في الإيمان، وإكرام الجار، والإحسان إليه، وكف لأذى عنه من تمام الإيمان، وعدم ذلك من نقص الإيمان. «نظر» كتاب حديث لعماد الدين عيسى بن أحمد (٣٢٧) جمع ورتب أسن مكنة سماحته الأح الشيخ صلاح الدين عثمان أحمد وفقه الله.

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم (٥٩٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان لكبائر وأكبرها، رقم (٩٠).

هل هناك مؤمن يسبُّ والديه، ويشتمُّ والديه؟ قال: (نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه).

والتسبب له حكمُ المباشرة، فلا يسب والديه هو، ولا يتسبب في سبِّهما، فكما يحترم والديه يحترم والذي الآخر، لأن لهما حرمةً، وهذا استدلوا به على قاعدة سد الذرائع؛ لأن سب الآخرين ذريعة إلى سب الوالدين، وما كان يُفضي إلى الحرام فهو حرام، فهذا فيه سد الذرائع، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأعام: ١٠٨].

سبُّ الأصنام هذا واجب؛ لأنه من إنكار المنكر. ولكن إذ ترتب على هذا الإنكار منكرٌ أعظم، وهو أنهم يقابلون ذلك بسبِّ الله ﷻ، فإن الإنسان يمتنع احتراماً لله ﷻ، لا من أجل احترام الأصنام، وإنما من أجل احترام حق الله ﷻ، فإذا كان إنكار المنكر يؤدي إلى منكر أعظم منه، فإنه يمتنع، ويكون هذا من ارتكاب أخف الضررين، لدفع أعلاهما، ويكون هذا من قاعدة سدِّ الذرائع التي تفضي إلى الحرام، فلا يجوز لك أن تسب والديك أو تشتم والديك مباشرة، ولا أن تتسبب في ذلك^(١).

(١) قال الإمام ابن المنذر رحمه الله في كتابه التوضيح شرح الجامع الصحيح (٢٨/٢٤٤): «هذا الحديث أصل في قطع لذرئع، وأن من آل فعله إلى محرم وإن لم يقصد كمن قصده وتعمَّله في الإثم، ألا ترى أنه ﷺ نهى أن يعن الرجل والديه، فكان طاهره تولي اللعن، فلما أخبر أنه إذا سب أب الرجل فسب الرجل أباه وأمه كان كمن تولي ذلك نفسه، وكان ما آل إليه فعده أنه كلعنه في المعنى؛ لأنه كان سببه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأعام: ١٠٨]. وهذه من إحدى آيات سد الذرائع، والثانية: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]. والثالثة: ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ يَارَاسِلَهُنَّ...﴾ [الزور: ٣١]. وكذا قال (المدرري). يؤحد منه المنع من بيع ثياب الحرير ممن يلبسها وهي لا تحل له، وبيع العنب ممن يعصره حمراً ويشربه؛ لأنه ذكر فيه أن من فعل السب فكأنه الفاعل لذلك الشيء مباشرة».

تحريم الهجر بين المؤمنين

٨ - وعن أبي أيوب رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(١). متفق عليه.

الشرح

الواجب على المؤمنين أن يكونوا إخوة بأخوة الإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالمؤمنون إخوة بالإيمان، وهي أخوة أقوى من أخوة النسب، فلا يكون بين الأخوين من المؤمنين قطيعة. كما أنه لا يحصل قطيعة بين الأقارب، وهذا قد سبق بيانه، فكذا لا يكون قطيعة بين لمؤمنين عموماً، وإنما يكون بينهم التواصل والمحبة؛ لأنهم إخوة في الله ﷻ، ولهذا قال: (لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام).

هذا فيه تحريم الهجر بين المؤمنين. إذا كان من أجل أمور الدنيا؛ لأن الناس قد يكون بينهم نزاع وخصومات في أمور الدنيا، فلا ينبغي التهجر من أجل الدنيا، ولكن إن كان ولا بد؛ لأن الإنسان شر، وقد يتأثر في نفسه إذا أخطأ عليه أخوه أو أساء إليه أخوه، فرخص لهما الهجر ثلاثة أيام فقط؛ لأجل أن يذهب ما في نفسه على أخيه، ثلاثة أيام

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الهجرة، برقم (٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب الر والصلة والأدب، برقم (٢٥٦٠).

كفيلة بأن يُذهب ما في نفسه من الهجر لأخيه، هذه رخصة، ولو أنه لم يهجره أصلاً كان هذا أحسُّ

(يلتقيان) يلتقي هو وأخوه الذي بينهما هجرٌ (فيُعرض هذا ويُعرض هذا) وهذا لا يجوز (وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)، دل على أن لسلام يزيلُ القصية، ويزيل الهجر، فإذا سلم رال الهجر، هذا فيه فصلٌ إفشاء لسلام، وأن المتقاطعين إذا سلّم أحدهما على الآخر، فالمسلّم خير من لمسلّم عليه؛ لأنه بادر إلى الخير، وفيه دليلٌ على فصل السلام وأنه يزيل ما في النفوس، وعلامةٌ على المحبة، وفيه أن الذي يبدأ بالسلام خير من الذي لا يبدأ به.

وأم إذا كانت القطيعة من أجل الدين، والهجر من أجل الدين، فيجوز أن يزيد على ثلاثة بقدر الحاجة حتى يترك المهجور المعصية، هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خَلَفُوا خمسين يوماً حتى تابوا إلى الله ﷻ، فتاب الله عليهم، فأذن النبي ﷺ بمكالمتهم والسلام عليهم^(١).

فالهجر إذا كان من أجل معصية فإنه يجوز الرادة فيه بقدر الحاجة حتى يتوب العاصي، ولا يتحدد هذا بثلاثة أيام، وإنما يتحدد بقدر الحاجة، فإذا زالت الحاجة فإنه برول الهجر.



(١) قصه الثلاثة ندين خُفُوا أحرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المعاري، باب حديث كعب بن مالك، برقم (٤٤١٨)، ومسنده في صحيحه في كتاب اتوبة، باب حديث نوبة كعب بن مالك وصاحبه، برقم (٢٧٦٩).
واضح شرح فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله لهذه لقصة من حديث كعب بن مالك ﷺ في شرح رباص الصالحين (١/ ١٢٦) فقد أجد وأهد رحمه الله تعالى.

الترغيب في بذل المعروف

٩ - وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ معروفٍ صدقة»^(١). أخرجه البخاري.

الْتَمَحْ

(كلُّ معروفٍ صدقة) والمعروف ضد المنكر، ولمعروف يكون بالمدل ويكون بالجاه، ويكون بالكلام الطيب، كلُّ شيء فيه إحسان إلى المسلم فهو معروف، سواء كان بالقول أو بالفعل، فمساعدة المحتاح معروف، وسداد حاجات المحتاجين معروفٌ بالمال، وكذلك من المعروف: المعروف بالحاه وهي الوساطة في تحصيل الحوائج للناس، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [الساء: ٨٥].

فالتوسط في حوائج الناس التي يحتاجون في قضائها عند من هي عنده هذا من المعروف، ومن أعظم المعروف، فالكلام الطيب هذا من المعروف، إذا تكلمت مع أخيك بكلام طيب، وسلمت عليه هذا من المعروف، وكذلك من المعروف: طلاقة الوجه وتبسمك في وجه أخيك، لأن كل ما يسرُّ أخاك المسلم فإنه معروف، ولو كان شيئاً يسيراً، ولكن يترتب عليه خيرٌ كثير.

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، برقم (٦٠٢١).
فائدة: أخرج الطبراني في الكبير (١١٠/١٠)، وابن عدي في الكامل (١٢٠/٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤٩/٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل معروف صنعة إلى غني أو فقير فهو صدقة»، صححه العلامة الألباني رحمته الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٨/٥) الحديث رقم (٤٠٢٠).

استحباب طلاقه الوجه عند اللقاء

١٠ - وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ»^(١).

الشرح

(لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً) يعني ولو كان يسيراً (ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ)^(١). طلق بسكون اللام، أو طليق بالياء بمعنى: أن لا تلقاه بوجه مكفهر، أو بوجه مقطّب، لأن ذلك يجرح شعوره، أما إذا لقيته بوجه طلق، فهذا يدخل السرور عليه، فتبسّمك في وجه أخيك صدقة.



(١) روه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقه الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦). وفي رواية لأحمد في المسند (٦٣/٥، ٦٤)، والخاري في الأدب لمفرد برقم (١١٨٢) من حديث جابر بن سليم الهجيمي أن النبي ﷺ قال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط».

(٢) قال الإمام النووي رحمته الله في شرحه لصحيح الإمام مسلم (٨/١٨٠): «فيه الحث على فضل المعروف وما يسر منه وإن قل حتى طلاقه الوجه عند اللقاء»

المعروف إلى الجار ولو كان باليسير

١١ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»^(١). أخرجه مسلم.

الشَّيْخ

هذا يتعلق بالجار أيضاً كما سبق، أن لا تحقرن من المعروف إلى الجار شيئاً ولو كان يسيراً، ولو إذا طبخت مرقّة لحم، تكثر ماءها وتعطي جارك منها، ولا تقول: هذا شيء يسير، أو هذا شيء تافه، لا، بل قد ملاقي حاجة عند الجار وقد يدخل السرور على الجار، فكيف إذا أعطيته

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الرصبة بالجار والإحسان إليه، برقم (٢٦٢٥).

فائدة: قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في حاشيته على سوغ المرام ص (٧٨٧) عقب هذا الحديث. «وحرّح الإمام أحمد (١٦٨/٢)، والدارمي رقم (٢٤٤٢)، وأترمذي رقم (١٩٤٤) في «جامعه» مرفوعاً: «خير الأصحاب خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره» وإسناده صحيح»
* قال ابن عثيمين في دليل الفاضل (١٣٦/٢): «في الحديث الحضر على مكارم الأخلاق، والإرشاد لمحاسنها لما يترتب عليه من لمحة والألفة، ولما يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة ولمفسدة، فقد يتأذى الجار بقدر قدر داره وعياله وصعد ولده ولا يقدر على اتوصل لذلك فتتهيج من صغارهم شهوة ويفوم على القائم بهم لألم والكلفة، وربما كان يتيماً أو أرملة فتكود المشقة أعظم وتشتد منهم لحسرة والأنى، وكان ذلك ليندفع بتشريكهم في شيء من الصبح، فلا أفح من منع هذا البسبر المترتب عليه هذا الضرر الكبير»

شيئاً غير المرق، أعطيته من الطعام، أو أعطيته من اللحم، من الفواكه،
من الملابس، يكون هذا أعظم تأثيراً وأعظم أجراً.
فالمرادُ بهذا الحديث أن الإنسان لا يحقرُ لإحسان إلى الجار،
ولو كان بمرقة.



فضل السر والتيسير على المسلمين وقضاء حوائجهم

١٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...»^(١). أخرجه مسلم.

— الشَّيْخ —

هذا الحديث فيه أربعة أنواع من البر:

الأول: قوله ﷺ: (من نفَس عن مسلم كربةً من كُرْبِ الدنيا، نفَسَ الله عنه كربةً من كُرْبِ يوم القيامة): التنفيس هو التوسيع، أي. من وسَّع على مسلم ضائقةً من ضائقات الدنيا، فإن هذا خيرٌ وإعانةٌ للمسلم، فإن الله جل وعلا يجازيه بأن يوسَّع عليه يوم القيامة، لأن يوم القيامة فيه كربات شديدة، أشدُّ من كرب الدنيا، فمن أراد أن ينقُصَ الله عنه تلك الكرب فلينقُصَ عن إخوانه في الدنيا. فإذا رأى مكروهاً من المسلمين فإنه ينقُصَ عنه كربته، ويوسَّع عليه، ويخرجه من هذه الكربة، ليحد ذلك عند الله يوم القيامة.

(١) رواه مسلم في كتب الذكر والدعاء ولتوبة والاستغفار، باب فصل الاحتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩).

والثاني: (من يستر على معسر يستر الله عليه في الدنيا والآخرة):
 والمُعسر: هو المدين الذي لا يستطيع الوفاء والسداد، وقد طُلب
 مدين، فإذا جاء مسلمٌ وساعده على تسديد دينه، فإن الله جل وعلا يستر
 له ما يستعسر عليه من أمور دنياه وآخرته، سواء كان هذا المدين مدين له
 أو لغيره، إن كان مديناً له فليضع عنه، أو على الأقل يصبر عليه حتى
 يستطيع الوفاء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُرُوسَةٌ فَنُظِرْهُ إِلَىٰ مِيسَرَةٍ وَأَنْ
 تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فإذا أنظره إلى مبصرة، فهذا من
 النيسير عليه، وإذا ترقى ووضع عنه الدين أو شيئاً منه فهذا أعظم، وهذا
 صدقة، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وإذا كان الدين لغيره فإنه يساعده
 على تسديده أو يتحمله عنه، فهذا من النيسير على المعسر، بأن يقرضه
 ما يسدّد به دينه، ثم يرد عليه القرض، أو إذا ترقى فليتحمل عنه الدين
 مجاناً ويسدّد عنه.

الثالث: (ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة):
 ستر على مسلم عورة من عوراتِه، ولم يفصحهُ، اطلع منه على شيء فيه
 عورة، إما أنه إذا طلع أنه وقع في معصية من المعاصي فإنه لا يفصحهُ
 بل يستر عليه، وينصحه ويعظه، ولا يفصحهُ أمام الناس^(١)، أو اطلع
 على سرٍّ من أسرارِه فإنه يستر عليه، ولا يفشيهِ، ولا يكشف ستره، فهذا
 من الستر على المسلم، وجراؤه أن الله يستره يوم القيامة.

الرابع: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه): يقول الله
 جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه «الفرق بين النصيحة والتعريض»: ص (٣٩).
 «إن النصيحة ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة
 المفسدة التي وقع فيها، ولذلك فإنه يستغني أن يكون سرّاً فيمنع بين الأمر
 والمأمور، وأما الإشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرّمه الله ورسوله»

[المائدة: ٢]، تعاونوا على البر، فالإنسان يحتاج إلى المعونة من أخيه في مهامه وفي أموره، هذا عامٌ يعي في جميع الأمور، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه في جميع الأمور، سواء أعانه بمال أو أعانه بحاجه، أو أعانه بمشورةٍ وبيانٍ للصواب من الخطأ، هذا كله من الإعانة.

وأعظم الإعانة أنه إذا رأى على أخيه خدلاً في دينه فإنه يفؤمه، وهذا من الإعانة، بل هذا أعظم من إعطائه المال إذا أعانه على نفسه، وأعانه على تكميل دينه، فهذا من أعظم الإعانة، ويكون جزاؤه أن الله يعينه كما أنه أعان أخاه، والله جل وعلا هو الذي بيده العون.

فهذا الحديث فيه ترغيبٌ في بذل البر مع الناس، وفيه أن الجزاء من جنس العمل.



فضل الدلالة على الخير

١٣ - وعن أبي مسعود البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«من دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(١). أخرجه مسلم.

الشرح

وهذا من أنواع البرِّ، الدلالة على الخير، فإذا رأيت سبيلاً فيها خير فدللت أخاك على ذلك الخير ليفعله، فإنك تكون كفاعله، لك من الأجر مثل أجر فاعل الخير، فهذا فيه أيضاً تعاونٌ على البرِّ، بالدلالة عليه وبياه.

فإذا رأيت محتاجاً وخبرت بحاله من عنده ما ليساعده، فهذه دلالة على الخير، فإذا أعانه فإن لك من الأجر مثل أجر من أعانه، إذا رأيت من أخيك جهلاً في أمور دينه فعلمته الخير وعلمته أمور دينه، واستقام عليها، صار لك من الأجر مثل أجره، إذا نصحته بالصدقة، وبقيام الليل، وبصوم التطوع فلك من الأجر مثله، إذا نصحته بطلب العلم الشرعي، وتعلم بسبب نصيحتك فلك من الأجر مثله، فلا تحقر من أبواب الخير شيئاً ولو بالمشورة والدلالة عليها.



(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعدنة العادي في سبيل الله مرمكوب وعيره . . برقم (١٨٩٣)

حديث عظيم فيه ثلاث مسائل

١٤ - عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللهَ لَهُ»^(١). أخرجه البيهقي.

الشيخ

هذا لحديث فيه ثلاث مسائل:

الأولى: (من استعاذكم بالله فأعيزوه) إذا استعاذ أحد بالله فعليك أن تعيذه، ولا تؤذيه؛ لأنه لجأ إلى الله ﷻ، فأنت لا تؤذيه؛ لأنه صار بجوار الله ﷻ، فلا تلحق به ضرراً، حتى ولو كان أخطأ عليك، فإذا استعاذك بالله من أن تؤذيه ومن أن تجزيه على خطئه في حقه، فإنه ينبغي لك أن تعيذه تعظيماً لله ﷻ، تعظيماً للذي استعاذ به، فإذا لم تُعيذه، هذا يعني أنك تنقصت الله ﷻ، فعليك أن تعيذه، لأن هذا تعظيم لله جل وعلا.

الثانية: (ومن سألكم بالله فأعطوه) إذا قال: أسألك بالله أن تعطيني

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل الله ﷻ، برقم (١٦٧٢)، ولبيهقي في السنن الكبرى (١٩٩/٤)، وأحمد (٢/٦٨، ٩٩، ١٢٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم (١٦١٧).

* وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله في حاشيته على بوع المرام ص (٧٨٨) «ولبعصه شاهد في المسند (٢٥٠/١) ولفظه «من استعاذ بالله فأعيزوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه» وسنده جيد قوي».

كدا، فإذا أقسمَ عليك بالله ﷻ فبرَّ قَسَمَهُ وأعطه ما سأل إن كنت تقدرُ على ذلك تعظيماً لله ﷻ، فإذا لم تعطه وقد سألتَ بالله، فإنك تكونُ قد تنقَّصتَ الله ﷻ، والله جل وعلا يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

(تساءلون) أي: تتساءلون به، فإذا سألكَ بالله فاتقِ الله، ولا تحرمه، لأن في هذا تعظيماً لله ﷻ، فإذا لم تعط من سأل بالله فهذا تنقُصُ لله، وهو نقصٌ في التوحيد.

والثالثة: (ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه) بأن أعصاك شيئاً من المال، أو أكرمك، أو أعانك على شيء تحتاجُ إليه، هذا معروف؛ لأنه غير واجب عليه وإنما بذله معروفاً وإحساناً إليك.

(فكافئوه) بأن تصنع إليه معروفاً مثل معروفه، من باب المكافئة، فالمؤمن يكون كريماً يكفئُ على المعروف ولا يجحده، ولا ينكره، بل يكفئُ عليه، والله تعالى يقول: ﴿هَلْ حَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦﴾، فإذا لم تجد شيئاً تكافئه به عن معروفه، فعليك بالدعاء له (فادعوا له) فادعوا الله له بالخير على معروفه وإحسانه إليك^(١).



(١) قال ابن حبان رحمه الله: «الواجب على المراء أن يشكر النعمة ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته. إن قدر ما الصعب وإلا فسلمش، ولا ما لمعروف بوقوع النعمة عنده، مع ذنب اسحراء له بالشكر، وقوله: جراك الله حيراً». روضة العملاء ص (٣٥٣).

بَابُ الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ

ذكروا له تعاريف كثيرةً أقربها وأقصرها: أنه قمة الرغبة في الشيء، هذا هو الزهد، قال تعالى في إخوة يوسف: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠].

فالزهد: قمة الرعة في الشيء، يقال: زهد في ذلك إذا قلت رغبته فيه.

والزهد مطلوب ومستحسن كما يأتي في الحديث، والزهد ليس معناه ترك الحلال والمباحات، وإنما الزهد: ترك ما لا ينفعك في آخرتك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) رحمه الله.

(١) مجموع الفتاوى (٢١/١٠)

(٢) وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الموائد (١٧٠ - ١٧١):

(الزهد أقسام. زهد في الحرم، وهو فرض عين، وزهد في لشهت، وهو حسب مراتب الشبهة من قويت التحقت الواجب، وإن ضعفت كان مستحباً. وزهد في الفضول. وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره. وزهد في أساس. وزهد في انفس بحيث تهون عليه نفسه في الله. وزهد جمع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد. إحصاء الزهد

وأصعبه: الزهد في الحظوظ.

والفرق بينه وبين الورع. أن الزهد ترك ما لا سمع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة.

والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع).

وقال رحمه الله في الموائد ص (١٣٦).

(لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا. ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد ظنين صحيحين.

وأما (الْوَرَع): فمعناه ترك الأمور المشتبهة، إذا اشتبهت الأمور، ولم تدرك هل هي حلال أم حرام، فالورع أن تتركها لله وَعَلَىٰ. وهذا سيأتي في هذا الحديث التالي.



نظر في الدنيا وسرعة روالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخسئها، وألم المراحمة عيها، والحرص عيها. وما في ذلك من الغصص والنقص والأكد، وآخر ذلك الروال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف؛ فطالبها لا يفك من هم قبل حصولها، وهم في حل الظمر بها، وعم وحزن بعد فواتها. فهذا أحد النظيرين.

والنظر الثاني في الآخرة، وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقيتها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، وانتصاوت الذي بينه وبين ما ههنا؛ فهي كما دل الله سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَثَرٌ﴾ [الأعمى] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه حيالات ناقصة منقطعة مضمحلة.

وإذا تم له هذا المضرا أثر ما يفتضي العقل، شاراه، ورهذ فيما يقتضي ازهده (فيه).

من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه

١ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِيهِ إِلَى أُذُنَيْهِ -: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ. كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» ^(١). متفق عليه.

الْتِمَاحُ

(وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه) هذا لتأكيد أنه سمع هذا من النبي ﷺ بنفسه، ولم يروه عن غيره.

هذا حديث عظيم من الأحاديث الأربعة التي تدور عليها قواعد الإسلام، وقد نظمها بعضهم بقوله:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ أَرْبَعٍ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَذَعْ مَا يَسِرُّ يَغْنِيكَ وَاعْمَلْ بِنِيَّةٍ
أربعة أحاديث: (اتق الشبهات) وهو الحديث الذي معنا، (وازهد)

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة والمرارعة، باب أخذ لحلال وترك الشبهات، برقم (١٥٩٩).

هذا سيأتي في قوله: «ازهد فيما عند الناس يحببك الناس، وارغب فيما عند الله يحببك الله» هذا الزهد، «ودع ما ليس يعينك» كما في حديث الحسن الذي سيأتي: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقوله: «اعملن بنية» هذا كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١)، هذه الأحاديث الأربعة تدور عليها قواعد الإسلام، وهي أحاديث عظيمة.

قوله ﷺ: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ) الحرام بَيِّن في كتاب الله ﷻ، وهو ما نصّر الله على أنه حرام مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالَّذُومُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]. هذا نصّر من الله على تحريم ما ذكر، وقال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، هذا نص من الله على تحريم الصيد ما دام الإنسان محرماً أثناء تأدية فريضة الحج، فلا شك أنه حرام، ولا يشك أحد أنه حرام، أو ما نهى عنه سبحانه؛ لأن النهي يقتضي التحريم مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] هذا نهى صريح، ﴿إِنَّمَا الْحَقْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْوَاجُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وهذا نهى الله عنه ﷻ، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّفَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] لا تقربوا. ولم يقل: لا تزنوا. بل قال: لا تقربوا. أي: تجنبوا الوسائل التي تفصي إلى الزنا، كالنظر والحلوة والسفر بدون محرم، والسفور، كل هذه وسائل للزنى، نهى الله عنها، فكيف بلزنى نفسه!!، هذا لا أحد يقول إنه حلال أصلاً، فالحلال البَيِّن هو ما نصّر الله على تحريمه بلفظ التحريم. أو ما نهى الله عنه نهياً صريحاً، هذا حرام.

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٩٠٦).

(والحلال بيّن) وهو ما نصّ الله على حلّه، مثل قوله ﷺ: ﴿أَمِلْ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ، مَتَّعَا لَكُمْ وَلِلْسَّيَارَةِ﴾ [مائدة: ٩٦]، هذا حلال نصّ الله على حلّه، أو ما سكت الله عنه، ولم يرّد فيه نهْيٌ فهو حلال، لا نحرم شيئاً لا يحرمه الله أو ينهى عنه الله جل وعلا، ما سكت الله عنه فهو عفو فلا نحرمه، هذا هو الحلال البيّن.

(وبينهما) أي: بين الحلال والحرام (أشورٌ مشتبّهات) مشتبّهات: مشككة، يعني: لا يُدرى هل هي من قسم الحلال أو من قسم الحرام، وقد اختلف فيها العلماء نظراً لاختلاف الأدلة فيها، هذه تسمى مشتبّهة.

(لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس) وهم العوام، الذين لا يعرفون حكمها، وأما العلماء فهم يجتهدون ويعرفون حكمها بما أعطاهم الله من القواعد العلمية، أما أكثر الناس وهم العوام، ولذين لم يبنغوا مرتبة العلماء فهؤلاء لا يعرفون المشتبّهات هل هي من الحلال أو من الحرام، ما الموقفُ منها؟ الموقفُ منها تركُّها، حتى يتبين أمرُها. هذا هو الورع، تركُّ المشتبّهات.

وهذا يشمل كلّ المسائل المختلف فيها اختلافاً قوياً بين العلماء، فموقف العامي أنه يتوقف حتى يسأل أحداً من أهل العلم، أما أنه يأخذ بها وهو لا يدري، هذا سيأتي أنه خطرٌ عظيم.

مثلاً إذا اشتبّهت امرأةٌ عليك هل هي حلالٌ لك أو غير حلال؟ فيها شبهةٌ رضاع، هذه يتركها ولا يتزوَّجها من باب الورع والاحتياط، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت فلاة، وجاءتني أمةٌ سوداءُ فقلت: إني أرضعتك وإياها، إذاً تكون أختاً لك من الرضاعة، فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم جاءه وسأله مرةً ثانية، فأعرض عنه، ثم سأله الثالثة، قال: «دعها» أتركها، قال: يا رسول الله، إنها تزعم أنها أرضعتنا، قال: «كيف وقد قيل؟»^(١)، يريد الرجل أن يفتيه الرسول بالجواز، لأن هذه

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب تفسر المشبهات، رقم (٢٠٥٢).

المرأة امرأة واحدة وخبرها مشكوك فيه، أعرض الرسول عنه، ولما ألح عليه أمره بتركها، فقل له: أشكك في خبر المرأة، فقال له الرسول ﷺ: «كيف وقد قيل؟» يعني اتركها، هذه امرأة مشتبهة، فإذا وجدت شبهة رضاع في امرأة لو ثبتت تحريمها عليه، فإن الزرع والاحتياط أن تتركها، وأن تنزوج غيرها، لما وجد النبي ﷺ ثمرة ساقطة على الأرض أخذها، وقال: «لولا أنني أخشى أن هذه من الصدقة لأكلتها»^(١)، هذه التمرة مشتبهة، ربما تكون من الصدقة، والصدقة حرام على لرسول ﷺ، ويحتمل أنها من غير الصدقة، فلما كانت مشتبهة دائرة بين لحلال والحرام تركها الرسول ﷺ. فهذا دليل على اتقاء الشبهات.

(وبينهما أمور مشتبها لا يعلمهن كثير من الناس)، دل على أن القليل وهم العلماء يعرفون حكمها.

(فمن اتقى الشبهات) اتقى: يعني ابتعد عنها (فقد استبرأ لدينه وعرضه) استبرأ لدينه لثلاث يقع في الحرام، واستبرأ معناه: برأ ديه ونزّهه من أكل الحرام؛ لأنه احناط في الأمر، والعرض: النفس والحسب يكون في الإنسان، وإن لم يكن لأبائه شرف، وهو يُمدح ويُذم، واستبرأ لعرضه يعني: كَفَّ كلام الناس عنه، لأنه لو وقع في هذه الشبهة لتكلم الناس فيه، وصاروا يلومونه، ويناولونه بالكلام، أما إذا ترك هذه الشبهة فلناس يكفون عنه، فدلّ على أن الإنسان تتجنب ما يُذم به، ولا يجعل الناس سبيلاً إلى ذمه، والشاعر يقول:

مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذُمُّهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
فَالأَمْرُ الَّذِي فِيهِ مَجَالٌ لِكَلَامِ النَّاسِ أَتْرَكُهُ، سَدَّ الطَّرِيقَ عَلَيْهِمْ، هَذَا

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب ما يُنزه من الشبهات، برقم (٢٠٥٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ، وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب دون غيرهم، برقم (١٠٧١)

من الورع، (فقد استبرأ لدينه وعرضه) دل على أن الإنسان كما يحافظ على دينه من النقص، أيضاً يحافظ على عرضه، لا يترك عرضه يُلاك ويُخدش.

أصون عُرْضي بمالي لا أدنُّه لا باركُ لله بعد العُرْضِ بالمال
أحتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعُرْضِ إن أودى بمحتال

(ومن وقع في الشُّبُهَات) أي: أخذ بالأمر المشته الذي ما بدري هل هو من الحلال أو من الحرام، فقد (وقع في الحرام)، فيه تقدر كلمة، قد وقع، يعني: أوْشَكَ، هو ما وقع في الحرام، ولكن أوْشَكَ أن يقع في الحرام.

ثم ضرب ﷺ مثلاً لذلك محسوساً يعرفه الناس، بالحمى الذي يحميه وليُّ الأمر للدواب ويجعله لإبل الصدقة مثلاً، مثل حمى أبي بكر، وحمى عمر لإبل لصدقة، فالملك له أن يحمي شيئاً من الكلاً؛ لأجل دواب المسلمين العامة وإبل الصدقة وإبل بيت المال؛ لأن هذا فيه مصلحة للناس بعامة، وكان من عادة الملوك في الجاهلية أنهم يحمون مراعي، وهذا ظلم، لا شك أن حمى اجاهلية ظلم؛ لأنهم يختصُّونه لأنفسهم، وقد قال النبي ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: الكلاً والماء والنار»^(١)، فلا يجوز لأحد أن يحمي العُشب من البر، يحميه عن الناس، بل يترك الناس يرعون، وهو يرعى مثلهم، أما أنه يحميه عن الناس فهذا لا يجوز، هذا ظلم، هذا كان موحوداً في الجاهلية، ولكن الحمى الذي حماه ولأه أمور المسلمين هذا ليس لهم، إنما هو لمصلحة العامة.

(ألا وإن لكل حمى) يحميه لدو به، (ألا وإن حمى الله محارمه) والله تعالى له حمى سبحانه، فما هو حمى الله؟ حمى الله محارمه التي

(١) رواه أبو داود في كتاب الإجارة، باب مع الماء. رقم (٣٤٧٧)، والبيهقي في سننه (١٥٠/٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/٦).

حرّمها على عباده، فالحرام هذا حمى الله، وحدود الله كذلك، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: محارمه، لا تقرب محارم الله ﷻ لئلا تقع فيها، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ فابتعد عن الحرام، وذلك بترك المشتبه، لأنك إذا تساهلت في الشهوات، تساهلت في الحرام، والشرع جاء بسد الدرائع، فاترك ما فيه شك إلى ما لا شك فيه.

ثم بين ﷺ الأمر الذي يضبط الإنسان وهو القلب، صلاح القلب أو فساده، فإذا فسد القلب وقع الإنسان في معاصي الله ﷻ. وإذا صح القلب فإن الإنسان يتجنب محارم الله ﷻ، فالمدار على القلوب.

(ألا وإن في الجسد مضغة) والمضغة قطعة اللحم، قطعه صغيرة هي القلب. وهو منك البدن. هذه القطعة الصغيرة لتي تسمى القلب هي منك ابدن، وبقة البدن والأعضاء خدّم لها ورعية لها، فإذا صلح القلب صلحت الرعية، صلحت الأعضاء والجسم، وإذا فسد القلب فسد الجسم وفسدت رعيته؛ لأنه إذا صلح منك صلحت الرعية، وإذا فسد الملك فسدت الرعية، ومنك الحسد هو القلب^(١).

فهذا الحديث فيه العناية بالقنوب. وعلى الإنسان أن يعتني في إصلاح قلبه، والقلب يصح بالطاعات والاستقامة، ويفسد بالمعاصي والشهوات، فعلى الإنسان أن يسعى في إصلاح قلبه بطاعة الله ﷻ، واجتناب محارم الله، وفساد القلب وصلاحه له أسباب من قبل العبد، فإذا أراد أن يفسد قلبه فإنه يترك الطاعات ويفعل المحرمات، فيفسد القلب بذلك، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَنْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُؤُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج ٤٦]. وقال سبحانه: ﴿هُمْ قُؤُوبٌ لَا يَفْقَهُونَهَا﴾ [الأعراف ١٧٩] ليس لمدّر على قطعة اللحم التي تسمى القلب؟ وإنما المدار على صيغة هذه

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٥/١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طاب جنوده وإذا حث الملك حثت جنوده».

اللحمة، هل هي صيغة حسنة أو صيغة سيئة، قد يكون الإنسان سليم لقلب من ناحية الصحة، ولكنه فاسد القلب من ناحية الدين، وقد يكون قلبه مريضاً من ناحية الصحة، ولكن سليماً من جهة لدين، وإذا كان الإنسان عنده مرض في القلب، مرض عضوي، هذا لا يضر من ناحية الدين، فالمدار على هداية القلب أو فساد القلب.

وأعظم ما يُصلح القلب: الدعاء، ولهذا كان النبي ﷺ يُكثر في دعائه من قول: «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك»، فتقول له عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أتخاف يا رسول الله؟ يعني تخاف من الزَّيغ وأنت رسول الله، قال: «يا عائشة، وما يؤمنني؟ وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه»^(١).

وإبراهيم الخليل عليه السلام يقول: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيم الذي كسر الأصنام، وأودى وخرق بالنار بسببها، يحاف من عبادتها؟ نعم؛ لأن القلوب بيد الله، والذي أضل الناس يخشى إبراهيم عليه السلام أن يصله، ﴿رَبِّ إِنِّهٖنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ فلا يزكي الإنسان نفسه، بل يحاف من الله ﷻ، ويسأله الثبات.

وكذلك من أسباب صلاح القلوب: الابتعاد عن أكل الحرام، فإذا أكل الإنسان من الحرام فهذا يُفسد قلبه ويؤثر عليه، وإذا أكل من

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥١/٦)، وابن أبي عاصم في اسنه، برقم (٢٣١)، وقال العلامة الألباني رحمه الله في طلال الحنة، برقم (٢٢٤) صحيح لغيره، وانظر كتاب السنة لابن أبي عاصم بتحقيق الدكتور باسم الحوارة (١/١٧٦).

وفي رواية لمسلم، برقم (٢٦٥٤)، وأحمد (٢/ ١٦٨ و ١٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء». ثم يقول رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبا على طاعتك».

الطيبات فإن هذا سببٌ لصلاح قلبه. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) [اسْمُ سُورَةٍ]، وقال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتِبَاءَ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٢) [القرة]، فأكلُ الحلال سببٌ لصلاح القلب وبصيرته، وأكلُ الحرام سببٌ لفساد القلب وعماء. ولا حول ولا قوة إلا الله

كذلك الغفلة عن ذكر الله سببٌ لفساد القلب، والإكثار من ذكر الله سببٌ لحياة القلب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد]، فالقلب يمرض ويموت، يمرضُ فإن عالجه صاحبه شفي، وإن تركه تزايد المرضُ حتى يموت، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١٠٩) [القرة]، فالمرض معنوي، فعلى الإنسان أن يعتني بقلبه في صلاحه، فإذا بذلت أسباب الصلاح فإن الله يصلحُ قلبك، وإذا بذلت أسباب الفساد فإن الله يفسدُ قلبك^(١).

فهذا الحديث حديثٌ عظيم، وهو من الأحاديث الأربعين التي شرحها الإمام ابن رجب رحمه الله في (جامع العلوم والحكم)، وهو كتاب عظيم ينبغي لطالب العلم أن يُكثر من قراءته؛ لأنه يَحْتَفِظُ أودع فيه من العلم، ومن الفقه، ومن الحكمة الشيء الكثير.

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في إعيانة اللفهان (١/٤٨): (والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها وهي: فتن الشهوات، وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. وقد قسم الصحابة رضي الله عنهم القلوب إلى أربعة كما صرح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «القلوب أربعة. قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق عُرف ثم أنكر وأبصر ثم غمي، وقلب تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما علب عليه منهما»).

ما جاء في ذم الطمع في الدنيا

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»^(١). أخرجه البخاري.

الشَّحْ

هذا الحديث في طالب الدنيا، الذي يطلب الدنيا فقط، ولا يريد الآخرة، وإنما همُّه الدنيا، ولا يهمُّه أمر دينه، وإنما يهمُّه أمر الدنيا، فإن أُعطي شيئاً من الدين، رضي عن الله ﷻ، ورضي عن الناس، وإن لم يُعط منها فإنه يسخط على الله، ويسخط على الناس، هذا دينه دراهمه.

(تعس): يعني هلك، التَّعَسُّ معناه الهلاك والسقوط ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّا أَلَهُمْ﴾ [محمد: ٨] يعني هلاك لهم، دعاءٌ عليهم بالهلاك (عبد الدينار والدرهم والقטיפفة) لماذا سمَّاه عبد؟ لأنه علّق قلبه بها، فصارت كأنها هي ربُّه، علّق قلبه بها، فصار مستعبداً لها، والشاعر يقول:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أنني قنعت لكنت حراً

فهذا الرجل همُّه الدنيا، إن أُعطي منها رضي ومدح وأثنى، وإن لم يُعط فإنه يسخط ويغضب، كما قال الله ﷻ في المنافقين: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ»^(٢) [النوبة]

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله،

فرضهم وسخطهم متعلق بالمان، الذي يرضى ويسخط للمال، هذا منافق. وعبد الدينار وعبد الدراهم. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة]، فهذا فيه ذم الطمع في الدنيا، وأن الإنسان لا يجعل رضاه وغضبه لدنيا، وإنما يجعل غصبه ورضاه لدينه، والله **وَعَلَىٰ**.

أما اندنيا، إن أعطي منها شيئاً أخذته وإن لم يُعْطَ منها شيئاً فإنه يقول: حسبي الله سيؤتي الله من فضله، كان النبي ﷺ إذا وزع الأموال يعطي ضعاف الإيمان، ويتألف المفاقيين ويعطيهم ويكثر لهم. ولا يعطي خيار الصحابة شيئاً، يكلهم إلى دينهم، لأنهم لا يغضون إذا لم يعطوا لإيمانهم، أما ضعف الإيمان فإن الرسول ﷺ يخشى عليهم من الانتكاس فيعطهم تألفاً لهم^(١).

فهذا فيه الورع، وأد على الإنسان أن لا يعلق نفسه بالدنيا، ويجعل غصبه ورضه لها، وإنما يعلق نفسه بالله، وأما الدنيا إذا أُعطي منها شيئاً حلالاً لم يتطلع إليه، ولم يسأله، فإنه يأخذه ويستعين به على طاعة الله. وإذا لم يعط شيئاً، فإنه يكفيه دينه وتوكله على الله **وَعَلَىٰ**، هذا الفرق بين أهل الدنيا وأهل الدين، وفيه الحث على الورع، والتحذير من تعلق القلوب بالدنيا وأطماعها.



(١) بشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يُعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم. . . رقم (٣١٢٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام. . . برقم (١٠٥٩).

كن في الدنيا كأنك غريب

٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وكان ابن عمر يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ^(١). أخرجه البخاري.

الشَّيْخُ

(أخذ النبي ﷺ بمنكبي) بالافراد، ويروى بالثنية بمنكبي، (فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) هذا فيه الزهد في الدنيا، وأن الإنسان لا يتعلق بها، ويجعلها همّه، وإنما يجعل همّه في الآخرة، والنجاة في الآخرة، وليس معنى ذلك أنه يترك طلب الرزق، لا، معناه، أنه يطلب الحلال ليستعين به على طاعة الله، ولكن لا يكون همّه الدنيا، لا يريد الدنيا لذاتها، وإنما يريد الدنيا ليستعين بها على طاعة الله ﷻ.

(كن في الدنيا كأنك غريب) الغريب معروف: هو الذي ليس من أهل البلد، هذا همّه أن يرجع إلى بلده، لا يستريح في بلد لعربة، ولا يبنى، يتحيز أي ساعة يرجع إلى بلده الأصلي، كذلك الإنسان في هذه الدنيا غريب: لأنها ليست داراً له، وإنما دار المؤمنين هي الدار الآخرة،

(١) رواه البخاري في كتاب لرفاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». برقم (٦٤١٦)

فهّمه أنه يذهب إلى الدار الآخرة، ويكون في هذه الدنيا مثل الغريب الذي في غير بلده.

أما الكافر فبلّغه ادّنب، وليس له في الآخرة دارٌ، ولا مكانٌ، ولذلك تحده معلقاً بالدنيا، وكذلك المنافق تجدُّ قلته معلقاً بالدنيا. ولا يذكر الآخرة، ولا يخطر ذكرها بباله. فإذا أردت أن تعرف من هو رجل الدنيا، ومن هو رجل الآخرة؟ فانظر إلى موقفهم من هذه الدنيا، فالمؤمن تجده لا يرغب في هذه الدنيا، ولا يفني عُمره فيها، وفي طلبها، لا يجعلها همه، وإنما همه في الآخرة، وغير المؤمن بالعكس همه الدنيا، ولا يلتفت إلى الآخرة^(١).

(كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرٌ سبيل) هذا سوع آخر (أو) للتنويع، وهي بمعنى الواو والله أعلم. أي كن في الدنيا كأنك غريب وعابر سبيل، المسافر إذا نزل ليستريح تحت شجرة لا يفرح ولا يستقر في هذا المكان، بل يواصل السفر، كذلك طالب الآخرة إنما يعتر هذه الدنيا محطة استراحة مؤقتة، وهي سبيله إلى الآخرة، مثل المسافر الذي ينزل للراحة ثم يرحل.

فالنبي ﷺ يقول: «ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»^(٢)، هذا مثل النبي ﷺ في هذه الدنيا، كل الدنيا عنده، مثل الشجرة يستظل بها وقت القيلولة فقط.

(١) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى ما أخرجه ابن ماجة، برقم (٤١٨٠)، وأحمد في مسنده (١٨٣/٥) من حديث زيد بن ثابت ؓ أن النبي ﷺ قال «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة». نظر: السلسلة الصحيحة للأساني رقم (٩٥٠).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب، برقم (٢٣٧٧).

ثم قال بن عمر رضي الله عنه: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء) - وهذا مُدرَج في الحديث - معناه: لا يَطُلُ أملكُ في الدنيا، ولا تؤخِّر لأعمال بل بادر إليها، لأنه ليس لك إلا الساعة التي أنت فيها، ولهذا يقول الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيبٌ ولك الساعة التي أنت فيها
أما المستقبل فلا تدري أتدرکه أو لا تُدرکه؟

(وخذ من صحتك لسقمك) صحة الإنسان تتغير وتتحوّل، ليس بصحيح دائماً، فعليه أن يستثمر أيام صحته، ما دام الله مقويه، ومُعطيه عافيةً، يستعمل هذه القوة في عبادة الله تعالى، في قيام الليل، في صيام النهار، في الجهاد في سبيل الله، في الأعمال الصالحة، لأنه إذا مرض فإنه لا يستطيع أن يعمل، لا يستطيع أن يصلي ونحو ذلك

(ومن حياتك لموتك) ما دمت حياً في هذه الدنيا، فاستعمل ذلك في طاعة الله، لأنك إذا مِتَّ خُتِمَ العمل، «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»^(١).



= واس ماحه في كتاب الرهد، باب مثل الدنيا، برقم (٤١٠٩)، وأحمد في مسنده (٣٠١، ١) واللفظ له، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث لصحيحة، برقم (٤٣٩ و ٤٤٠).

(١) سق تخريجه ص (٦٦).

الواجب على المسلم أن يعتز بدينه

٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تشبَّه بقومٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). أخرجه أبو داود، وصححه ابن حبان.

الشيخ

التشبه بقوم في أفعالهم بأن يفعل مثل فعلهم أو يتصف بمثل صفاتهم. أو يتكلم بمثل كلامهم، فالتشبه: هو المحاكاة والمماثلة في أقوالهم وأفعالهم وصفاتهم، والواجب على المسمين أن يعتزوا بدينهم، وبما شرعه الله لهم من الأحكام النافعة، وما أمرهم به من الأوامر التي فيها خيرهم. ويتجنبوا ما نهاهم عنه مما فيه ضررهم، وأن يتميزوا عن غيرهم من الناس؛ لأن الله أعزهم بالإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْتَفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَاتَّبِعُوا أَلْعَلَّوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فلإيمان يجعل الإنسان عالياً على غيره بالصفات والسمات الطيبة، قال ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يُعلَى»^(٢)، والمسلم أعطاه الله لميزه على غيره، فكيف يتنازل عن هذه المرتبة إلى ما دونها، مما يس فيه له فائدة فقله ﷺ: (من تشبه بقوم) قوم هذا عام، هذا الحديث خرج

(١) رواه أبو داود في كتاب السير، باب في حب الشهرة، برقم (٤٠٣١)، وأحمد في مسنده (٢، ٥٠، ٩٢)، وقد حسن إسناده سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته في حاشيته على بوع لمرام ص (٧٩٠) طبعه دار الامتياز.
(٢) أخرجه البيهقي في سننه (٢٠٥/٦)، والدارقطني في سننه (٢٥٢/٣)، وحسنه نعلامه لألسي في إرواء الغليل، برقم (١٢٦٨).

مخرج النهي، أي: لا تشبهوه. (من تشبه بقوم) يعثم الكفار والفساق والعصاة، ففيه النهي عن التشبه بهؤلاء، نهى المسلم أن يتشبه بأحد هذه الأصناف، بل عليه أن يترفع بدينه وحُلقه وإسلامه على أن يتشبه بكافر، أو يشبه بفاسق، أو يتشبه بالعصاة، لأنه إذا فعل ذلك فقد تنازل عن كرامته.

والتشبه في الطاهر يدلُّ على المحبة في الباطن؛ لأنه لو لم يكن يحب المتشبه به، لما تشبه به، وقد جاء في الحديث الآخر النهي عن التشبه باليهود والنصارى، وجاء الحديث بالنهي عن التشبه بالمشركين، وجاء النهي عن التشبه بالمجوس، وبأي طائفة من طوائف الكفر كلها، المسلم لا يتشبه بهذه لطوائف الخاسرة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنا كنا أذل قوم فأمرنا الله بالإسلام، فمهما نطلب المزم غير ما أعزنا الله به أذلنا الله)^(١)، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وهذا الحديث فيه النهي عن التشبه بغير المسلمين، بما في ذلك من الانحطاط والتنازل عن ما هو خير إلى ما هو أدنى، وقد ابتلي كثير من المسلمين بالتشبه بالكفار، والتشبه يراد به التشبه بهم في عباداتهم، وفي دينهم، فنعمل مثل ما يعملون من البدع والمحدثات، لما أحدثوا الموالد صرنا نتشبه بهم فنعمل الموالد، هذا منحدرٌ من المشركين، ومن ايهود والنصارى، لما كانوا يبنون على القبور، صار بعض المسلمين يبني على القبور، لأن البناء على القبور من عادة اليهود والنصارى، قال ﷺ: «... أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله»^(٢). فلما كان

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١ ٦١ - ٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/٤٧).

(٢) رواه اسحاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الجمعة، رقم (٤٣٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب انتهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها...، رقم (٥٢٨).

من عاداتهم البناء على معظمتهم، صرنا نتشبه بهم، ولما كانوا يتتبعون الآثار ويعظمون الآثار القديمة لعظمائهم من الرسل، أو من العباد، أو من الملوك، صرنا نفعل مثل فعلهم، فنحیی الآثار، وقد نهان لنبي ﷺ عن ذلك؛ لأن إحياء الآثار للمعظمين يجرُّ إلى الشرك. ولو على المدى البعيد، نأني أجيال تضر أن من هذه الآثار ما هو نافع وما هو صار، يزين لهم شياطين الجن والإنس ذلك.

فنحن منهئون عن التشبه بالكفار في دينهم، وفي عاداتهم المختصة بهم، كالتشبه بهم في اللباس، ولتشبه بهم في الكلام، التشبه بهم في ما هو من خصائصهم، في العبادات وفي العادات، أم الأشياء التي ليست من خصائصهم، إنما هي عامة، فهذا ليس من التشبه مثل طلب الرزق، وتعلم الصناعات، وتعلم الحرف المفيدة، وصناعة الأسلحة، هذا مشترك بين بني آدم، بل ديننا أمرنا بذلك، وليس هذا من التشبه بهم، إنما التشبه بهم فيما لا فائدة فيه، لا في الدين، ولا في الدنيا، وإنما هو من العادات السيئة كحلقي اللحى وإحفاء الشوارب مخالفة لليهود والنصارى والمشركين والمجوس.

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «جزؤا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس»^(١)، وهذا من عاداتهم السيئة، ولما كان اليهود لا يخضبون لحاهم ولا يغيرون الشيب، أمر النبي ﷺ بتغيير الشيب بغير السواد^(٢).

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، برقم (٢٦٠)

(٢) كما في صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة، باب في صبغ الشعر وتغيير الشيب برقم (٢١٠٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أتى بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كلثامة بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد».

والتشبه قد يكون محرماً، وقد يكون مكروهاً، التشبه بهم في ترك تغيير الشيب هذا مكروه ليس محرماً، هذا من باب المكروهات؛ لأن الشيب ليس من صنيعهم، الشيب هذا من فعل الله جلا وعلا، فإذا كان الشيء ليس من صنيعهم فإنه يكره التشبه بهم فيه، وإذا كان من صنيعهم هم، كبدعة الموالد، والبناء على القبور، فالتشبه بهم في هذا حرام، وقد كتب العلماء رحمهم الله في هذه المسألة كتابات، منها ما كتبه شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) وغيره مما أُلّف من كتب ومن رسائل في التحذير من التشبه بالكفار عموماً، وباليهود والنصارى خصوصاً.

قوله: «فهو منهم» أقل أحواله التحريم لأن ظاهره أنه يقتدي بالكفر، لقوله: (فهو منهم)، هذا ظاهره أنه يكفر، إذا تشبه بهم، ولكن أقل أحواله أنه يفيد التحريم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته، يقول: أقل أحواله أنه يفيد التحريم، وإن كان ظاهره أنه يفيد الكفر لقوله: «فهو منهم» كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(١) [المائدة: ٥١].

فهذا الحديث هو أصل عظيم لاعتزاز المسلمين بدينهم، وتمسكهم بما شرفهم الله به من هذا الدين وآدابه، وفيه التحذير من التشبه بالكفار.



(١) انظر. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته، بتحقيق الدكتور ناصر العقل، ص (٢٧٠) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض.

ما جاء في فضل حفظ أوامر الله ونواهيه

٥ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام: إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١). رواه الترمذي. وقل: حسن صحيح.

الشَّيْخ

(كنت خلف النبي ﷺ) وقد جاء في الرواية الأخرى أنه كان رديف النبي ﷺ على حمار، فقال له النبي ﷺ: (يا غلام) العلام هو لصغير؛ لأن ابن عباس رضي الله عنه كان صغيراً في عهد النبي ﷺ، لم يبلغ، وفي رواية: «يا غلام»^(٢) تصغير.

(إني أعلمك كلمات) هذا فيه العناية بالشباب وتوجيههم، فإن النبي ﷺ كان يوجه النصائح حتى للأطفال، ويعتني بهم، منها قوله ﷺ: لعمر بن أبي سلمة وكان ربيباً للنبي ﷺ، كان طفلاً صغيراً فلم جاء يأكل قال له: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»^(٣).

(١) رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، برقم (٢٥١٦)، وأحمد في مسنده (٢٩٣/١) و(٣٠٣/١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٠٧/١).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، برقم (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب لأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهم، برقم (٢٠٢٢).

وجّه النبي ﷺ وهو طفل، وحفظ هذا الطفل هذا التوجيه، انغرس في قلبه، والطفل يقبل التوجيه، ولا ينسى ما يؤمّره به، فيسغي العناية بالأطفال، قال ﷺ: «امروا أولادكم بالصلاة لسبع»^(١)، ومن لازم ذلك أننا نأمرهم بظاهرة والوضوء، ونعلمهم كيف يتطهرون، وكيف يتوضؤون وهم صغار من أجل أن يصلّوا، فالطفل قاصر للتوجيه؛ لأنه خالي الذهن، وفطرته لا تزال نقية وسليمة من المؤثرات، قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه»^(٢).

ولتربية لها دور كبير، إن كانت تربية سقيمة، سلّمت له فطرته ونشأ على الخير، وإن كانت التربية سيئة فسدت فطرته ونشأ على الشر والكفر والضلّال.

(يا غلام إني أعلمك) يدر على أن الرسول ﷺ كان يعلم لأطفال أيضاً، وفيه أن أهل الفضل لا يأنهون من تعليم الأطفال وتربية الأطفال، (إني أعلمك كلمات) كلمات بسيرة، هذا فيه أن المعلم لا يُثقل على المتعلم، بل يعطيه شيئاً فشيئاً، كلمات لأجل أن يحفظها وترسخ في ذهنه، فالمعلم لا يأتي بالأمور والتعليمات دفعة واحدة، وإنما يأتي بها شيئاً فشيئاً. (كلمات) جمع كلمة، وهذه الكلمات أربع:

الأولى. (احفظ الله يحفظك) أي. احفظ أوامر الله ونواهيه، كما قال تعالى. ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة ١١٢]، وقال ﷺ: «هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيطٍ ﴿٢٢﴾﴾ [ز]. يعني - حافظ لحدود الله ﷻ.

- (١) رواه أبو داود في كذب الصلاة، باب متى يؤمر بالصلوة، رقم (٤٩٥) و(٤٩٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٨٠) و(٢/ ١٨٧)، وقد الأسدي في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٠١) (إسناده حسن صحيح، وقال النووي: إسناده حسن) هـ.
- (٢) رواه البخاري في كتاب الحائز، باب ما قيل في أولاد لمشركين، رقم (١٣٥٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

فحفظ الله: حفظ دينه وأوامره ونواهيه، والجزاء (أن الله يحفظك)؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فيحفظك في دينك، ويحفظك في دنياك، يحفظك في دينك بأن لا يحصل في دينك خللٌ أو نقص، بل يحفظ الله عليك دينك، فلا يحصل عليك زيف ولا انحراف، ولا فساد، لأن الله قد حفظك من الفتن، ومن الشرور، ويحفظك أيضاً في بدنك مما تكره، من اعتداء الأشرار عليك، أو اعتداء الحيوانات، أو السباع، أو غير ذلك مما يضرُّك، فإن الله يحفظ العبد، من المكاره ومن الأخطار.

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُوكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد، ١١] معه ملائكة يحفظونه من المخاطر، ومن لمهالك، لولا حفظ الله لهذا الآدمي لهلك في أول خطر، وفي أول مهلكة، ولكن الله جل وعلا هو الذي يحفظه، يحفظه في دينه، ويحفظه في بدنه، ويحفظه في ماله، فيبقى ماله ولا يصاب بالآفات والتلف والسرقة وتسلُّص اللصوص وغير ذلك، نتيجة أنه حفظ الله ﷻ.

«.. ولما وثَّ أحد الشيوخ وثَّةً قوية، سأله عن هذه القوة، قال «تلك جوارحُ حفظها في الصغر فحفظها الله لنا في الكبر»^(١)، حفظناها في الصغر يعني عن المعاصي والسيئات، فحفظها الله لنا في الكبر، وهذا شيء مشاهد، فحفظ الله للعبد مرتب على حفظ العبد الله ﷻ، وعلى العكس، من ضيع أو مر الله وضيع طاعة الله، فإن الله بضيعه ولا يحفظه، لا في دينه ولا في دنياه ولا في بدنه، لأن الجراء من جس العمل.

الثانية: (احفظ الله نَجْدَهُ تُجَاهَكَ) هذه أرفع من الأولى، تحده تُجَاهَكَ يعني: معك، وهذه المعية خاصَّة؛ لأن الله جل وعلا مع عباده كلهم المسلم والكافر والبرِّ والفاجر، معية عامة، بمعنى أنه محيط

(١) انظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ﷻ، شرح الحديث التاسع عشر، ص (٣٤٩).

بأعمالهم، يراهم ويسمعهم ويحصى عليهم أعمالهم ويراقبهم، هذه معية عامة معناها الإحاطة والعلم بكل شيء مما يصدر عنهم من خير أو شر، أما المعية الخاصة فهي بمعنى النصر والتأييد والحماية والتوفيق.

قال تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه].

واجه موسى وهارون أعتى جبار على وجه الأرض، وهو فرعون، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي خَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِئَ﴾ [طه] لأنه جبار، عنده قوة، وعنده كل شيء، وهم اثنان فقط ولا شيء معهم، وفقا أمامه، قال الله لهما: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

ومادا كانت النتيجة؟ إنها إهلاك فرعون وجبروته، ونصرة موسى وهارون عنيهما لصلاة والسلام. هذه معية خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النحل]، وهذا معنى قوله. (احفظ الله تجده تجاهك) يعني أمامك.

الكلمة الثالثة: (وإذا سألت فاسأل الله) إذا سألت حوائجك فاسأل الله؛ لأن حوائجك كلها عند الله ﷻ عنده كل ما نريد، قال الله جلّت عظمتة: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر]، فاسأل الله ﷻ، ولا تسأل الناس، لأن سؤال الناس ذلٌّ وافتقار إلى الخلق، فاسأل الله كل ما تريد من خير الدنيا والآخرة، والله يفرح بسؤالك له، أما ابن آدم فإنه ييغضبك إذا سأته.

الله يغضب إن تركت سؤاؤه وبني آدم حين يسأله يغضب والله يحب السائلين ولملحين، «وينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيه؟» بيده ﷻ

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترعيب في لدعاء والذكر في آخر الليل، برقم (٨٥٧).

كل شيء، وهو الغني وهو الجواد، وهو الكريم، فساله بإخلاص نية وإقبال على الله، والله قريب مجيب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقره: ١٨٦].

وهذا فيه أن العبد يعلق رغبته بالله، ويتوجه إلى الله بحوائجه فلا يسأل الناس؛ لأنك إذا سألت الناس ذلت لهم، وصرت عبداً لهم، ومثوا عليك، وأيضاً سؤال الناس فيه افتقار إلى الناس ودلّة، وقد ورد في إحدى الحكم: اسأل من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن مثله^(١).

إذا اضطر الإنسان لسؤال الناس، يسأل بقدر الحاجة والضرورة، وكونه يستغني ولا يسأل أحسن، ولكن يباح السؤال عند الضرورة بقدر ما يدفع ضرورته، وكذلك سؤال أهل العلم، يجب أن يسأل عن كل أمور دينه، لا يترك أمراً يجهله إلا ويسأل عنه، هذا ليس فيه حياء ولا منع، قال تعالى: ﴿فَسْتَأْذِنُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سج: ٤٣].

والكلمة الرابعة: (وإذا استعنت فاستعن بالله)، الله جل وعلا هو المُعين، فإذا احتجت إلى إعانة فاستعن بالله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وطلب العون من الناس على قسمين:

الأول: طلب العون فيما لا يقدر عليه إلا الله، من شفاء المرضى، وحصول الولد، هذا يعتبر شركاً أكبر.

الثاني: سؤال الناس ما يقدرون عليه من المال، أو من الجهد، فهذا مباح، ولكن تركه والتعفف عنه أحسن.

(١) قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ٣٩): (فأسعد الخلق: أعظمهم عوديه لله، وأم المخلوق فكما قيل: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستعن عن من شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره).

والاستعانة كذلك، الاستعانة بالندس فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا شركٌ أكبر، كالذين يستعينون بالأموال وبالْمَخْلُوقِينَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ، هذا شركٌ أكبر.

أما الاستعانة بالناس فيما يقدرُونَ عليه فلا بأس، يقول الله جل وعلا: ﴿وَسَاوُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوَىٰ وَلَا تَعَاوُوا عَلَى الْإِنِّرِ وَالْمُدُونِ﴾ [المائدة ٢]، ويقول النبي ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، التعاون فيما ينفع هذا طيبٌ، وأم طلب الإعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا لا يجوز وهو شركٌ أكبر.

فهذه كلمات عظيمة، توجبها نوية لابن عباس، ولغيره من الأمة.

ولمزيد من التفصيل عن هذا الحديث، اقرأ ما ورد في (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحديث التاسع عشر^(١)



(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله عن شرحه بهذا الحديث في جامع العلوم والحكم: «وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبر هذا الحديث فأدهشي وكنت أطيئ، فوا أسفي من الجهل بهد الحديث وقمة التهم لمعنه.»

من أسباب محبة الله لعباده

٦ - وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(١). رواه ابن ماجه وغيره وسنده حسن.

الْتَبَحْ

هذا حديث عظيم، وهو من جوامع الكلم، وهو من الأحاديث الأربعة التي تدور عليها قواعد الإسلام كما سبق.

هذا سهل بن سعد رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ فيقول: (دلّني) أي: أرشدني إلى عمل (إذا عملته أحبني الله، وأحبنى الناس) هذا كلام جامع، فقال له النبي ﷺ: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) كلمت جامعة مختصرة.

الزهد: معناه عدم الرّغبة في الشيء، قال جل وعلا: ﴿وَكَاوُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِ﴾ [يوسف: ٢٠]، قال شيخ الإسلام: الزهد: هو ترك ما لا ينفعك في الآخرة^(١).

(١) رواه ابن ماجه في أبواب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم (٤١٠٢)، والمحاكم (٣١٣/٤)، وحسنه الحافظ ابن حجر رحمته الله في تبوع المرام، وصححه الألباني رحمته الله.

في المسئلة الصحيحة برقم (٩٤٤) وقال: «وقد حسنه لنووي والعراقي والبيهقي»
(٢) انظر: مجموع فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢١، ٢٠)، وموسوعة ضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢٢١١/٦).

الزهد في الدنيا: معناه عدم تعلق القلب بها، والسير وراءها، والطمع فيها، وإنما يأخذ المؤمن من الدنيا بقدر ما يُعينه على دينه، وقدر ما يغنيه عن الناس، أما التكثر من الدنيا فهذا مشغلة للإنسان وربما براحم عمل الآخرة، أو أنه يشغله عن عمل الآخرة، الدنيا لبس لها حد، ومطامعها كثيرة، فإذا انفتح على الإنسان باب الطمع في الدنيا فإنه لا يقف عند حد، وقد يُبتلى بالمرض ولا يستطيع أن يأكل ويشرب من المرض، ويجري وراء الدنيا يخشى أن تصيب أمواله أو أن تخسر فتجده مشغلاً بالدنيا وهو محروم من ملذاتها بمرض أصابه، أو ما عده وقت يجلس للأكل والشرب واليوم والراحة لأنه يخشى أن تصيب أمواله أو تخسر أو تُسرق أو غير ذلك، فإذا فتح على نفسه باب الطمع انفتح عليه باب النعب والمشقة على نفسه، أما إذا زهد في الدنيا واقتنع بما يؤتيه الله منها فإنه يرتاح ويسار له في رزقه ويتلذذ في طعامه وشراؤه ونومه، هذه نتيجة الزهد يعني عدم المكاثرة في الدنيا وعدم الانجرار وراءها.

وأعظم من ذلك أن الله يحبّه (ازهد في الدنيا يحبك الله) هذا فيه وصف الله بأنه يحبُّ جل وعلا، يحب العباد الصالحين، ويحب الأعمال الصالحة، يُوصف الله جل وعلا بأنه يحب، هذه من صفات الأفعال الثابتة لله ﷻ، وهي محبة تليق بجلاله ليست كمحبة المخلوقين، كسائر صفاته ﷻ.

(وازهد فيما عند الناس) أي: لا تتعلق برغبتك فيما عند الناس، بأموال الناس، إذا تعلق قلبك فيما عند الناس، وتطعنت إليه، أبغضك الناس، فإذا تركت سؤالهم أحبك، لأنهم ارتاحوا منك فيحبونك، فازهد فيما عندهم، ولا تعلق قلبك فيما عندهم من أجل أن يحبك، وإذا أردت أن يبغضوك اطلب منهم أموالهم واسألهم، تجد منهم الغضب واتضايق والتبرم

فهذا الحديث من لقواعد العامة المفيدة في الإسلام، إذا أردت أن تنال محبة الله فازهد في الدنيا، وإذا أردت أن تنال محبة الخلق فازهد فيما عندهم، ولا تسألهم أموالهم^(١).



(١) عن موسى بن عقبة قال: كتب أبو نرداء إلى بعض إخوانه: (أما بعد: فيني أوصيت بتقوى الله وزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، فإليك إذا فعلت ذلك أحبك الله لرعبتك فيما عنده، وأحبك الناس لتركتك لهم دينهم، والسلام) أخرجه السهقي في شعب الإيماء (١٥ ١٦٢).

« وعن محمد بن كعب القرظي قال: (إذا أراد الله بعد خيراً أرهده في الدنيا وفقهه في الدين، وبصره عيوبه، ومن أوتيهن فقد أوتي خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة) المسحاح في شعب الإيماء لسحيمي (٣٨٩، ٣).

من أسباب محبة الله للعبد

٧ - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ» ^(١). أخرجه مسلم.

الْتِمَحُّ

(سعد بن أبي وقاص) أحدُ السابِقين الأولين إلى الإسلام والمهاجرين، وأحدُ العشرة المبشرين بالجنة، رضي الله عنه.

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ) ثلاث صفات يحب الله صاحبها، وهذا أيضاً فيه وصفُ الله بأنه يحب محبةً تليقُ بجلاله ﷻ.

الصفة الأولى: (يحب التقي) المتصف بالتقوى، وتقوى الله: هي فعلُ أوامره طمعاً في ثوابه، وتركُ ما نهى عنه خوفاً من عقابه. سُميت تقوى؛ لأنها تقي من عذاب الله، مأخوذة من الوقاية وهي ما يقي من المكروه، فطاعةُ الله ﷻ سُميت تقوى؛ لأنها تقي من عذاب الله ﷻ، وتقي من النار.

والتقوى: كلمةٌ جامعة تجمع كلَّ خصالٍ لحير، وقد علق الله بها خيرات كثيرة، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، وقال جل شأه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق ٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف ٩٠]، فالتقوى علق الله عليها خيرات كثيرة، وعلق عليها النجاة من النار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرفق، برقم (٢٩٦٥)

وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴿٧٦﴾ [مريم]، فهي كلمة جامعة وفوائدها عظيمة، وهي تعني أن يمثل العبد أوامر الله رجياً ثوابه، وأن يتجنب محارم الله حائفاً من عقابه، هذه هي التقوى، يحب الله المتقين، وهذا في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ٤]، وكذلك يحب التوابين، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُسْكِرِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢].

الصفة الثانية: (الغني) المراد بالغني: غني القلب، القنوع بما رزقه الله، الذي ليس له فيه جشع، وليس فيه طمع كثير، قال ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغني غني القلب»^(١). تجد بعض الناس غنياً وإن كان ماله قليلاً، إذا رزق القناعة، وتجد من الناس فقيراً القلب وإن كانت عنده أموال الدنيا.

الصفة الثالثة: (الخفي) الذي لا يحب أن يظهر أمام الناس بالأعمال، يخفي أعماله، ويسرّها إخلاصاً لله ﷻ، ولا يحب المدح، ولا يحب الثناء، يعمل الأعمال الصالحة، ويفعل الخير، ولا يحب أن يراه الناس، يخفي أعماله، هذا هو الذي يحبه الله ﷻ، لأنه بعيد عن الرياء قريب من الإخلاص لله ﷻ. لا يحب الظهور، ولا يحب المدح والثناء من الناس، وإنما يحب رضا الله ﷻ وما يقرب إليه، هذا هو الذي يحبه الله ﷻ، وفي رواية (الحفي) بالحاء، وهو الذي يحتفي بأقاربه، ويحتفي بأرحامه ويكرمهم، ويحتفي بإخوانه المسلمين.

في الحديث وصف الله جل وعلا بالمحبة، وفيه فضل هذه الصفات: التقوى، وغنى القلب، والإخلاص لله ﷻ في الأقوال، والأعمال، والزهد في الثناء والمدح من الناس، لا يهتم مدح الناس أو ثناء الناس، وإنما الذي يهتم به رضا الله ﷻ، وحتى لو سخط عليه الناس ودموه، فلا بهمه هذا.

(١) رواه البحاري في كتاب ترقاق، باب الغنى عني النفس، برقم (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس العني عن كثرة العرض، برقم (١٠٥١).

من حُسن إسلام المرء

٨ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(١). رواه الترمذي، وقال: حسن.

— الشَّيْخُ —

وهذا أيضاً من الأحاديث الأربعة التي تدور عليها قواعد الإسلام. (من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنیه) من العناية، وهي الاهتمام، أي أن الإنسان يترك ما لا يهمه في دينه وآخرته، وإنما يهتم بأمور دينه وأمور آخرته^(٢).

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، وهو يشمل حصلاً كبيرةً، كلُّ ما شرعه الله فهو من الإسلام. وما نهى عنه فاجتنابه من الإسلام، فالإسلام: هو فعل الطاعات، واجتناب المعاصي والمنهيات، وفي الحديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٣).



(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب رقم (٢٣١٧)، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٦٦).

(٢) قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من عبد كلامه من عميه قلّ كلامه إلا فيم يعنيه... جامع العلوم واحكم حديث (١٢).

(٣) رواه البيهقي في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، برقم (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاصيل لإسلام وآي أموره أفضل، برقم (٤٠).

النهى عن الشبع والتنعم بالدنيا

٩ - عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن»^(١). أخرجه الترمذي وحسنه.

الشَّخْخ

هذا فيه النهي عن الشَّخْخ والتنعم بالدنيا. (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن) لأنه إذ ملأ صَته فإن هذا ضررٌ عليه في دينه، وفي صحته. في ديه يثبُطه عن الطاعة ويكسسه عن العبدية، ويجعله ثقيلاً وميلاً إلى لوم. ويؤثر على قلبه. ويصطبُّ قلبه بالكسل والحمول وعدم التفكير والبلادة.

وفي صحته ذكر الأطباء أن التُّخمة تُورث أمراضاً كثيرة. أيضاً الإنسان إذا شبع فإن هذا بحمله على الأشر والنظر، وأما إذا جاع فإن هذا يحمله على التواضع والذلة والمسكنة، إذا قتل من الطعام والشراب فإن هذا يحمله على لين الجانب، ويحمله على المواضع، أما إذا شبع فإن هذا يحمله على الأشر والبطر والتكبر، والجري وراء الشهوات، كل ما تشتهي نفسه تحضره وبأكله، ولا هم له إلا بصره وشهواته، هذا مذموم، وهذا يورث أمراضاً صحيحة، قد يحدث فيه مرضاً يقلبه بسبب السخمة

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجة في كتاب لأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع، برقم (٣٣٤٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٢٦٥)، وإرواء الغليل، برقم (١٩٨٣).

فالشبع ضارٌّ في الدين والدنيا والصحة، والنبي ﷺ يقول: «بحسب ابن آدم لقيماتٌ تقليل وتصغير يُقِمَّنْ صُلْبَهُ، فإن كان لا بدَّ فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه». أما أنه يملأ البطن كله، ولا يجعل لشراب مجالاً، ولا للنفس مجالاً، فهذا شرٌّ (ما ملأ ابنُ آدم وعاءَ شراً من بطنٍ). فعلى الإنسان أن يراعي هذا الأدب النبوي، ولا يُكثر من طعام، ولا يكثر من الشهوات، وأيضاً إذا صار عنده شرةٌ في الأكل فربما لا يكفيه الحلال، يروح يطلبُ الحرام ليشبع رغبته، فالشبع فيه مضارٌّ كثيرة، وفيه شروءٌ كثيرة، فعلى الإنسان أن يقلل من الطعام ولو كان يشتهيهِ، كما قال النبي ﷺ: يجعلها ثلاثاً، ثلثاً لطعامه، وثلثاً لشرابه، وثلثاً لنفسه، هكذا أرشد النبي ﷺ.



كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ

١٠ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١). أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وسنده قوي.

الشيخ

(كل بني آدم خطاء) يعني يقع في الخطأ؛ لأن الإنسان بحكم ضعفه فيه عرضة إلى الخطأ، ولا أحد يسلم من الخطأ.

الخطأ: هو المعصية والذنوب، فيقع منه معصية، ويقع منه ذنوب، هذه طبيعة الإنسان، ولكن الله بمنه وفضله لعلمه بهذا الإنسان فتح له باب التوبة.

(خير الخطائين التوابون). فإذا وقع الإنسان في الخطأ فليبادر بالتوبة، والتوبة في اللغة: الرجوع، والمراد به هنا: الرجوع إلى الطاعة، فهذا فيه أنه لا يوجد من يسلم من الخطأ من بني آدم، والأخطاء تختلف، ولكن على الإنسان أنه إذا حصل منه خطأ أن يبادر بالتوبة والاستغفار، والتوبة تجب ما قبلها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧] ليس الجهالة عدم لعدم، وإنما الجهالة ههنا المراد به عدم العلم.

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الرهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥١)، وقال الألباني في هداية الرواة (٢/٤٤٩): (وإسناده حسن وصححه الحاكم (٢/٤٤٤)).

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْحَاهِلِينَ
 فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ
 بِمَحَالَةٍ﴾ يَعْنِي بَعْضُهُمْ وَعَدَمِ رَوِيَّةٍ، وَعَدَمِ تَفَكُّيرٍ، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرَبٍ﴾
 [النساء: ١٧] يَتُوبُ مَنْ قَرَبَ لَا يُوَخِّرُ التَّوْبَةَ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ
 يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥)
 [ال عمران].

كَأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ الْخَبَرُ أَنَّ الْوُقُوعَ فِي الْأَخْطَاءِ مِنْ طَبِيعَةِ
 الْإِنْسَانِ، وَلَكِنْ بِكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ فَتَحَ لَهُ بَابَ التَّوْبَةِ، وَهَذَا عِلَاجُ الْأَخْطَاءِ،
 التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ.



الصَّمْتُ حِكْمَةٌ

١١ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ»^(١). أخرجه البيهقي في (الشعب) سند ضعيف، وصحح أنه موقوف من قول لقمان الحكيم.

الشَّيْخُ

(الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ) يروى عن النبي ﷺ، والرجح أنه مأثور من قول لقمان الحكيم الذي ذكره الله في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ إِذِ اشْكُرَّ لِلَّهِ﴾ [لقمان ١٢]، وهو رجل حكيم، ورجل أسود، يقال: إنه من الحبشة، آتاه الله الحكمة والعلم، وصار كلامه كلام حكمة، وذكر الله وصاياه لابنه في القرآن.

فالأراح - والله أعلم - أن هذا من كلام لقمان، وله منسنة: (يُروى أنه حضر عند داود عليه السلام، وكان داود يصنع الدروع من الحديد، ألان الله له الحديد فصار يصنع منها الدروع التي يلبسها المقاتلون لتقيهم من السلاح، جلس عنده وهو يشتغل بالحديد فأراد أن يسأله ما هو هذا الشغل؟ لكنه تصبّر إلى أن فرغ داود عليه السلام من صناعة الدرع ولبسه، فعرف

(١) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) برقم (٤٦٧١)، وقاب. (هذا هو الصحيح عن أنس أن لقمان قال: «الصمت حكمة وقليل فاعله»)، والحاكم (٤٥٨/٢)، وذكره الإمام القرطبي في (الجمع لأحكام القرآن) (٤٧٠/١٦) طبعة مؤسسة الرسالة، ونظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني برقم (٢٤٢٤).

لقمان المراد بهذه الصنعة، ولماذا كان داود عليه السلام يشتغل بهذا الحديد؟ وقال عند ذلك: الصمتُ حكمةٌ وقليلُ فاعله^(١)، يعني أنه بما صبر إلى أن أتم داود عليه السلام الدرع عرف المقصودَ منه بدون سؤال.

وفي هذا الأثر سواءً كان عن الرسول ﷺ أو عن لقمان فيه مشروعيةُ حفظ اللسان عن كثرة الكلام، وهذا جاء في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢)، إذا رأيت أن الكلام فيه فائدة، وفيه خير تَكْتُم، وإلا فاحفظ لسانك، وقار ﷺ معاذ: «هل يكُتُّ الناسُ في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم»^(٣).

فالكلام لا شك أنه خطرٌ على الإنسان إلا إذا توقي منه وحفظ لسانه، ولا يكلم إلا بما فيه فائدة، الكلام قد يكون منه شركٌ، وقد يكون منه عيبةٌ ونميمة، وقد يكون منه شتمٌ وسبٌ، فاللسانُ خطير، يقول النبي ﷺ: «من يضمن لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٤).

(وَقَلِيلُ فَاعِلُهُ) كثير من الناس لا يصبر، ولكن القليل من الناس هو

(١) سبق تحريجه ص (١٣٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب البحث على إكرام المحار وانصاف ولزوم الصمت إلا من الخير...، رقم (٤١).

(٣) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (٢٦١٦)، وسنماجه في كتاب الفتى، باب كيف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب الترقى، باب حفظ السر، رقم (٦٤٧٤).

الذي يصرُّ ويمسك لسانه، فإذا رأى له مجالاً في الكلام، وللکلام فائدةً تكلم وإلا سكت^(١).

فهذا فيه مشروعية التقليل من الكلام إلا بما فيه فائدة وما فيه خير^(٢).

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا حفظ اللسان، وأن يحفظنا من الكلام الذي يكون علينا لا لنا. ويجعل كلامنا فيما ينفعنا، وفيما يفيدنا في ديننا وآخرتنا إنه سميع مجيب.



(١) وروى الترمذي في كتاب صفة القيامة (باب فليكرم صيفه) رقم (٢٥٠١)، وأحمد في مسنده (١٥٩/٢ و ١٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «من صمت نجا». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (٩٥٠).

(٢) روى البيهقي في شعب الإيمان (٨٣/٨): عن عائشة رضي الله عنها قالت «يتوضأ أحدكم من الطعام الطيب يأكله ولا يتوضأ من كلمة العوراء يقولها». وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «من كثر ضحكته قتت هيئته، ومن كثر مراحه استخف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات فيه» شعب الإيمان للبيهقي (٨٦/٨).

بَابُ الترهيب من مساوئ الأخلاق^(١)

(الترهيب): هو التخويف والتفريع والترويع، و(مساوئ الأخلاق): هي الأخلاق السيئة، كالغضب والبخل والظلم، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة، لأن الله ﷻ أمر بمحاسن الأخلاق والاتصاف بالصفات الطيبة، هذه صفات أهل الإيمان، وأما الأخلاق السيئة والذميمة فهي صفات المنافقين والكفار.



(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الموائد ص (٢٠٩):
 (...) أصل الأخلاق المذمومة كنها الكبر والمهانة والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كنها الخشوع وعلو الهمة؛ فالفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغي، والخيلاء والظلم وفسوسة والتجبر والإعراض؛ وإياء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة، وأن يُحمَدَ بما لم يفعل... وأمثال ذلك؛ كلها ناشئة من الكبر.
 وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة، والطمع والفرع والجبن والبخل والعجز والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير... وسوا ذلك؛ فيها من المهانة والدناءة وصغر النفس.
 وأما الأخلاق المفاضلة؛ كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجلود والحلم والعفو والصفح والاحتمال، والإيتار وعزة النفس عن الدناءات والتواضع والقناعة والصدق والإخلاص والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس وترك الاشتغال بما لا يعنيه وسلامة القلب عن تلك الأخلاق المذمومة... وسوا ذلك؛ فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة)

إياكم والحسد

١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»^(١).
أخرجه أبو داود.

ولابن ماجه من حديث أنسٍ نحوه^(٢).

الشيخ -

من مساوئ الأخلاق: الحسد، وقد حذر منه النبي ﷺ فقال:
(إياكم ولحسد) هذا تحذير، فهذه لصيغة صيغة تحذير، ثم بين أنه
لحسد فقال: إنه أهلك لأمم التي قبلنا.

والحسد معناه تمنّي زوال النعمة عن المحسود، إذا رأى على

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الحسد، رقم (٤٩٠٣)، وحديث
صحه الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمته الله في حاشيته على سنن أبي داود المرام ص
(٧٩٣)، والشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم (١٩٠٢).

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحسد، رقم (٤٢١٠)، وصحه العلامة
الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٩٣)، وفي
التحفة الكريمة ص (١٣٩).

فائدة قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله في حاشيته على سنن
المرام ص (٧٩٣): «وكلاهما ضعيف لأن في إسناد الأول منهما لا يعرف وهو
لراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قلله الحافظ في التقرير (٨٥٨٤) وهو جد إبراهيم
بن أسيد، وفي الثاني عيسى بن أبي عيسى، الحبط وهو متروك كما في التقرير
(٥٣٥٢) هـ. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، رقم (١٩٠١).

أحد نعمة من الله فإنه يتمنى زوالها عنه، سواءً أَرادها لنفسه أو أن تزول عن المحسود فقط. هذا هو الحسد، وأما أن يتمنى أن يكون عنده مثل ما عند المحسود من النعمة فهذا ليس حسداً، هذا يسمى بلِغْطَة، وقد قال النبي ﷺ: «لا حسدَ إلا على اثنتين: رجلٌ آتاه الكتاب فقام به آناء الليل، ورجلٌ أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار»^(١)، فيراه إنسانٌ مؤمن فيتمنى أن يكون مثله. فهذا ليس حسداً بل هذا محمودٌ أن الإنسان يتمنى أن يكون مثل أهل الخير، ويقتدي بهم.

والحسد: هو أولُ ذنب عُصِيَّ الله به، وذلك أن إبليس لما حسد آدم، لأن الله جل وعلا فضّل آدم، وقد خفقه بيده، وعلمه الأسماء كلها، فضّبه على الملائكة في العنم، وأمر الملائكة بالسجود له إكراماً له، لا عبادةً له، لأن العبادة إنما تكون لله، كما أن أبوي يوسف وإخوته خرّوا له سجداً إكراماً له وتحية له، وهذا جائزٌ في شرع من قبلنا، أما نحن فنُهينا عن السجود للبشر مطلقاً، الحاصل أن الله لما فضّل آدم حسده إبليس، وأبى أن يسجد له من باب الحسد، فعصى أمر ربه، فعاقبه الله ﷻ باللعنة والطرْد والإبعاد لما فسق عن أمر ربه وعصى، والذي حمّله على ذلك الحسد.

والحسدُ هو الذي حمل ابن آدم على قتل أخيه، قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [مائدة: ٢٧]، الذي لم يُتَقَبَّلْ منه قال لنذّي تقبل الله

(١) رواه البحاري في كتاب فضائل القرآن، باب اعتبار صاحب القرآن، برقم (٥٠٢٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين... باب فصل من يقوم بالقرآن ويعلمه... برقم (٨١٥)

* قال الفصيل بن عياض رحمه الله: «المؤمن يعبط ولا يحسد، العصة من الإيمان والحسد من النفاق» سير أعلام النبلاء للذهبي (٨ ٤٣٧).

منه: لأقتلنك، حسده على نعمة الله ﷻ، قتل أخاه ظلماً وعدواناً بسبب الحسد، وهو أول قتلٍ على وجه الأرض، وهو أول من سُرَّ القتل^(١)، وذلك يكونُ عليه إثمٌ في كل نفس قُتلت ظلماً، وهذا بسبب الحسد.

وكذلك اليهود لما بُعث محمدٌ ﷺ، وكان من العرب حسدوه، حسدوا العرب على هذه النعمة؛ لأنهم يريدون أن تكون النبوة في بني إسرائيل، ولا يريدونها أن تكون في غيرهم، فحسدوا نبينا محمداً ﷺ وكفروا به، حملهم الحسدُ أنهم كفروا به، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وكذلك الحسدُ هو الذي يسبب القتلَ والبغى والعدوان بين الناس، كله من جرّاء الحسد، فالحسد خصّة مذمومة، فيجب على المسلم أن يحذره، وإذا وجد في نفسه شيئاً منه، فليستعد بالله، وليدفعه، ولا يتفاعل مع الحسد، بل يدفعه ويستعيد بالله؛ لأن الحاسد يعترض على الله في قضائه وقدره، فهذا من مساوئ الحسد أنه اعتراضٌ على الله ﷻ.

ثم إن الحاسد لا يدرك شيئاً، إنما يحرق نفسه، ويقتله الحسد، ويتحسر لأنه لا يقدر على أن يمتع نعمة الله ﷻ، وهو يريد أن تزول عن هذا الشخص، فيتحسر ويأكله الحسد، ولهذا يقول الشاعر:

لله درُّ الحَسَدِ ما أعدلُهُ بدأ بصاحبِهِ فَقَتَلَهُ
وأيضاً أشدُّ من ذلك أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

(١) لعل فصيحة الشيخ حوطه الله يشير إلى الحديث الذي أخرج الإمام أحمد في المسند (١، ٣٨٣) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل». وانظر تفسير ابن جرير وابن كثير رحمهما الله للآيات (٢٧ - ٣١) من سورة المائدة.

كما قال النبي ﷺ، لأنه يعترض على الله ﷻ؛ لأنه يريد أن ينتقم من أخيه ويزيل عنه النعمة ولو بالقتل. فهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وهذا خطرٌ شديدٌ.

فهذا الحديث فيه ذمُّ الحسد وبيانُ ضرره على الحاسد، وفيه التحذير من هذه الخصلة^(١).



(١) وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد ص (٢٠٣): «وللحسد حد؛ وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه بطيره، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصغر نفس، قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس» رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) فهذا حسد منافسة يطلب الحاسد به نفسه أن يكون مثل المحسود، لا حسد مهانة يسمى به زوال النعمة عن المحسود».

إنما القوي الذي يملك نفسه عند الغضب

٢ - وعنه عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخُ

ومن مساوئ الأخلاق أيضاً: الغضب، العصبُ غريزة في الإنسان تثور عند أسباب تهيجها، فيريد الانتقام من المعصوب عليه، فالذي يقوى على منع نفسه من الانتقام، هذا هو الشديد، يعني. القوي، (وليس الشديد بالصُّرْعَة) الذي يصرعُ الناس بقوة بدنه، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. فلا ينفذ الغضب.

والغضب على قسمين:

الأول: إذا كان الغضب لله ﷻ ولُحْرمانه، فهذا غضب محمود، أن يغضبَ الله ﷻ إذا انتهكت حرمانه، كان النبي ﷺ يغضب إذا انتهكت حُرَمَاتِ اللَّهِ

والثاني. الغضب الذي يكون سببه حبُّ الانتقام من الناس إذا أساءوا إليه، أباح الله لمرءٍ أسىء إليه أن يقتصر، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ ولكنه رغب في العفو. وأن يكظم الإنسان غيظه، ويعفو. قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْحَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى ٤٠].

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب لحذر من العصب، برقم (٦١١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب برقم (٢٦٠٩).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢٦) وَمَا يُلْقْنَهَا إِلَّا الْإِنْسَانُ صَبْرًا وَمَا يُلْقْنَهَا إِلَّا دُوْ حَظٌّ عَظِيمٌ (٢٥) وَمَا يَرَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٦) [أصبت]. فإذا غضب الإنسان على أحد في غير حرُمات الله ﷻ فإن الواجب أن يعفو عنه، وأن يملك نفسه عن الانتقام، والله جل وعلا يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [ال عمران ١٣٤]. هذا مدح العافين عن الغير، الكاظمين الغيظ الذين يكظمون غيظهم وغضبهم، ولا يظهروه.

وقد جاء علاج الغضب بأشياء:

الشيء الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَرَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [أصبت ٢٦]. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل ٩٨]. وتسبب رجلان عند النبي ﷺ، أو حضرته وهو يراهم، فتأثر أحدهم حتى احمر وجهه وانتفخت أودجه، فقال ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» (١).

والشيء الثاني: أنه إذا غضب بتوضاً أو يغتسل؛ لأن العصب من الشيطان، والشيطان مخلوق من النار، والنار يطفئها الماء، فإذا غصت فبغتسل أو بتوضاً بالماء (٢).

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الحوق، باب صفة إبليس وحواده، رقم (٣٢٨٢). ومسلم في كتاب السر والصفة ولأدب، باب فصل من يملك نفسه عند غضب. . رقم (٢٦١٠).

(٢) قد سماه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في حديثه على سماع المراء (ص ٧٩٤) "خرج أبو داود برقم (٤٧٨٤) بإسناد حسن عن عطية السعدي رحمه الله مرفوعاً: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»

الشيء الثالث: إن كان قائماً فليقعد، وإن كان قاعداً فليضطجع حتى يزول عنه الغضب^(١).

والنبي ﷺ في هذا الحديث يُثني على الذي يملك نفسه عند الغضب، بأنه هو القوي، لقوة المعنوية، وليس القويُّ قوياً البدن، الذي إذا تصارع مع الناس يصرعهم.



(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى ما أخرجه أبو داود في أول كتاب الأدب برقم (٤١٨٢)، وأحمد (١٥٢/٥) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ». * وأخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٤٥ و ١٢٢٠)، والإمام أحمد في مسنده (٢٣٩/١ و ٢٨٣ و ٣٦٥) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ».

الظلم ظلمات يوم القيامة

٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). متفق عليه.

الشيخ

ومن مساوئ الأخلاق: الظلم. والظلم: وضعُ لشيء في غير موضعه، ويُطلقُ الظلمُ ويراد به انقصر. كما قال تعالى: ﴿كُنَّا الْجَنَّةَيْنِ ءَاتِ كُلَّهُمَا وَلَمْ نَظْلِمْ مَنَّهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣] يعني لم تنقص منه شيئاً.

والظلم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول ظلمُ الشرك، وهذا أعظمُ الظلم، سُمي ظلماً؛ لأنه وضعُ للعبادة في غير موضعها، فهو أعظمُ الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَبْسُؤُوا بِمِثْلِهِم بِظُلْمٍ﴾ [الأعراف: ٨٢] يعني شرك. فهذا أعظمُ الظلم.

النوع الثاني: ظلمُ الناسِ في أعراضهم، أو في أموالهم. أو في أبدانهم، بأن يتعدى عليهم بغير حق. وهذا ظلمٌ خطيرٌ، والنبى ﷺ يقول: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليسَ بينها وبين الله حجابٌ»^(٢). حتى

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، برقم (٢٤٤٧).
ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم، برقم (٢٥٧٩).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب البركة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء. . برقم (١٤٩٦). ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (١٩).

الكافر لا يجوزُ ظلمه، ولو دعا عليك وهو كفرٌ قبلت دعوته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم)، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَكْبَرُ شَرِّدٍ﴾ (هود)، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْلَاهُ لَمْ يُقْلِتْهُ»^(١). هذا ظلم الناس.

وظلم الناس لا يسفُظ عن الإنسان ولو تاب إلى الله، لا بدَّ أن يسامحوه، فإذا سامحوه سقط عنه الإثم، أو إذا ردَّ عليهم مظلَمهم، أو مكَّهم من القصاص منه، امهم لا بد من أداء المضام إلى أهلها في هذه الدنيا، وإلا فإنها ستؤدى يوم القيامة من حسناته، كما جاء في الحديث أن الرجل يأتي بأعمالٍ صالحةٍ أمثل الجبار، «ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طُرِحَ في النار»^(٢).

ولهذا قال ﷺ: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلَّله منه اليومَ قبل أن لا يكونَ دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسناتٌ أخذ من سيئات صاحبه فحوِلَ عليه» يعني يوم القبامة^(٣).

النوع الثالث: ظلم العبد لنفسه، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ (طه ٣٢)، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء ٣٦)، ودلت

(١) روه البخاري في كتاب تفسير، باب قوله: ﴿وَيَقُولُ لَا شَهِيدُ هَؤُلَاءِ الْيَرَبُ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، برقم (٤٦٨٦)، ومسم في كتاب لبر و لصة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).

(٢) روه مسم في كتاب البر و اصة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨١).

(٣) روه البخاري في كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عبد الرجل فحسبها له... برقم (٢٤٤٩).

بالذنوب والمعاصي: لأن الواجب أن الإنسان يكرم نفسه بالطاعة ويرفعها عن المعاصي، ويعرضها لطاعة الله ومغفرته وحنته، فإذا أساء إليها وتركها والمعاصي والشهوات لمحرمات وأعطاهما ما تشتهي فقد ظلمها، ووضعها في غير موضعها، وجاء النهي والذم عن ظلم النفس في القرآن بكثرة، وذلك بالذنوب والمعاصي التي بينك وبين الله، فعليك أن تطهر نفسك، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] يعني طهرها من الذنوب والمعاصي ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [النجم: ١٠] يعني دنسها بالذنوب والمعاصي.

والظلم الأول ظلم الشرك هذا لا يغفره الله إلا بالتوبة. والنوع الثاني لا يغفره الله إلا إذا عفا أصحابه، إذا تسامح أصحابه. أما الظلم الثالث فهو تحت المشيئة، ظلم العبد لنفسه تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه. وعلى كل حال فالظلم شنيع، ولهذا قال ﷺ: (الظلم ظلمات يوم القيامة).

يوم القيامة أهل الإيمان يكونون في النور، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] أما أهل النفاق فإنهم يكونون في ظلمات، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ انظرونا: يعني انتظرونا ولا تذهبوا عن من ظلم الكفر والشرك والمعاصي، لا يرون تحت أقدامهم ولا يبصرون، يعطون نوراً في أول الأمر ثم يطمأ ولعياد بالله، ويبقون في ظلمة، قال تعالى: ﴿يَقِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظُهُرُهُ مِنْ فِتْنَةٍ فَالْتَمَسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فالظلمة يكونون في هذه الظلمات يوم القيامة.

وهذا فيه التحذير من لظلم، وأن الظالم يوم القيامة يكون في ظلمات لا يستطيع المشي ويقع في المهالك والأخطار.

التحذير من الشُّح

٤ - وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يومَ القيامةِ، واتقوا الشُّحَّ فإنه أهلك من كان قبلكم»^(١). أخرجه مسلم.

الشُّحُّ

هذا الحديث فيه النهي عن خصلتين من خصال مساوي الأخلاق: الخصلة الأولى: الظلم، وقد تقدم في الحديث الذي قبله الكلام عليه. وقوله: «اتقوا الظلم» أي: تجنبوه، اجعلوا بينكم وبينه وقيةً بطاعة الله ﷻ.

(واتقوا الشُّحَّ) الشُّحُّ، قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ذكر الله ذلك في سورة (الحشر) في صفة الأنصار رضي الله عنهم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني قبل المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وفي الآية الأخرى في آخر سورة (التغاسن) ﴿وَأَنْفِقُوا حَيْثُ لَا أَنْفُسَكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

والشح خصلة ذميمة، والفرق بينه وبين البخل:

أن البخل: أن تبخل بما عندك، وأما الشُّحُّ: فهو أن تبخل فيما عندك وتحرص على ما في يد غيرك، تتطلع إلى ما في أيدي الناس، هذا هو

(١) رواه مسلم في كتاب الر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٨).

الشح، أسوأ من البخل، لأنه بخلٌ وحرص شديد على أخذ ما بأيدي الناس، والشح أهلك من كان قبلت من الأمم، حملهم على أن يسفكوا دماءهم عند الأموال، حملهم ذلك على أن يتقاتلوا، ويهلك بعضهم بعضاً. فالنبي ﷺ حذر من الشح، فبنغي للإسان أن يحدّر منه وإذا وجد في نفسه شيئاً، فليسال الله أن يقيه من الشح.

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يكثر في طوافه بالبيت وبالوقوف بعرفة أن يقول: اللهم قني شح نفسي، يردّد هذه الدعوة فسئل عن ذلك فقال: «إذا وقيت شح نفسي وقيت الظلم والبخل والقطيعة..»^(١)، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَفِّقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فإذا وقى شح نفسه كفّ عن الظلم، كفّ عن الاعتداء، إذا وقى شح نفسه أخرج الصدقة، أخرج الزكاة، أحسن إلى الناس، أما إذا كان شحيحاً فإن ذلك يمنعه من الإنفاق ويدفعه إلى ظلم الناس في أموالهم، فالشح خصلة ذميمة.



(١) أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره (٢٢/٥٣٠)، وذكره الفاكهي في أخبار مكة برقم (٣٩٦)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/٥٨٩). قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «والفرق بين الاقتصاد والشح: أن الاقتصاد خلق محمود يتولد من حلقين. عدل وحكمة. فبالعدل يعتدل في المع والذل، وبالحكمة يضع كل واحد منهم موضعه الذي يليق به، فيتولد من بينهما الاقتصاد، وهو وسط بين طرفين مذمومين كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْقِرْ بِكَ مَعْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَمْسُجْ كُلَّ النَّسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿وَأَلْيَبَ إِذَا انْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامٌ﴾ [الفرقان]. وقال: ﴿وَكُفُّوا وَأَسْرِفُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. وأما الشح، فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس، ويؤمده وعد الشيطان حتى يصير هالعاً. والهلع: شدة الحرص على الشيء والشرة به، فيتولد عنه المع لبذله، والجزع لفقده، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَلَمَسْنَا خَلْقًا هَلُومًا﴾ [١٦] إذا مسّه لشرّ حرّومًا ﴿١٧﴾ [لمعارج] الروح (٦٦٦).

ما جاء في ذم الرياء

٥ - وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشُّرْكَ الْأَصْفَرُ: الرِّيَاءُ»^(١). أخرجه أحمد بإسناد حسن.

— الشَّيْخ —

حدث النبي ﷺ أصحابه عن المسيح الدجال وفتنته وشره، ثم إنه قام من مجلسه، فجعل الناس يتذكرون المسيح الدجال وفتنته، فلما جاء إليهم الرسول ﷺ قال: «أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟»، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الشُّرْكَ الْأَصْفَرُ وَهُوَ الرِّيَاءُ». إن الإنسان يُرَائِي بأعماله، بأعمال الحير، يريد أن يمدحه الناس ويشنوا عليه، وهذا يتنافى مع الإخلاص لله ﷻ، هذا شرك؛ لأنه عملٌ للناس، الشرك معناه أنه يعدُّ غيرَ الله، وهذا موجودٌ في الرياء، فالمرائي عبْدٌ غيرَ الله؛ لأنه عمِلَ من أجل الناس. لا من أجل الله ﷻ، وقد وصف الله المنافقين بأنهم يراؤون الناس

فالرياء من صفات المنافقين، وقد عدَّه النبي ﷺ من الشرك الأصغر، والشرك الأصغر لا يُخرج من الأمة، ولكنه وسيلةٌ إلى الشرك الأكبر، ويحبط العمل الذي وقع فيه، الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، أما الرياء فإنه يُحبط العمل الذي وقع فيه، ويصيرُ تعباً على صاحبه بلا فائدة.

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٢٨، ٥، ٤٢٩)، وقال الشيخ لعلامة عبد العزيز بن باز رحمته الله: «رواه الإمام أحمد والطبراني وأبيهقي عن محمود بن لبيد الأنصاري بإسناد جيد» لدروس المهمة لعمدة الأئمة ص (١٠).

الشرك الأكبر يتجنبه المؤمن، ولكن المشكلة في الشرك الأصغر ما يتنبه به المؤمن، وهو من الشرك الحفي، لأنه في القلب، ولا يعلم ما في القلب إلا الله ﷻ. ولذلك حافه النبي ﷺ على أفضل الأمة وهم الصحابة، وخافه الصحابة على أنفسهم، لأنه قل من يسلم إلا من سلم الله ﷻ، فعلى المسلم أن يحاف من الرياء، ولا يزكي نفسه، وعليه بإحفاء أعماله مهما أمكنه ذلك، وعليه أن يخلص النية لله في الأعمال كلها الظاهرة والخفية، وإذا وقع في خاطره حب الشيء أو عرض له الرياء، فيدفع فإنه لا يضره، أم إذا خطر معه وستمّر معه فإنه يطل عمله، إنه خطير جداً؛ لأنه خواطر نفسية، وانفس محبولة على حب الشيء، وعلى حب المدح، فإذا دخل هذا في الأعمال والعبادات صدر رياء، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ [المعوى]، فوعدهم الله بالويل.

يقول الله جل وعلا: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف ١١٠] هذا يشمل اشرك الأكبر والشرك الأصغر ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، والله جل وعلا يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»^(١)، لا يقتل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه، وصواباً على سنة رسوله ﷺ.

(١) روه مسلم في كتاب البره والرفاق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقمه (٢٩٨٥).

* قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه: «الرياء إظهار العدة لقصد رؤية الناس لها فحملوا عليها فتح بدي» (١١ ٣٤٤)
* قال الإمام ابن القيم رحمه في كتابه الفوائد ص (٢١٩):
«لا يحتج بالإخلاص في النفس ومحبة المدح والثناء واسطمع فيما عند الناس إلا كما يحتج أسماء والنار والصب والحب».

فإذا حدثت نفسك طلب الإخلاص فأقبل على لسمع أولاً فذبحه بسكس اليأس وأقبل على المدح واشاء فزهد فيهم زهد عشق الدنيا في الآخرة، فإذا

من علامات المنافق

٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(١). متفق عليه.

٧ - ولهما من حديث عبد الله بن عمرو: «وإذا خاصم فجر»^(٢).

- الشَّيْخُ -

(آية المنافق) الآية: معناها العلامة. أي: علامة المنافق.

النفاق في اللغة: مأخوذ من انفقة وهي قُصْعَةُ البرقع.

- «ستقدم لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص». * وفار الإمام بن القيم رحمته الله: «... وتأمل كيف صرب سحانه المثل لمصفي أمرائي - الذي لم يصدر إنفاقه عن الإيمان - بالصفوان الذي عليه التراب، فإنه لم يثبت شيئاً أصلاً، بل ذهب بدره ضائعاً لعدم إيمانه وإخلاصه، ثم ضرب المثل لمن عمل بطعة الله مخلصاً نيته لله ثم عرض له ما أصل ثوابه دُحَّة التي هي من أحسن الجدان وأطيبها وأزهأها ثم سلط عليها الإعصار الناري فأحرقها، فإن هذا ثبت له شيء وأثمر له عمله ثم احترق. والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق فتبارك من جعل كلامه حياءً يلقب وشقاءً للصدور وهدي ورحمة...» طريق لهجرتين ص (٨١٢).

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (١٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، برقم (٥٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، برقم (٥٦).

اليربوع. حيوانٌ صغير يحفرُ به جُحراً فيجعلُ له باباً يدخلُ منه، وهو القاصعاء، ويجعلُ له باباً آخرَ خفياً يسمَّى النافقاء، غير نافذ، ويتركُ عليه قشرة رقيقة، إذا دهمه أحدٌ ضرب القشرة التي في الباب الخلفي، وهرب، هذا الباب يُسمونه النافقاء، والمدخل الرسمي يسمى القاصعاء، فالمنافق كذلك يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.

ومنه نفاقُ السلع في الأسواق. نفاقها يعني أنها تُشترى، تُخرجُ من يد صاحبها المُنفقِ سلعته، والمنفقُ يعني الذي يروجُ سلعته باسمين الفاجرة، ينفقُ يعني يخرجها من يده إلى الزبائر، فالنفاق في اللغة: الخروج والإخراج.

أما في الشرع فالنفاق: هو إبطان الشرِّ وإظهارُ الخير، كأن المنافق أخفى شيئاً وأظهر شيئاً خدعةً مثل خدعة اليربوع، يجعلُ باباً خفياً يخرج منه، فالنفاق هو إبطان الشرِّ في القلب وإظهارُ الخير.

والنفاق على قسمين:

١ - نفاقُ اعتقادي: وهو كفرٌ أكبر، وهذا نفاقُ المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، الذين هم في الدرك الأسفل من النار. هذا نفاق اعتقادي، لأنهم لم يسلموا ولم يؤمنوا إلا ظاهراً فقط، وأما في قلوبهم فهم كفارٌ، وهم شرٌّ من الكفار الأصليين؛ لأن الكفار الأصليين عرفوا وأخذ الحذر منهم، وأما هؤلاء فخدعوا الناس، يظنونهم مسلمين وهم ليسوا بمسلمين، فهم شرٌّ من الكفار. ولذلك قال الله في لصافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاعِدُوهُمْ إِنَّهُمْ لَمُتُونَ ۚ أَلَمْ يَكُونُوا فِي سَفَرٍ مِّنَ الْأَرْضِ بِأَعْيُنِنَا فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا غَافِقِينَ لَأَخَذُوا مِنْهُمُ الْحَصْنَ ۚ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ﴾ [المنفكون: ٢٤]. وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] يكونون تحت الكفرة يوم القيامة تحت عبدة الأوثان؛ لأنهم مخادعون، قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سفرة].

٢ - النوع الثاني: هو لنفاق العمي، وهذا يكون عند المؤمن، المؤمن يؤمن بالله ظاهراً وباطناً، ولكن قد يتصف بصفة من صفات المنافقين، فيكون هذا نفاقاً فيه، ولكنه ليس اعتقادياً وإنما هو نفاق عملي، لا يخرجه من الملة، ولكنه ينقص دينه، وينقص إيمانه، هذا يقال له النفاق العملي، ومنه هذه الحديث (آية المنافق ثلاث) أي: العلامة التي يعرف بها نفاق المنافق ثلاثة:

الأولى: (إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ)؛ لأن الله أمر المؤمنين بالصدق في الحديث، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة]، والكذب من صفات المنافقين، فالذي يكذب على الناس فيه نفاق، إما اعتقادي وإما عملي، والكذب حرام، وقد نعد الله الكاذبين بالنار، قال تعالى: ﴿فَنَجْعَلُكَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

الثانية: (إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) إذا وعد لا يفي، هذه صفة المنافق، أما المؤمن إذا وعد فإنه يفي بوعدده، ولا يخلف وعده، وهو يقدر على الوفاء به، وإنما إخلاف الوعود من صفات المنافقين، فيجب على المسلم أن يحذر من هذه الخصلة الدميمة، وهي: إخلاف الوعود ولا يتساهل بها؛ لأنه إذا أخلف الوعود صار من المتفقرين، وقد اختلف العلماء هل الوفاء بالوعد واجب؟ هذا قول طائفة من أهل العلم لهذا الحديث، والجمهور على أنه ليس بواجب ولكنه متأكد استحبابه، فهو مستحب مؤكد وليس بواجب.

الثالثة: (إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ) يخون في الأمانة، إذا أودعت عنده شيئاً خان فيه وجحدته، إذا أمنت على سرّ أفشده، إذا وليته عني عمل لم يقم به، فيخون الأمانات، ولقد أمر الله جل وعلا بإداء لأمانات فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَحْوُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَنَحْوُوا أَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النساء: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [النساء: ٨].

[المزموم] هذا من صفات المؤمنين.

الرابعة: (وإذا عاهد غدر) العهد: هو الميثاق الذي يكون بينك وبين ولي لأمر، أو بسك وبين الناس، يحب الوفاء بالعهود، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [السحل ٩١]، وقال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء ٣٤]، فيجب على المسلم أن يفي بالعهد إذ عاهد، ولا يعدر في عهده حتى ولو مع الكافر، لا يجوز الغدر بالعهود مع الكفار فكيف مع المسممين، فيجب الوفاء بالعهد فيما به وبين الله، فيما بينه وبين ولاية الأمور، فيما بينه وبين الناس، يكون وافياً بعهده.

الخامسة: (إذا خاصم فجر) من علامات المنافق أنه يكذب في الخصومات عند الحكام، فيحلف كاذباً إذا توجهت إليه اليمين، ويدلي بشهادات كاذبة شهادات رور، لأجل أن يكسب القضية ويأخذ أموال الناس. فمن صفات المنافقين أنهم يحاصسون عند القضاة بالخصومات الفاحرة، ويدلون بالشهادات الباطلة، ويحلفون على الكذب ويستعملون الرشوة، كل هذا من الفجور في الخصومات، والواجب على المسم إذا خاصم أن يصدق، ولا يدلي بحجة باطلة، أو يحلف بيمين كاذبة، فيكون صادقاً في خصومته، لئلا يأكل أموال الناس بالباطل^(١).

فهذه صفات فيجب على المسلم أن يتجنبها، وإذا لم يتجنبها وكثرت فيه ربما تجرّه إلى النفاق الأكبر الاعتقادي.

(١) أخرج أبو داود في سننه، في كتاب القصاص، باب في الشهادات، برقم (٣٥٩٧)، وأحمد في مسنده (٧١/٢)، والبيهقي في اسنن (٣٣٢/٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع». اطرأ إرواه البخاري في تخرجه أحد حديث مندر السيل للألباني رحمه الله (٣٤٩/١).

النهي عن سباب المسلم وقتاله

٨ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفرٌ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخ

هذا من الخصال الذميمة ومساوئ الأخلاق:

الخصلة الأولى: (سباب المسلم) يعني شتم المسلم. كأنك تقول: يا خبيث قبحك الله، لعنك الله، يا فاسق، يا عدو الله، وما أشبه ذلك. هذا سباب، وهذا لا يجوز في حق المسلم؛ لأن المسلم له حق وله حرمة. فلا يجوز أن تسبه، وقوه: (فسوق) الفسوق: يعني الخروج عن الطاعة، أي: خروج عن طاعة الله ﷻ.

الخصلة الثانية: (وقتاله كفر) سفك دمه كفر، أو ضربه بغير حق؛ لأن هذا يشمل الاعتداء على النفس، ويشمل الاعتداء على البدن. وعلى الظرف من المسلم، فلا يجوز لأحد أن يعتدي عليه في نفسه، قال ﷺ: «كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه»^(٢).

(وقتاله كفر) هكذا مكرّر، فيكون من الكفر الأصغر لا يُخرج من

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب يدين قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» برقم (٦٤)

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم... برقم (٢٥٦٤)

الملة؛ لأنه نكرةٌ وقال: (كفر) ولم يقر: الكفر، المعروف بالألف واللام، وقيل: معناه كفرُ النعمة، وإذا استحلَّ ذمه صار من الكفر الأكبر، يخرج من الملة.

فهذا الحديث فيه حرمةُ المسلم في عرصه، وفي دمه، وأد الاعتداء عليه في عرصه بالسب والشتم وغير ذلك فسوق، أي: خروج عن طاعة الله، وقتاله كفر، فهو محرمٌ في كلتا الحالتين.

يقول الله جل وعلا: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَّا يَسْخَرَنَّ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْعَنُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، فنهى سبحانه عن هذه الأمور.

وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لَّكُم مِّمَّنْ هُمْرَقَ لُحْمٍ﴾ ① يلمز الناس ويهمزهم تنقصاً، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَعْرَضُوا كَأَن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا وَلَا يَحِيطُوا بِهَا﴾ ② ﴿وَلَا إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ③ ﴿تَنَقَّصُوا لَهُمْ وَازدراء﴾ ④ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ⑤ [المطففين].



الظن أكذب الحديث

٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ»^(١). متفق عليه.

الشيخ

(الظنُّ): هو الترددُ بين شيئين أحدهما أرجحُ من الآخر، بخلاف الشكِّ، لشكِّ: هو الترددُ بين شيئين لا مرجح لأحدهما على الآخر.

وفي هذا الحديث أن المسلم يجبُ عليه أن يحسن الظنَّ بأخيه المسلم، ولا يسيء الظنَّ بأخيه المسلم؛ لأن الأصل في المسلم العداةُ والخير، فلا يتهم أخاه المسلم من غير قرينةٍ أو دليل على ما اتهمه به، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ بَعْضُكُم مَّعَصِيَةٌ أَيْحُبُّ أَمْرُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات]

ولهذا قال ﷺ: (فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث) يعني حديث النفس، إذا حدثتك نفسك سوء الظن بأخيك فكذبها ولا تصدقها، واحمل أخاك على الخير، وعلى الركعة، وعلى لمرء، ولا تتهمه بما لا يثبت.



(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابير، برقم (٦٠٦٤)، ومسلم في كتاب الرأى والنسب والآداب، باب تحريم الظن والتجسس واستنفس والتناحر ومحوه، برقم (٢٥٦٣)

جزاء من مات وهو غاشٍ لرعيته

١٠ - وعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١). منقول عليه.

— الشَّيْخ —

هذا الحديث رواه معقل بن يسار لعبد الله بن زيادٍ وامي العراق من قبل معاوية وابنه يزيد، فإن عبد الله بن زياد كان عنده ظلم وقسوة، فهذا الصحابي الجليل ذكره بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ، فهذا فيه النصيحة لولاء الأمور وتذكيرهم بالرفق وترك الظلم، وإذا ظهر عليهم ملاحظة فإنهم ينهون عليها، فهذا من النصيحة لهم، ولكن نوصل إليهم هذه لنصيحة مشافهة أو كتابية، ولا تكون في المجالس^(٢)، أو في غيبتهم، بل نوصل إليهم مباشرة بأي طريقة

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب من استرعى عنة قدم بصح، رقمه (١١٥٠) و(١١٥١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب استحقاق الوأبي الغش لرعيته النار، رقم (١٤٢)

(٢) يشر فضيلة الشيخ حفظه الله رحمته في قول السي رحمته، «من أراد أن ينصح لذي سلطان في أمر فلا يبدئه علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه» أحرجه ابن أبي عاصم في اسنة، باب كيف نصيحة الرعية لمولاه، رقم (١١٣٢)، وحسنه العلامة الأساسي في خلال الجنة.

فهذا معقل بن يسار صحابي، صاحب رسول الله ﷺ، ناصح هذا الوالي، وذكر له ما يروى عن رسول الله ﷺ، فهذا من نشر العلم وتبليغ العلم لاسيما عند الحاجة.

(ما من عبد) ما: هذه نافية، بمعنى ليس، أي: ليس هناك عبد، والعبد: كلُّ الحلقِ عباد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَرٍ فِي أَلْسِنَتٍ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتٍ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، حتى وإن بلغ الإنسان ما بلغ من المرتبة والرفعة فإنه عبد الله ﷻ، لملائكة والرسُل، وجميع الخلق عبادُ الله ﷻ.

(يسترعيه الله رعيَةً) رعية: المراد بهم الناس أو المسلمون، عامة الناس يقال لهم رعية، يسترعيه الله رعية من الناس: يولّيه شؤونهم، الناس بحاجة إلى الرُّعاة بلا شك، ولا يصلح الناس بدون ولاية، هذا شيء ضروري، وهذا يشمل الرعية الكبيرة والرعية الصغيرة، فكل مسؤول عن شؤون الناس، فإنه راعٍ، سواءً كن السلطان، وهو الراعي العام، أو كان نائبَ لسلطان وهو الأمير، أو كان موظفًا، ينوّلُ أمورَ الناس ومعاملاتهم، هذا مسترعى، أو كان صاحب أسرة، فإنه راعٍ.

قال ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راعٍ في مال سيده، ومسؤول عن رعيته... وكلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»^(١).

(١) روه البحاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (٨٩٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العدل وعقوبة الحائر، رقم (١٨٢٩)، وأحمد في مسنده (١٢١/٢).

(يموتُ يومَ يموت وهو غاشٌّ لرعيته)، الغشُّ معناه الخيانة وعدمُ النصيحة، وهذا الغشُّ حرام. قال ﷺ: «... من غشَّنَا فليس منا»^(١)، فمن مات وهو غاشٌّ للرعية استي ولاه الله عليها فإنه يحرمُّ عليه دخول الجنة، التحريم معناه المنع، أي: ويمنعه من دخول الجنة، وهذا وعيدٌ شديد، يدل على أن الغشَّ كبيرةٌ من كبائر الذنوب، ويدل على أن من تابَّ قبل أن يموت تاب الله عليه، أما إذا مات وهو غاشٌّ ولم يتب فإن الله يحرمُّ عليه دخول الجنة.

فيحبُّ على من تولى أمر المسلمين أيًّا كان هذا الأمر - كبيراً أو صغيراً - أن يقوم به على الوجه المطلوب، وأن لا يَبْخَسَ منه شيئاً. وأن يؤديه على الوجه لمطلوب، فإن نَقَصَ منه شيئاً أو قَصَرَ في شيء من أمور رعيته فهذا غشٌّ، يجب أن يتوب إلى الله قبل أن يموت، فإن مات وهو لم يتب لاقى هذا الوعيدَ الشديد، وليس معنى هذا أنه يكفر، ولكن معنى هذا الوعيدُ الشديدُ على من يغش الرعية، توَعَدَ الله بهذا الوعيد، وهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر الله له، وإن شاء عذبه، ولكن مطالب العباد لا بد من القصاص فيها، بأن يرد المطلب ما دام على قيد الحياة، فإن لم يردّها حتى ولو تاب تقى المطالم عليه، فلا بد مع التوبة من أن يردّ مطالب العباد، أو أن يستبيحهم منها. فالأمر شديد جداً، فهذا تعظيمُ المسؤوليات، تعظيمُ الإمارة، وتعظيمُ السلطة، وتعظيم تولي شؤون الناس، لا يتساهل الإنسان فيها، ينظرُ إلى ما فيها من الرغبة له والرئاسة والترفع، ولا ينظرُ إلى المسؤولية والحسب يوم القيامة.

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشَّنَا فليس منا»، برقم

يقول عمر رضي الله عنه: «لو عَثَرْتُ دَابَّةً فِي الْمَشْرِقِ لَرَأَيْتُ أَنِّي مُسْؤُولٌ عَنْهَا، حَيْثُ لَمْ أَسْهَلْ لَهَا الطَّرِيقَ»^(١).

لو عَثَرْتُ دَابَّةً فِي الْمَشْرِقِ صَارَ عَمْرُ مُسْؤُولاً عَنْهَا حَيْثُ لَمْ يَسْهَلْ لَهَا الطَّرِيقَ. فَالْمُسْؤُولِيَّةُ عَظِيمَةٌ، وَلَا نَنْظُرُ إِلَى السَّلَاطِينِ، وَنَنْسَى أَنْفُسَنَا، كُلُّ وَاحِدٍ رَاعٍ، وَمُسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. أَنْتَ لَا تُسْأَلُ عَنْ رَعِيَّةِ فُلَانٍ، وَإِنَّمَا تُسْأَلُ عَنْ رَعِيَّتِكَ أَنْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.



(١) وَأُحْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَبِيَّةِ (١، ٥٣) (وَعَنْ دَاوُدَ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «وَمَا تَشَاءُ عَنِّي شَطَّ الْغُرَابِ ضِدَّةٌ طَنَنْتُ أُرَى لَكَ سَائِلِي عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»)

وَانْظُرْ كَذَبَ. مُحَضَّرُ الصَّوَابِ فِي فَصَائِلِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِمُعَلِّمَةِ الْمُحَدِّثِ يَوْسُفَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْهَادِي الْمَعْرُوفِ - (إِسْ لِمَبْرَد) (٢، ١٣٤)، طَبْعَةُ الْجُمُعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْبَيْتِ السَّابِعِ وَالْخَمْسُونَ فِي «ذِكْرِ خَوْفِهِ رضي الله عنه مِنْ اللَّهِ تعالى»

الجزء من جنس العمل

١١ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه»^(١). أخرجه مسلم.

- الشَّخْخَ -

وهذا أيضاً كالحديث الذي قبله، فالذي قبله فيه تحريم غش الرعية، أي كانت هذه الرعية كبيرة أو صغيرة، وهذا الحديث فيه تحريم أن يشق الإنسان على من ولّاه الله عليهم، وعليه أن يرفق بهم، دعا النبي ﷺ ربّه فقال: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه».

والمشقة: هي أن يحملهم ما يشق عليهم، والمشقة ضد الرفق، فيجب على كل من تولى أمراً من أمور المسلمين أن يرفق بهم، ويسهل لهم أمورهم، ولا يتعمهم في قضاء حوائجهم أو يحتجب عنهم، بل يباشر المسؤولية ولا يكل على غيره، لأنه المسؤول فباشر لمسؤولية ويقضي حوائج الناس وينجز معاملاتهم.

(١) روه مسلم في كتاب الإمامة وعقوبه الجائر والحث على الرفق بالرعية ...
برقم (١٨٢٨).

١٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخُ

(إذا قاتل أحدكم) المقاتلة معناها: المضاربة، مفاعلة من الضرب، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [القصص ١٥] يعني يتضاربان ويتشاجران، ومنه قوله ﷺ في الذي يمر بين يدي المصلي: «فإن أباي فليقاتله»^(٢)، يعني يضربه.

فالمراد بالمقاتلة هنا المضاربة، فإذا ضرب أحدًا بحق، كأن ضربه بحد أو تعزير، أو ضربه لدفع أذاه فليتنق الوجه، لأن الوجه محمى الحواس لدقيقة، وهو الذي تحصل به المواجهة، فربما أن الضرب يعطل شيئاً من الحواس، أو أذ الضرب يؤثر في الوجه أثراً سيئاً، فيكون مظهر الإنسان فيه تشويه، جعل الله هذا الوجه محل المواجهة ومحمى الحواس، من البصر والشم والذوق وغير ذلك من الحواس، فيتجنب الوجه حتى ولو كان الضرب بحق كالتعزير وإقامة الحد، أو كان الضرب لدفع أذى الإنسان عنه، فله أن يضرب من ضربه لأجل أن يدفعه عنه، ولكن يتقي هذا لوجه.

ومثل الوجه المحلات الحساسة من الجسم، كالأعضاء التناسلية، وغير ذلك من الأشياء الحساسة لا يضربها بل يتجنبها. وكذلك ضرب

(١) رواه البخاري في كتاب العتق، - ب إذ ضرب العبد فليتنح الوجه، برقم (٢٥٥٩). ومسلم في كتاب الر والصلة والآداب، باب المهي عن ضرب الوجه، برقم (٢٦١٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب يرد المصلي من مرس يديه، برقم (٥٠٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، برقم (٥٠٥).

التأديب، إذا ضربَ وده أو زوجته انشأ، فإنه يتجنبُ الوجه في جميع أنواع الضرب، ولو كان هذا الضربُ مأذوناً به شرعاً، فإنه لا يجعله في اوجه، حتى الدواب لا تضربها في الوجه، ونهي عن كيِّ الدواب ووسمها في الوجه^(١).



(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٢/٣)، وأبو يعلى في مسنده (٣١٢/٢) عن العباس بن عبد المطلب عليه السلام ' (أر النبي ﷺ نهى عن الوسم في الوجه .) .
انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ ٦١٤) الحديث رقم (٣٠٥).

وصية جامعة: لا تغضب

١٣ - وعنه عليه السلام أن رجلاً قال: يا رسول الله، أوصني، قال: «لا تغضب»، فردّد مراراً، قال: «لا تغضب»^(١). أخرجه البخاري.

شرح الشَّيْخ

هذا الحديث فيه أن رجلاً طنب من النبي صلى الله عليه وآله أن يوصيه، أن يقول له كلمة مختصرة يوصيه بها، فقال: «لا تغضب»، فكأن الرجل تقال هذه الكلمة أو هذه الوصية، فأعاد على الرسول صلى الله عليه وآله، فأعاد الرسول عليه قوله: «لا تغضب» ثلاث مرات، نهأ عن الغضب.

أوتي الرسول صلى الله عليه وآله جوامع الكلم، هذه كلمة جامعة؛ لأن الإنسان إذا غضب فيحمله الغضب على أشياء كثيرة، قد يحمله على القتل، قد يحمله على الضرب، قد يحمله على طلاق زوجته، قد يحمله على السب والشتم والكلام البديء، فالغضب يجمع شُروراً، فإذا ملك الإنسان نفسه عند الغضب سلم من شُرور كثيرة، فهذه وصية جامعة.

والغضب قد يكون محموداً إذا كان الغضب لأجل الله تعالى، الذي يغضب لأجل الله، ولمحارم الله تعالى، يغضب لغضب الله ويرضى لرضا الله، هذا غضب محمود، وقد يكون مذموماً، إذ كان الغضب لسبب أو للنفس ونحو ذلك، فالغضب غريزة جعلها الله في الإنسان، فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «لا تغضب» مع أنه غريزة فيه؟

(١) رواه البخاري في كتب الأدب، باب العذر من الغضب، برقم (٦١١٦)

الجواب عن هذا من وجهين:

الوجه الأول: (لا تغضب) يعني تحنّب أسباب الغضب، تحنّب الجدل، ولمخاضمة لئلا يُفضي ذلك إلى أنك تغضب.

والجواب الثاني: (لا تغضب) يعني: إذا غضبت فلا تنفذ غضبك، بل امنع نفسك، لا تنفذ ما يطلبه منك الغضب من الانتقام، فعليك أن تمنع نفسك من الانتقام، وهذا معنى قوله: «ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(١).

والله جل وعلا يقول: ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، من صفات المؤمنين المحسنين أنهم إذا غصوا يغفرون^(٢).



(١) سبق تخريجه ص (١٤٢).

(٢) قال أبو حاتم رحمه الله: «لو جب على العاقل إذا ورد عليه شيء غضد ما نهواه نفسه، أن يذكر كثرة عصيانه، وتوانر حزم الله عنه، ثم يسكن غضبه ولا يزري بعقله بالخروج إلى ما لا يبيق بالعقلاء في أحوالهم، مع تأمل وفور، ثواب في الغنى، بالاحتمال ونهي الغضب». روضة العقلاء وريهة الفضلاء (ص ٢٣٦) طبعة دار السار

المال مسؤولية جعله الله لمصالح العباد

١٤ - وعن خولة الأنصاريّة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
«إِنَّ رَجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بَغِيرَ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(١). أخرجه البخاري.

الشيخ

المال جعله الله ﷻ لمصالح العباد، فهو نعمة من الله،
سمّاه الله خيراً في قوله تعالى: ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ
تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: مالا، وقال تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لِحُبِّ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

المال خير ونعمة من الله ﷻ، جعله الله لكم قياماً تقوم به
مصالحكم، وهو مال الله ﷻ أعطاكم الله إياه لمصالحكم، وليتليكم به.
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النعمان: ١٥] فهو أعطاك
المال لتتفجع به، وتنفع غيرك. نعمة من الله. وأيضاً هو ابتلاء ليظهر
تصرفك في هذا المال، هل هو تصرف حسر أو تصرف سيئ، وهو
مال الله جل وعلا. قال تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ مِن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاهُمْ﴾
[سور: ٢٣]. وقال سبحانه: ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا جَعَلْنَا مُسْتَحْلِينَ فِيهِ﴾
[حجيد: ٧].

(١) رواه المحرري في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَرَّ نَبَهُ
حُكْمُهُ﴾. برقم (٣١١٨)

(يتخوِّضون في مال الله) يتخوِّضون: من الخوض، كالذي يخوض في الماء، يعني يتصرفون فيه تصرفاً سيئاً. لمال مسؤولية، لا تقول: هذا مالي، وتسيء التصرف فيه، قال ﷺ: «لا نزول قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ»، ومنها: «عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ»^(١)، امال مسؤولية، فتصرف فيه بحسب ما شرع الله لك، من الإنفاق على نفسك، والإنفاق على مَنْ تُلزِمُكَ نفقتهم، وإخراج الزكاة الواجبة فيه، والتصدق منه على المحتاجين، والوصية منه بعد موتك في أعمال البر أو الوقف الذي توقّفه، فيكون صدقةً جاريةً، هذه تصرفات حسنة تؤجر عليها.

أما إذا نصرفت به في المعصية والشهوات المحرّمة، فهذا تخوُّض في مال الله بغير حق، أو أسرفت في الإنفاق والتبذير هذا من التحوُّض، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء]، وقال جل وعلا: ﴿... وَلَا تُذِرْ بَذِيرًا﴾ [النحل] إِنَّ الْمُدْرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ [الإسراء].

فالبذخ والإسراف تخوُّض في مال الله بغير حق، وكذلك المعاملات المحرّمة، تستعمل المال في الربا، وفي الرشوة، وفي الميسر والقمار، هذا كله من التحوُّض في مال الله بغير حق، وهو مسؤولية عاصمة.

والعاقبة (لهم النار يوم القيامة) هذه العقوبة والعياذ بالله، وشئ ما جرّوا على أنفسهم، فالمسألة لها محاسبة ومناقشة ومعاقبة يوم القيامة،

(١) سبق تحريجه ص (٧٦).

وهؤلاء الرجال الذين يتخوَّضون في مال الله، يشمل الولي على بيت مال المسلمين، ويشمل التجر في ماله الخاص، ويشمل من تولى على مصالح المسلمين وتخوَّض فيها بغير حق، فالأموال مسؤولية، سواء كانت أموالاً عامة لرعية أو أموالاً خاصة للشخص، والنبى ﷺ نهى عن إضاعة المال^(١)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥] أموالكم يعني أموالهم، لا تعطوا السفهاء أموالهم، وأضافها إلى المخاطبين من باب الحرص على حفظها، قال: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ مع أنها أموال القُصْر؛ لأجل أن يحافظوا عليها كما يحافظون على أموالهم.

فإنه جاز وعلا أمر بحفظ هذا المال والتصرف فيه بالحق، والإنفاق المعتدل، والإنفاق في سبيل الله ﷻ، وفي القربات والطاعات، هذا هو المقصود من المال، ما أعطيت المال من أجل أن نبذح ونسرف ونبذر وتعطي نفسك ما تشتهي، تقول: هذا مالي، هذا ليس ملك، هذا مال الله ﷻ، وأنت مبتلى بهذا المال وممتحن، وإلا فهو مال الله جلا وعلا.



(١) عن المعبره بن شعبه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». رواه البخاري رقم (٥٩٧٥)، ومسلم رقم (١٦١٥).

نداء من الله سبحانه لجميع الناس

١٥ - وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربّه، قال: «يا عبادي إنّي حرّمتُ الظُّلْمَ على نفسي، وجعلتُ بينكم محرّماً فلا تظالموا...»^(١). أخرجه مسلم.

شرح الشّرح -

هذا حديث عظيم، وهو حديث طويل اقتصر منه المصنّف على جملة. حديث أبي در المشهور الذي يرويه النبي ﷺ عن ربّه، كان أبو مسلم الحولاني رحمته الله إذا حدّث به جثا على ركبتيه خوفاً من الله ﷻ.

وفيه هذه الجملة: [أَن الله ﷻ يقول]، هذا فيه إثبات الكلام لله ﷻ، أَن الله تعالى يقول: (يا عبادي) هذا نداء من الله ﷻ لجميع الناس، (إنّي حرّمتُ الظُّلْمَ على نفسي) أي: منعته، ونزّهت نفسي منه، نره الله جل وعلا نفسه عن الظلم، وامتنع سبحانه عن الظلم، مع أنه قادر ﷻ، الله قادر على كل شيء، ولكنه منع نفسه جل وعلا من الظلم، لأن الظلم نقص، والله منزّه عن النقص.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَمَ دَبُّكَ يَظْلِمُ لِعَٰبِدِي﴾ [ص: ٤٦]، ﴿لَا تُظْلَمُ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ [آعر: ١٧]، لا يظلم الله جل وعلا أحداً.

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧).

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه. وهو ثلاثة أنواع كما أسلفنا^(١):

١ - ظلم بين العبد وبين ربه، وهو الشرك: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القدر ١٣].

٢ - وظلم بين العبد وبين الناس، وهو التعدي على الناس، التعدي على أموالهم ودمائهم وأعراضهم.

٣ - وظلم العبد نفسه، بالمعاصي والسيئات.

فالظلم محرّم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب.

(حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً) هذا فيه تحريم الظلم بين الناس (فلا تظالموا) هذا تأكيد لقوله: (وجعلته بينكم محرّماً) فالظلم قبيح شرعاً وعقلاً، وقد توعّد عليه بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه، ١١١].



(١) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يُغفر، وظلم لا يُغفر، فأما الظلم الذي لا يُغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يُغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يُترك فظلم العباد فيقتص الله بعضهم من بعض». أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٢٢٢٣)، وأبو نجيم في الحلية (٣٠٩/٦) وحسنه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٩٢٧).

الغيبة كبيرة من كبائر الذنوب

١٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟»، قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قال: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١). أخرجه مسلم.

❦ الشَّيْخ ❦

من ظَلَمَ الناس: الْغَيْبَةُ، وهذا ظَلَمٌ في لأَعْرَاضٍ، وقد قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا كَثِيرًا مِّنَ أَطْوَىٰ إِن يَكُ سَخَرَ الْفَلَظِ إِنَّهُ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَحَبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاقْضُوا لِلَّهِ إِنِ اللَّهُ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

وفسر النبي ﷺ الغيبة فقال: (الغيبة ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) هذا سيأتي قريباً إن شاء الله. قالوا: يا رسول الله، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قال: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ).

فالغيبة محرمة، وهي أن تذكر أخاك في حال عيبته، بما يكره من عيب في خلقه، أو عيب في خلقه، أو غير ذلك من أنواع التنقص. وكثير من الناس لا يتورعون عن الغيبة. بل إنما تعمروا مجالسهم ويتفكهون بأعراض الناس. ولا حول ولا قوة إلا الله، وهذا شأنها، وهذا خطرها. وفيه تحريم الغيبة وأنها كبيرة من كبائر الذنوب، وهي محرمة

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم (٢٥٨٩)

بالكتاب والسنة والإجماع، لأنها من ظلم الناس في أعراضهم.

وقد استثنوا من الغيبة أشياء تجوز إذا كانت لمصلحة راجحة:

أولاً: المتظلم الذي ظلم ويذهب إلى ولي الأمر ويشتكى ويقول: فلان ظلمني، أكل مالي، وما أشبه ذلك، قال عليه السلام: «لِي الْوَاجِدُ» يعني الغني «ظلم». لَبَّه: يعني مَطْلَه «وَيُحْلُ عَرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ»^(١)، فيجوز للمتظلم أن يشتكى، ويذكر للظلم الذي وقع عليه، وأن فلان يماطل، وأنه مخادع، ولا يعطيني حقي، ففي هذه الحالة يجوز دفعاً للضرر، هو عيبة ولكن فيه دفع للضرر، فيجوز لدفع الضرر.

ثانياً: المُستفتي، إذا استفتى عن شخص ودكر ما فيه من العيب، وكيف يتصرف معه، يسأل المفتي كيف يتصرف مع هذا الشخص، كما جاءت هند بنت عتبة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبا سفيان - تعني زوجها - رجلٌ شحيح، لا يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم...، فهي ذكرت أنه شحيح، هذه غيبة، ولكن ليس قصدها تنقُص الرجل، وإنما قصدها الوصول إلى حقها، قال: «خُذِي ما يكفيكِ وولَدكِ بالمعروف»^(٢)، هذه فتوى من الرسول ﷺ.

ثالثاً: كذلك تجوز الغيبة في حالة الاحتساب، إنكار المنكر، بأن نذهب إلى ولي الأمر أو إلى رجال احسبه، فتقول لهم: فلان لا يصلي،

(١) رواه داود في كتاب لقضاء، باب في ليد هل يحسن به، برقم (٣٦٢٨)، وابن ماجة في كتاب الأحكام، باب الحس في الدين والملازمة، برقم (٢٤٢٧)، وأحمد في مسنده (٢٢٢/٤)، وحسنه الألباني في رواء الغبيل، رقم (١٤٣٤)

(٢) رواه البخاري في كتاب التفتت، باب إذا لم يفتق الرجل فسمرة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولده بالمعروف، برقم (٥٣٦٤)، ومسلم في كتاب الأفضية، باب قضية هند، رقم (١١١٤)

فلان يتعرض للنساء، فلان يغازل في الأسواق. هذه غيبة، ولكن المقصود منها إنكار المنكر، فهذا لا بأس به، لأن المصلحة راجحة في هذا على المفسدة، لأجل أن يأخذوا على يده.

وإيحاء: وكذلك إذا كان هذا من أجل تحذير الناس من شر شخص. تذكر لهم صفاته الذميمة من أجل أن يحذروه ولا ينخدعوا به، وذلك مثل المنتدع إن كان عبده بدعة، تحذر الناس منه لئلا ينشر بدعته على الناس. حامساً: ومن هذا أيضاً إخراج والتعديل لحفظ سنة الرسول ﷺ من أن يدخل فيها شيء من الكذب أو من التسهل، فيجوز أن يقال: في إراوي كذا، فيه ضعف، وفيه عقلة، وفيه كذا وكذا، سيئ الحفظ، أو يقول: كذاب، أو وضاع، أو صاحب منابر، ليس هذا هو من أجل نقص الشخص، وإنما هو من أجل صيانة أحاديث الرسول ﷺ أن يكون فيها راي لا تقبل روايته، هذه المصالح فيها راجحة، فيجوز أن تذكر معائب الشخص وهو غائب؛ لأجل المصلحة الراجحة، والتوصل إلى الحق، وأما ما عدا ذلك فالعيب محرم، إذا لم يترتب عليها مصلحة، أو كانت مصرئها أكثر فإنها محرمة وكبيرة من كبائر الذنوب.

وقوله ﷺ: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته) إذا كان فيه عيب والنقص الذي ذكرته في غيبته، هذه عيبة كبيرة من كبائر الذنوب (وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته) يعني كذبت عليه، قد جمعت بين جريمتين: جريمة الغيبة، وجريمة الكذب^(١)

(١) فائدة: قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «... المهم بـ إخواني، فنصحتي لنفسي ولكم أن تتجنبوا العيبة وأن تتجنبوا الحوص في مسوئ ولاية الأمور من العمماء والأمراء والسلاطين وغيرهم وإذا كنتم تريدون الخير والإصلاح، فادعوا مفتوح والطرق موجودة، اتصلوا مباشرة بأنفسكم، ثم إذا ادعيت لواحد سقطت عنكم يد ورء ذلك، ثم ادعيت أخي هل غيبته هذه - للعمماء أو للأمراء - تخلص من أمور شتى؟ أم لا هي =

التحذير من مساوئ الأخلاق

١٧ - وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا»، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ «بِحَسْبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(١). أخرجه مسلم.

الشيخ

هذا حديث عظيم فيه عدة أمور بهي عنها الرسول ﷺ؛ لأنها من مساوئ الأخلاق: قال ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا»، والحسد سبق بياه أنه تمنى زوال العمة عن المحسود، وقد تقدم أنه يأكل الحسنة كما تأكل النار الحطب. وهو كبيرة من كبائر الذنوب، فعلى المسلم أن يتحَبَّ الحسد.

(ولا تباغضوا) التباغض معروف، الواجب على المسلمين أن يتحابوا فيما بينهم وأن لا تباغضوا؛ لأنهم إخوة، والبغضاء تحدث بينهم الشر والقطيعة، فعليك أن لا تبغض أخاك المسلم، البغض إنما يكون

= إفساد في الواقع ولا تريد الأمر إلا شدة ولا ترتفع بها مطسة، ولا يصلح بها فسد، سأل الله أن يحمي ويحفظ ألسنتنا مما بكرهه، وأن يوفقنا لما فيه خير والصالح... شرح رباص الصالحين. طبعة دار اوطس (١٠٨/٦)

(١) رواه مسلم في كتاب لير وابصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وحذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤).

لأعداء الله، أما المؤمن فإنه يحب في الله وَرَحْمَةً، الحب والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان.

(ولا تناجشوا) النجش هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها، وإنما يريد أن يرفع قيمتها على الزبائن، لأجل أن ينفع صاحب السلعة بزعمه، فلا يجوز لمن لا يريد شراء السلعة أن يزيد فيها؛ لأنه يضر بالزبائن، ولا ينفع صاحب السلعة. بل يضره أيضاً؛ لأنه أدخل عليه مالا حراماً، فالناجش أثم سواء كان شريكاً في السلعة أو كان أجنبياً، لا يجوز للإنسان أن يزيد في السلعة إلا إذا كان يريد شراءها.

أما المزايدة لمن يريدون فلا بأس، هو طيب، قال النبي ﷺ: «من يزيد؟»^(١)، أما المزايدة لمن لا يريد الشراء هذا حرام وكبيرة من كبائر الذنوب.

(ولا تدابروا) التدابر: هو أن يدبر الإنسان عن أخيه، يولي عنه، ولا يقبل عديه، فالواجب على المسلمين أن يتلاقوا ويتصافحوا ويبشرو بعضهم لبعض، ولا يعرض بعضهم عن بعضهم الآخر عند اللقاء، بل يلقي أخاه بوجه طليق، هذا من المعروف كما قال النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٢).

(ولا يبيع بعضكم على بيع بعض) سبق أن البيع على البيع هو أن يأتي إلى إنسان قد اشترى سلعة بعشرة مثلاً، ثم يقول (دعها أنا أعطيتك منها أو أحسر منها بتسعة، ليفسخ البيع مع الأول، ويشتري من لثاني،

(١) جزء من حديث رواه أبو داود في كتب الركاة، باب ما تجوز فيه المسألة، برقم (١٦٤١)، وابن ماجه في كتب التجارات، باب بيع المريدة، برقم (٢١٩٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب لبر والصفة والاداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦).

هذا لا يجوز، إذا رأيته اشتري من أخيك فلا تكدر على أخيك بيعته، ولا تعتدي عليه، وأيضاً لا يخطب على خطبة أخيه، كل ما يدخل الضرر على أخيك تجنبه.

(وكونوا عباد الله إخواناً) هذا أمر منه ﷺ بالأخوة بين المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات ١٠]، أخوة الإيمان أقوى من أخوة النسب، بل قد يكون أخوك في النسب وهو عدو لك، ولا يجوز محبته، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [مائدة ٢٢].

المحبة إنما هي بالإيمان، وأما المحبة لغير الإيمان فإنها محبة غير صحيحة، إذا اجتمع إيمان وقرابة ورحم، لا شك أن هذا اكذب قريبك المؤمن له حقوق عيشت، ولكن إذا كان قريبك كافراً أو محدداً لله ورسوله، لا تجوز لك محبته.

(المسلم أخو المسلم)، الأخوة تكون بالإسلام والإيمان (لا يظلمه) عرف الظلم فيما سبق: لا يتعدى عليه في ماله أو عرضه أو نفسه، جميع أنواع الظلم

(ولا يخذله) يعني عندما يحتاج أخوك إلى نصرة فإنك لا تخذله، بل تنصره بالحق وتدافع عنه؛ لأنه أخوك، وإذا رأيته وقع في مذلة وأن أحداً يريد أن يظلمه فعليك أن تنصره، وأن تدفع عنه الظلم، أما إذا تركته فقد خذته «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(١).

(ولا يحقره) لا يستصغر شأن المسم، المؤمن عند الله عظيم^(٢).

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب أعر أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم (٢٤٤٣)

(٢) شأن المؤمن عند الله عظيم!! روى عن ماحه رضى الله عنه في سننه عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وما أطيب

لا تحقر أخاك المسلم، لا تصغر شأنه، بل هو عظيم عند الله ﷻ وإن كان فقيراً، وإن كان دميماً في خلقه، قال ﷺ: «رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»^(١)، فلا تحقره لدماثة جسمه، أو تحقره لفقره، أو تحقره لضعف قوته، فإنه عظيم عند الله ﷻ بالإيمان والإسلام.

ثم قال ﷺ: (بحسب امرئ من الشر) بحسب معناه: يكفي، أي: يكفي المرء من الشر (أن يحقر أخاه المسلم) هذا شر عظيم، احتقار المسلمين واستصغار شأنهم (كل المسلم على المسلم حرام: دمه) فلا يعتدي عليه في دمه ويقتله بغير حق، احترام أخاك، واحترام حياته، اسع في بقائه، في علاجه إذ احتاج إلى علاج وأنت تقدر، أنقذه إذا وقع خطير، ساعده على بقاء حياته.

(وماله) ماله حرام عليك لا تأخذه بسرقة، ولا بخيانة، ولا بغش، ولا بخديعة، ماله كمالك.

(وعرضه) وكذلك العرض، لا نقع في عرض أخيك بعبية أو بميمية أو سب أو شتم أو غير ذلك.

ثم قال ﷺ: (التقوى ها هنا) ويشير إلى صدره ﷻ، يعني التقوى في القلب، ويظهر أثره على الجوارح، فإذا كان في القلب إيمان وتقوى ظهر أثر ذلك على تصرفات الشخص الخارجية، وإذا كان الشخص ليس

ربحك؟ ما أعظمك وما أعظم حرمتك، ولذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم حرمة منك، ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً..»، قال الألبسي صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٤٢٠).

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والهاميين، برقم (٢٦٢٢).

فيه تقوى ظهر ذلك على أعمال الإنسان وتصرفاته بالسوء، كما قال ﷺ:
 «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ
 فَسَدَ سَائِرُ الْجَسَدِ»^(١)، فليست لتقوى بالمظاهر وإنما التقوى في القلوب،
 ويظهر أثرها على الجوارح، أما الذي يتصنع عند الناس، ويتظاهر وقلبه
 فاسدٌ، فهذا لا ينمعه شيءٌ.

بعض الناس إذا نُهي عن لمعصية، عن حلق اللحية أو شرب
 الدخان أو عن ترك الصلاة مع الجماعة يقول: التقوى ها هنا ما هي...،
 ويستشهد بالحديث على غير معناه، والعياذُ بالله، وهذا من قلبِ
 الحقائق، ومن تفسير قول الرسول ﷺ بغير معناه.



(١) سنن تخريجه ص (١٠١).

ما جاء في الاستعاذة من بعض المنكرات

١٨ - عن قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ»^(١).
أخرجه الترمذي، وصححه الحاكم واللفظ له.

الشَّيْخُ

هذا دعاء من الرسول ﷺ أنه قال: (اللهم جنِّبني) يعني باعدني
(منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء) أربعة أشياء: (منكرات
الأخلاق): كالسُّبِّ والشتم والغيبة والنميمة، وقول الرور، كلُّ الكلام
المحرم والكلام السيئ فهو من محرمات الأعمال.
ومحرمات (الأعمال): كالشرك والمعاصي كلها.

(والأهواء): المراد بها الشهوات، ما تشتهيه النفوس، والنفوس في
الغالب أنها أمّرة بالسوء، وتهوي الشرّ إلا ما رحم ربي، وأخطر شيء على
الإنسان هواه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَبَعُوثُ آهْوَاءِهِمْ
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [الفصل: ٥٠]، وقد يتخذ
الإنسان الهوى إلهاً، قال سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]
[٤٣] يأمره هواه فيفعل ما يأمره، وينهاه هواه فيترك ما نهاه، فيكون هواه هو
الذي يأمر ويهيئ عنده، ليس الله هو الذي يأمر وينهى، نسأل الله العافية.

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، رقم (٣٥٩١)،
واحاكم (٥٢٣/١) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٣)
٤٧٣)، وفي هدية الرواة (٢٣/٣).

(ومن منكرات الأدوية) الأمراض. الأدوية: جمع داء وهو المرض. الأدوية: هي الأمراض المستعصية كالبرص والجذام والسرطان والأدواء التي لا علاج لها. فارسلُ ﷺ يسأل الله السلامه منها.



النهي عن المراء والمزاح وإخلاف الوعد

١٩ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَمَارِ أَحَاكَ وَلَا تَمَارِحُهُ وَلَا تَعِدُّهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفُهُ»^(١). أخرجه الترمذي بسند فيه ضعف.

الشرح

هذا الحديث فيه النهي عن أشياء بين الإخوة المؤمنين، لأن المؤمنين إخوة بموجب الإيمان، وإن لم يكونوا إخوة بموجب النسب فهم إخوة في الإيمان، ولهذا نهى ﷺ في هذا الحديث عن ثلاثة أشياء تكدر هذه الأخوة وتؤثر عليها.

الشيء الأول: قال: (لا تمار أحاك) يعني لا تجادله؛ لأن الجدل يثير النفس، فيترك الجدل الذي ليس فيه فائدة، لأنه يسبب أثراً سيئاً بين الإخوان، وأيضاً إذا جادلتك فكأنك نقضت.

الشيء الثاني: (لا تمازحه) المراد لمزاح الكثير؛ لأنه يدل على الاستخفاف، وأما ايسير الذي ليس فيه تنقص لأحد، فلا بأس به، وكان النبي يمرح، ولا يقول إلا حقاً^(٢).

(١) رواه الترمذي في كتاب السر واصلة عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في المراء، برقم (١٩٩٥). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٦٢٧٤) وفي هداية الرواة برقم (٤٨١٨)

(٢) محل فضيلة الشيخ حفظه الله ينسب إلى حديث أمي هريرة رضي الله عنه قل، قلوا، يا رسول الله! إنك تدعبد، قل: «إني لا أقول إلا حقاً». أخرجه الترمذي في أبواب السر واصلة، باب ما جاء في المزاح، برقم (١٩٩٠)، وأحمد في مسنده (٣٦٠/٢)، وابيحري في الأدب المفرد برقم (٢٦٥)

والشيء الثالث: (لا تعده وعداً فتخلفه) هذا أشدُّ الوفاء بالوعد من صفات المؤمنين، وإخلاف الوعد من صفات المنافقين، فالمنافق كما في الحديث إذا وعد أخلف، أما المؤمن إذا وعد صدق في وعده، فإذا وعدت أخاك وعداً فاصدق فيه أولاً: لأن الوفاء بالوعد من صفات المؤمنين.

وثانياً: لأن فيه تقوية للأخوة؛ لأنك لو أخلفته صار في نفسه شيء عليك، فإخلاف الوعد مذموم لا سيما إذا كان بين المؤمنين.



ما جاء في ذم البخل وسوء الخلق

٢٠ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
 «خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(١).
 أخرجه الترمذي. في سننه ضعف.

الشَّيْخ -

(خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ) يعني كامل الإيمان، فإذا اجتمعتا فيه فإيمانه ناقص.

الصفة الأولى: (البخل) والبخل مذموم؛ لأنه يَغْضُرُ الإنسان إلى الساس، حتى إلى أقاربه، والكرم محمود ويحبُّ الإنسان حتى إلى أعدائه.

وأيضاً البخل يحمل على منع أداء الواجبات كالزكاة والنفقة الواجبة، ويمنع من حقوق كثيرة، لأن البخل لا يحب أن يخرج شيئاً، فهو صفة ذميمة، وقد قال جل وعلا: ﴿... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۚ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝﴾ [الحديد].

فالمؤمن لا يتصف بالبخل، بل يتصف بالكرم، وأداء الواجبات المالية التي عليه.

(١) روه الترمذي في كتاب ابهر والبخل والصفة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في البخل، برقم (١٩٦٢). والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٨٢). وضعه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم (١١١٩).

والخصلة الثانية: (سوء الخلق) فحسن الخلق: ما يتحلى به لإنسان من كرم النفس، وحسن الطباع، وعكسه: سوء الخلق، وأثنى النبي ﷺ على محاسن الأخلاق^(١)، وأثنى الله جلا وعلا على نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم].

ولقد ذهب حسن الخلق بخيرَي الدنيا والآخرة، وأما سوء الخلق فإنه يُبَغِّضُ الإنسان إلى الناس، فيحب على لإنسان أن ينصف بحسن الخلق مع الناس، ولا سيما إذا كان مسؤولاً من المسؤولين، فإنه يحسن أخلاقه مع الناس، وكذلك إذا كان يدعو إلى الله من أجل أن تُقبل دعوته ويستجاب له.



(١) يشير الشيخ حفصه الله إلى قول الرسول الكريم ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مُعَالِي الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سُفَاسِفَهَا»، رواه الطبري في معجمه الكبير رقم (٢٨٩٤)، وانظر: سلسلة لأحاديث صحيحة للألباني رحمه الله، الحديث رقم (١٦٢١).

ليس المؤمن بالسبّاب

٢١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المُسْتَبَانِ ما قالا، فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم»^(١). أخرجه مسلم.

الشيخ

(المُسْتَبَانِ) من السبّاب وهو الشتم وسوء الكلام، هذا منهي عنه، ليس المؤمن بالسبّاب، يُكرّم المؤمن لسانه ويصونه عن أن يكون سبّاباً يسب الناس ويشتمهم، ويُسيء إليهم بالقول، فإذا حدث أن أحداً ست أحداً من الناس، فالمسبوب له أن يردّ على السابّ بمثل ما سبّه به من باب الفصاح والعدل، ويدفع الغي عن نفسه، له ذلك، وإذا عما عنه وكفّ لسانه عنه فهو أحسن، ولكن له أن يقتصر منه وأن يردّ عليه بمثل ما قال في حقه، ويكون الإثم على البادئ.

(المستبان ما قالا) من الكلام السيئ (فعلى البادئ) يعني عليه الإثم؛ لأنه هو الذي سبّب هذا الشيء، فيكون الإثم عليه، إلا إذا اعتدى المظلوم لمسبوب. سمّاه مظلوماً، إذا اعتدى: يعني زاد عن ما قال في حقه السابّ. فإنه لا يؤذّن له بذلك، هذا ظنّم ويكون إثم الاعتداء والزيادة عليه، فلا يجوز للإنسان أنه يزيد في الرد على من سبّه، بل يردّ عليه بمثل ما قال، فإن زاد فهو معتدّ ويكون الإثم عليه لا على البادئ.

(١) روه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن السبّاب، رقم

لا يجوز للمسلم أن يضر أخاه المسلم

٢٢ - وعن أبي صرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضارَّ مُسْلِمًا ضارَّهُ الله، وَمَنْ شاقَّ مسلماً شَقَّ الله عليه»^(١). أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه.

(١) رواه أبو داود في كتاب القضاء، باب في القضاء، برقم (٣٦٣٥)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الخيانة والغش، برقم (١٩٤٠)، وابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من نى في حقه ما يضر جاره، برقم (٢٣٨٥)، وأحمد في مسنده (٤٥٣/٣) وحسنه الترمذي.

* قال الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان حفظه الله عند تخريجه لهذا الحديث في كتابه «مسحة العلام في شرح بلوغ المرام» (١٠/٢٦٢): «هذا الحديث رواه أبو داود في كتاب الأقبضية (أبواب القضاء) والترمذي وأحمد من طريق الديلم بن سعد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن لؤلؤة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ضارَّ ضارَّ الله به، ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه»، هذا لفظ الترمذي، وليس في المصادر لمذكورة لفظة (مسلماً).

وذكر الشارح أنه جاء في رواية (انظر: عود المعبود ١٠/٦٤). قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب)، وفي مسنده لؤلؤة وهي مجهولة ذكرها الحافظ الذهبي في المحجولات (ميران الاعتدال ٤/٦١٠).

وضعف هذا الحديث ابن القطان لأنه يرى ضعف لؤلؤة لتعدد محمد بن حبان بالرواية عنها، والمستدرك الذي يُقبل حصره هو من روى عنه أكثر من واحد، أم من لم يرو عنه أكثر من واحد فلا يُقبل (بيان الوهم والإيهام ٣/٥٥٠) اهـ.

* وانظر: إرواء الغليل بمحدث الألباني رحمته الله (٣/٤١٣ - ٤١٤).

الشَّجْحُ

(من ضارَّ مسلماً) يعني أوقع به الضررَ، فلا يجوز للمسلم أن يضرَّ أخاه المسلم، فإذا ضارَّه يعني أوقع عليه الضررَ في نفسه، أو في ماله، فإن الله جل وعلا يضرُّه جزاءً له وعقوبةً به، ويتصرَّ بعبده الذي وقع عليه الضرر، وهذا وعيدٌ شديد أنه لا يجوز للمسلم أن يضرَّ أخاه المسلم بأي نوعٍ من أنواع الضرر، بل قال ﷺ: «لا ضررَ ولا ضِرارَ»^(١).

الوجِبُ على المسلم نحو أخيه المسلم أن يبذل له النفع والخير، أما أن يكون على العكس، ويلتمس له الضررَ فهذا يخالف الأخوة الإسلامية.

(ومن شاقَّ مسلماً شقُّ الله عليه) يعني حمَلُ مسماً مشقَّةً، فإن الله يشقُّ عليه جزاءً له؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهذا فيه الحثُّ على لرفق بإخوانك المسلمين، بأن لا تشقَّ عليهم، لا سيما إذا كن لك سلطةً، وقد مرَّ حديثُ أن النبي ﷺ قال: «اللهم من ولي من أممي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه»^(٢)، إذا كان للإنسان سلطة فلا يشقُّ على من تحت يده بل يرفق بهم، لأن المشقة فيها ضررٌ على أخيك المسلم.

فهذا الحديث فيه أن الجزاء من جنس العمل، وفيه تحريمُ الإضرار بالمسلمين، وتحريمُ تحميم المؤمنين المشقة، وفيه مشروعيةُ الرفق بالمسلمين.



(١) رواه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى هي حقه ما يضر جاره برقم (٢٣٨٤)، وأحمد في مسنده (٣٢٦/٥ - ٣٢٧) و(٣١٣، ١) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في: إرواء الغليل (٤٠٨/٣ - ٤١٣) بمجموع صرقه.

(٢) سبق تخريجه ص (١٦٣).

إن الله يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ

٢٣ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»^(١). أخرجه الترمذي وصححه.

الشرح

(إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ) هاتان صفتان مذمومتان، الفحش والبذاءة.

(إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ) هذا فيه أن الله يوصف بهذا الوصف أن الله يُبْغِضُ على الأعمال السيئة، وهذا البغض يلبق بجلاله، ليس كغضب المحبوقين، إنما هو من صفات الله ﷻ أنه يُبْغِضُ، وأنه يعصب، وأنه يَمْقُتُ، وأنه يكره، وأنه يسخط على أهل المعاصي وأهل المخالفات، فهذا من جملة صفات الله ﷻ أنه يغضب، قال تعالى: ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣] وصف نفسه بأنه يغضب.

والفاحش، هو الذي يأتي الفحش من القول ولعمل. والفحش: هو المكروه البين الذي يبين مناس من الأفعال القبيحة، ومن الأقوال القبيحة.

وأما البذِيءُ: فالبذاءة تكون بالكلام، لذِيءُ بلسانه: الذي يتناول على لسان بلسانه بالسب ولشتم والغيبة والنميمة، هذا كنه بذاءة. وكنه شر، والله يعصب أصحاب هاتين الخصلتين.

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الحق، برقم (٢٠٠٢)، وأبيهقي في السنن (١٠/١٩٣)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٨٧٦)

ليس المؤمن بالطَّعَانِ

٢٤ - وله من حديث ابن مسعود رضي الله عنه رَفَعَهُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»^(١). رواه الترمذي وحسنه، وصحَّحه الحاكم، ورجَّح الدارقطني وقفه.

الشیخ

(ليس المؤمن) يعني كامل الإيمان، لا يتصف المؤمن بهذه الصفات، فإن انصف بشيء منها فإنه يكون ناقص الإيمان.

(الطَّعَّان) الذي يطعُرُ في الناس، يطعُرُ في أنسابهم، ويطعُرُ في أخلاقهم، ويطعُرُ في أمورهم، لا يجوز للمسلم أن يطعُرَ في إخوانه المسلمين، وإذا عثرَ على شيء فإنه يستُرُّه، ويناصحُ من فعَلَهُ دون أن يطعُرَ فيه ظاهراً أمام الناس، بل يستُرُّ على أخيه، ويناصحه.

(ولا اللَّعَّان) يعني: كثير اللَّعْنِ، الذي يستعملُ اللَّعْنَ، ويعوِّدُ لسانه اللَّعْنَ، ويلعنُ كلَّ شيء، قد يلعنُ نفسه، ويلعنُ زوجته، ويلعنُ أولاده، ويلعنُ دابته، هذا ناقصُ الإيمان ليس بمؤمن، يعني لم يحجزه إيمانه عن اللَّعْنِ.

(١) رواه الترمذي وحسنه في كتاب الرِّبِّ والصلوة عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في لعنة، رقم (١٩٧٧)، والحاكم (١٤١)، وأحمد في مسنده (١٤٥١) و(٤١٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه في مسنده الأحاديث الصحيحة، رقم (٣٢٠)، وانظر: هدية الرواة للمحافظ ابن حجر بتخريج العلامة الألباني (٣٨٤٤).

واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإذا دعا على أحد باللعنة، فقد قال ﷺ: «... لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ...»^(١).
(والفاحش والبذيء) هذا سلف شرحه قريباً.



(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب عظم تحريم قتل الإنسان نفسه...، رقم (١١٠)

النهي عن سب الأموات

٢٥ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا»^(١). أخرجه البخاري.

الشرح

هذا فيه النهي عن سب الأموات والوقية فيهم، وقد علل ذلك ﷺ بقوله: (فإنهم قد أفضوا إلى ما قد عملوا) انتهوا من هذه الدنيا، وواجهوا جزاءهم عند الله، فلا فائدة من سبهم، وطاهر الحديث ولو كانوا كفاراً، الميت لا يسب ولو كان كافراً؛ لأنه لا فائدة من سبه، وأيضاً جاء تعليل ذلك بأنه يؤذي الأحياء، قد يكون هذا الميت له أولاد، له ذرية، فإذا سببته أسأت إلى ذريته، فيتجنب المسلم الوقية في الأموات.

قالوا: إلا في مسألة التحدير من داعية إلى الضلال، أو راوٍ غير مقبول الرواية في الحديث، فيبين ما فيه من أجل معرفة حاله، وأن لا يغتر به أو بما روى من الحديث، فهذا لمصلحة راجحة، أما إذا كان سب الميت ليس فيه مصلحة فإنه يتجنب، وقد انتهوا إلى أعمالهم وليس لنا فائدة في الكلام فيهم



(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يهى عن سب الأموات، رقم (١٣٩٣).

لا يدخل الجنة قتات

٢٦ - وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»^(١). متفق عليه.

الشَّبْحُ

(لا يدخل الجنة قتات) هذا وعيد شديد، والقتات: هو النَّمَام، وقد جاء في رواية: «لا يدخل الجنة نَمَام»^(٢)، وهذا وعيد شديد، والقتات والنَّمَام بمعنى واحد.

والنَّمَام: هو الذي ينقل الحديث بين الناس على وجه الإفساد والوشاية؛ لأجل أن يفكك المجتمع، ويوقع العداوة بين المسلمين، هذا نمام، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تُطْعَمْ كُلُّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿١١﴾ هَازِرٌ مَشَّامٌ بِمِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم].

والنميمة من كبائر الذنوب، ويُعَذَّب عليها في الفبر، يُعَذَّب النمام في قبره بالنميمة كما في الحديث، أن النبي ﷺ مرّ على قبرين فقال: «أما أنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»^(٣).

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، برقم (٦٠٥٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم النميمة، برقم (١٠٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب من الكدثر أن لا يستتر من بوله، برقم (٢١٦) و(٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب لدليل على نحاسة اسول ووجوب الاستبراء منه، برقم (٢٩٢) واللفظ له.

فدل على أن المنام يُعَذَّبُ في قبره، وهذا وعيدٌ شديد، وأخبر الرسول ﷺ في هذا الحديث أنه لا يدخل الجنة، وهذا من باب الوعيد، وليس معناه أنه كافر، لكن هذا من باب الوعيد والزجر. وقد يتأخر دخوله الجنة ويعذب في النار بكبيرته، فيتجنب المسلم النيمة، وقالوا: إن المنام يفسد في ساعة ما يفسده الساحر في سنة، وقد عد النبي ﷺ النيمة أنها نوع من السحر؛ لأنها تفسد بين الناس أشد مما يفسد السحر، قال ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعُضَةُ؟ هِيَ النِّمِيَّةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^(١).

العضة معناه: السحر، النيمة نوع من السحر من ناحية أنها تفسد مثل ما يفسد السحر في المجتمع، السحر يوجد العداوة بين الناس، كما قال سبحانه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ لَهُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذَنُ اللَّهُ﴾ [البقرة ١٠٢]، يوقعون العداوة بين الزوج وزوجه حتى يتفارقا، ويهدم الزوجية، وهذا من أثر السحر، وكذلك النيمة قد يأتي نمام ويفسد بين الزوج وزوجه، ويفسد بين الأب وابنه، ويفسد بين ل قريب وقريبه، ويفسد بين المسلمين، بل قد تقوم الحرب بسبب النيمة، فخطر النيمة شديد، ولهذا نوعد الله عليها أن صاحبها لا يدخل الجنة.



(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النيمة، برقم

فضل كف الغضب

٢٧ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ» أخرجه الطبراني في (الأوسط)^(١). وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن أبي الدنيا^(٢).

الشيخ

مر بنا أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني وأوجز، فقل له النبي ﷺ: «لا تَغْضَبْ» فكرر عليه، فقال: «لا تغضب».

فالتغضب سجية في الإنسان، يغضب الإنسان، ولكن إذا غضب فإنه يكف غصه.

وهذا الحديث (مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ) يعني من غضب وكف غضبه فإن الله جل وعلا وعده بالأجر والثوب، كف الله عنه النار يوم القيامة، الجزء

(١) أخرجه الطبراني في (الأوسط) برقم (١٣٢٠).

(٢) في كتاب الصمت وآداب اللسان، برقم (١٨)، وهو بلفظ: «من كف لسانه ستر الله ﷻ عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله ﷻ عذابه، ومن اعتذر إلى الله ﷻ قبل عذره». وقال العقيلي في الضعفاء (٣٥٠/٢) «... وفي العصب وحفظ اللسان أحاديث بأسند صالحة من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ». وقال الهيثمي في مجمع الروائد (٨/١٣٢) «وفيه عبد السلام بن هاشم المزاري وهو ضعيف» والحديث ضعفه الأساني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم (١٩١٦).

* وقال الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان في كتبه «منحة العلام في شرح بلوغ المرام» (١٠، ٢٧٧): «والحديث به صرق أخرى كتبها ضعيفة. ١»

من جنس العمل، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا مَا عَصَوْا هُمْ يَعْرِفُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] فإذا غضب الإنسان فإنه لا ينفذ غضبه، بل يمسك نفسه عن تنفيذ الغضب، فإذا كف غضبه، كف الله عنه الذر يوم القيامة، فهذا فضل كف الغضب.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرْعَةِ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(١)، فالذي يملك نفسه ويمنعها من تنفيذ الغضب فهذا هو الشديد، وهذا هو القوي. فهذا فيه الترغيب في أن الإنسان إذا غضب فإنه يصبر ولا ينفذ غضبه^(٢).



(١) سبق تخريجه ص (١٤٢)

(٢) قال الزبيدي رحمه الله: «اعلم أن الرفق محمود وصاده العنف والجدة، فاعنف نتيجة الغضب والمظاهرة، والرفق ولين نتيجة حسن الحيق، ولا يحسن الحيق إلا بصط قوة الغضب وحفظها على حد الاعتدال»، إنحاف اسادة المتقين (٤٦٩/٩).

ما جاء في بعض مساوئ الأخلاق

٢٨ - وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«لا يدخل الجنة خبٌّ، ولا بخيلٌ، ولا سيِّء المَلَكَةِ»^(١). أخرجه
الترمذي. وفرَّقه حديثين، وفي إسناده ضعف.

الخبُّ

(لا يدخل الجنة خبٌّ) هذا يعني دخول الجنة، وهذا من باب
الوعيد، و«خبٌّ»: معناه المخادعُ، الذي يخادع الناس، يخدعهم بكلامه،
وفي معاملاته، والناس يصدقونه وهو يحدّثهم ويكذب عليهم، فهذا
نوعه الله بأنه لا يدخل الجنة، وهذا وعيد شديد.
(ولا بخيل) تقدم الكلام عن الخيل وذم البخل.

(ولا سيِّء المَلَكَةِ) وهو الذي إذا ملك عبدٌ، أو ملك دابةً، أساء
إلى مملوكه، بأمر يُحْمَنُه ما لا يطيق، أو يمنع عنه الطعام ولشرب
ويحوّعه، ويعطشه، ويكلمه بكلام حارح، فهذا سيِّء المَلَكَةِ، الذي يسيء
إلى مملوكه سواء كان آدمياً أو بهيمةً، قال النبي ﷺ: «... إخوانكم
وخولُكم - يعني خدمكم - جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت
يديه فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فإن

(١) رواه الترمذي في كتاب السر وحنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في
الإحسان إلى العبد، رقم (١٩٤٦) و(١٩٦٣)، وابن ماجة في كتاب الأدب،
باب لإحسان إلى المملوك، رقم (٣٦٩١). وضعفه الألباني في تعييقه على
(هدية لرواة) (٣/ ٣٣٩).

كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ^(١) ، أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَطْعَمُونَ ، وَأَلْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلَا تَحْمِلُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يَطِيقُونَ .

فالمسئم يحسنُ الملكة ، يحسنُ إلى ممنوكه ، سواءً كان آدمياً أو بهيمة ، ولكرَّ آدميٍّ حُرْمَتُهُ أَشَدُّ ، لأنه أخوك ، كذلك الدابة ، الدابة لها إحساسٌ وتتألم من الصرب ، تتألم من الحمل الثقيل ، تتألم من الجوع ، تتألم من العطش فأحسنُ إليها ، وقد جاء في الحديث : «أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٢) .

وكذلك جاء في الحديث : «أن امرأة بغياً من بني إسرائيل سقت كلباً لما رآته يلهث من شدة العطش ، فغفر الله لها»^(٣) . وقال ﷺ : «في كل كبدٍ رطبة أجر»^(٤)

فالمسلم إذا ملك بهيمة أو منك آدمياً فإنه يحسنُ إليه ولا يشق عليه ، وتوعد الله الذي لا يحسنُ الملكة بأنه لا يدخل الجنة ، وهذا وعيد شديد^(٥) .

(١) رواه البخاري في كتاب العتق ، باب قوب النبي ﷺ : «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون» ، برقم (٢٥٤٥) ، ومسئم في كتاب الأيمان والنذور ، باب إطعام الممنوك مما يأكل ويلبسه مما لبس . . برقم (١٦٦١) .

(٢) رواه البخاري في كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، برقم (٢٣٦٥) ، ومسئم في كتاب اسلام ، باب تحريم قتل بهرة ، برقم (٢٢٤٢)

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب برقم (٣٤٦٧) ، ومسئم في كتاب اسلام ، باب فضل سقي البهائم المحرمة وإطعمها ، برقم (٢٢٤٥)

(٤) رواه البخاري في كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، برقم (٢٣٦٣) ، ومسئم في كتاب السلام ، باب فضل سقي البهائم المحرمة وإطعمها ، برقم (٢٢٤٤)

(٥) «ومن جمل ما يُذكر من أخلاق نبيك ﷺ الصالح في التعامل مع الحيوان وعدم تحميله ما لا يطيق عن معاوية بن قرة ؓ قال قال ﷺ : «لا تحمِلُوا عَمِيهَ إِلَّا كَمَا ، وَكَذَا فَمِنْهُ لَا يَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا حَصَرْتَهُ مَوْتَهُ قَالَ : يَا دُمُونُ لَا تَحْصِمْنِي عَدَاً عِنْدَ رَبِّي فَمِنْهُ لَمْ أَكُنْ أَحْمِلْ عَمِيكَ إِلَّا مَا تُطِيقُ» ، وأوردته العلامة الألباني رحمه الله في

ما جاء من الوعيد في تسمُّع حديث الآخرين

٢٩ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَسَمَّعَ حديثَ قومٍ. وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنِيهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١) يعني الرِّصَاصَ. أخرجه البخاري.

الشَّيْخ

هذا الحديث فيه تحريم الاستماع إلى كلام الناس الذين لا يحبون أن يُستمع إليهم. الذي يَتَصَبَّ على الناس، على الجيران. وعلى المتحدثين ماذا يقولون؟ من أجل أن نخبر عنه، هذا عليه وعيد شديد.

(تسمُّع - أي استمع إلى - حديث قوم) يعني كلام الناس و(هم له كارهون) بكرهون أن أحداً يسمعهم. أما إذا صار الحديث علانية، ولا

المصححة رقم (٣٠) وقال أخرجه أبو الحسن الإحسي في حديثه (ق/١/٦٣) * وعن أبي عثمان الثقفي قال «كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على نخل له، يأتيه بدرهم كل يوم، فجاء يوماً بدرهم ويصف، فقال: ما بالث؟ قال: نفقت السوق، قال: لا، ولكنك أتعت النخل».

قال العلامة الألباني في السلسلة، المصححة رقم (٣٠) «أخرجه أحمد في لرهة بسند صحيح...». وانظر موسوعة الأخلاق للفضيلة الشيخ عثمان بن جمعة الخزاز ص (٤٩٣ - ٥١٠) ط - مكتبة أهل الأثر بالكويت

(١) رواه البحاري في كتاب السعير، باب من كذب في حمه، رقم (٧٠٤٢) بلفظ: «مَنْ تَحَلَّمَ حَلْمَ مَنْ يَرَاهُ كُفِّ أَدَّ يَعْقِدُ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفْرُونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةَ غَدَبٍ وَكَفَّ أَنْ يَنْفَعُ فِيهَا، وَلَيْسَ بِرَافِعٍ».

يكرهون أن يسمعه الناس، لا بأس، إنما إذا كانوا يكرهون هذا، لا يريدون أن يسمعهم أحد، فمن خَدَعَهُمْ وتَسَمَّعَ إليهم، وهم لا يدرون، من أجل أن يفشي سرهم، ويقل كلامهم (فإنه يُصَبُّ في أذنيه الآنك)، وفسره الراوي بأنه الرصاص، وقيل: الرصاص المذاب، ولعياذ بالله، وهو شديد الحرارة

الأذان اللتان خات في الدنيا واستمعتا إلى حديث الناس الذين لا يحبون أن يسمع كلامهم، يصبُّ في أذنيه اللتين سمعتا هذا الكلام الآنك، وهذا في النار والعياد بالله.



وَعْدُ كَرِيمٍ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ

٣٠ - وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ»^(١). أخرجه البزارُ بإسناد حسن.

الشَّجْ

(طوبى) شجرة في الجنة. تكون لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، ينظر في عيوبه هو ويصلحها، ويحاسب نفسه، ولا يشتغل بعيوب الناس، ويغفل عن عيوبه، فلذي يشتغل بعيوبه ويترك عيوب الناس، هذا له هذا الوعد الكريم أن له طوبى، وهي شجرة في الجنة، يسير الركب في ظلها مسيرة مائة عام، أو كما جاء^(٢)، وقيل: طوبى هي الجهة.

هذا الحديث فيه فضيلة الإنسان الذي يشتغل بعيوب نفسه ويصلحها، ولا يشتغل بعيوب الناس، وفيه ذم العكس وهو الذي يشتغل بعيوب الناس، وينسى عيب نفسه.

(١) أخرجه البزار في مسنده (٣٤٨/١٢)، وابن عدي في الكامل (٨/٣٦٥) في ترجمة أبوبد بن المهيب (الأردني) وقال: «أحاديثه فيها بعض النكرة»، والبيهقي في جامع لشعب الإيمان (٩٧/١٥)، وضعف الألباني رحمه إسناده في مسنده لأحاديث الضعيفة (٢٩٩، ٩).

(٢) يشير فضيلته حفظه الله إلى ما رواه ابن حبان رحمته الله في صحيحه، رقم (٧٤١٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال له رجل: يا طوبى؟ قال «شجرة في لجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها». قال العلامة الألباني رحمته الله في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٠١/١٠) حسن لغيره.

تحريم الكبر والخيلاء وإعجاب المرء بنفسه

٣١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»^(١).
أخرجه الحاكم، ورحاله ثقات.

الشرح

هذا في ذم الكبر (من تعاضم في نفسه) يعني: أعجب بنفسه وتكبر.
(واختال في مِشْيَتِهِ) المشية نوع من الكبر، فعطفه عليه من عطف الخاص على العام، وهو نوع من الكبر، الذي يتعاضم في نفسه. ويرى أنه كبير وأنه فوق الناس، وإذا مشى يمشي مشية المتكبرين، فهذا عليه وعيد شديد (لقي الله وهو عليه غضبان) غضب الله ﷻ لا يقوم له شيء، فهذا وعيد شديد على من تكبر وتعاضم في نفسه على الناس، والواجب على الإنسان التواضع مع الناس ومع إخوانه؛ لأنه ضعيف، كيف يتعاضم وهو ضعيف مثل الناس أو أقل منهم، قد يكون في الناس من هو خير

(١) رواه الحاكم (٦٠/١)، وأحمد في مسنده (١١٨/٢)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٥٤٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٥٤٣)، وقال ﷺ عقب تحريجه للحديث: «... وول الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووقع في لتدخيص «على شرط مسلم»، وكذا نقل المدري في لترعيب (٢٠٤) عن الحاكم، وكر ذلك وهم فيه على شرط البحري فقط، لأن يونس بن القاسم لم يخرج له مسلم. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢، ٢).

منه، من هو أحسن منه، يستصغر الإنسان نفسه، ولا يُعجَبُ بنفسه، وإذا مشى يمشي مشية المتواضعين، ويرفُق في مشيته، لأن الاختيال في المشية مظهرٌ من مظاهر التكبر، على الإنسان أن يتواضع، ومن توضع لله رفعه، ومن تعاظم في نفسه غضب الله عليه.

وفي هذا الحديث إثبات الغضب لله ﷻ، وأنه صفة من صفاته، وفيه تحريم الكبر وإعجاب المرء بنفسه^(١).



(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح (٢/٦٦٢): «وأما الكبر فأثر من ثار العجب والسخرى من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، نرخت منه العمودية، ونزل عليه المفت، فنظره إلى الناس سزر، ومشيه بينهم تبختر. ومعاملته لهم معاملة الاستئثار، لا الإيثار ولا الإنصاف. ذاهب بنفسه تيهاً، لا يبدأ من لقيه باسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه، لا يسمعهم خلقه، لا يرى لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فصلهم عليه، ويرى فضله عليهم، لا يرداد من الله إلا بُعداً، ولا من الناس إلا صغاراً وبُعضاً...».

ما جاء في ذم العجلة

٣٢ - وعن سَهْل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١). أخرجه الترمذي، وقال: حسن.

الشَّيْخ

(العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ) العجلة: يعني التسرع في الأمور. فالمؤمن لا يتسرع في الأمور وإنما يتأنى، لأن التسرع ربما يؤدي إلى الضرر، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ جَاءَهُمْ فَاسِقٌ يُسَلِّ فَتَعَيِّنُوا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَنُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَذَمِينًا﴾ [الحجرات].

قد يستعجل الإنسان، فتكون عجلته ندامة، ولو أنه تأنى وترؤى في الأمور لكان في ذلك الخير، فالعجلة مذمومة، إلا في أمور العبادات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [ك عمران ١٣٣]. وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١].

فأمور العبادات لا تحتاج أن يتأنى فيها الإنسان، بل تحتاج إلى المبادرة لئلا تفوت، أما غير أمور العبادات فعلى الإنسان أن يتأنى فيها، ولا يستعجل.

(١) رواه الترمذي وحسنه في كتاب لمر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التأنى والعجلة، برقم (٢٠١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٤/١٠) بلفظ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان» وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٧٩٥).

وقد أثنى النبي ﷺ على أشجَّ عبد القيس، وقال: «إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله ورسوله: الجَلْمُ والأناة»^(١)، الجَلْمُ: ضد العصب، والأناة: التأني في الأمور، وعدمُ العجلة في الأمور^(٢). وكذلك حتى في أمور نفسك الخاصة في لبيع والشراء والمعاملات، إذ تأنيت وترويت يكون هذا أحسن من العجلة^(٣).



- (١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١١١٧٥).
- (٢) عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «التَّؤَدَةُ في كل شيء إلا في عمل الآخرة». رواه أبو داود (٤٨١٠).
- (٣) قال الإمام ابن القيم رحمته الله في كتاب الروح: (٧١٧/٢ - ٧١٨): «الفرق بين المبادرة والعجلة: أنَّ لمبادرة انتهاء الفرصة في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في أواخرها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته فهو ممرلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمار نصحها وإدراكها. والعجلة: طرب أخذ الشيء قبل وقته، فهو لشدة حرصه عليه ممرلة من أخذ الثمرة قبل أوان إدراكها. فالمبادرة وسط بين خلقيين مذمومين أحدهما التفريط والإضاعة، ولثاني: الاستعجال قبل الوقت. ولهذا كانت العجلة من الشيطان، فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، ونحو عبه أنواعاً من الشرور، وتمنعه أنواعاً من الخير وهي قريئ السدامة، فقل من استعجل إلا ندم، كما أنَّ الكسل قريئ الموت والإضاعة»

ما جاء في ذم سوء الخلق

٣٣ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الشُّؤْمُ سوء الخلق»^(١). أخرجه أحمد، وفي إسناده ضعف.

الشيخ

مرّ بنا سوء الخو وأنه لا يتصف به المؤمن، يتصف المؤمن بالخلق الطيب، وفي هذا زيادة أن سوء الخلق سوء يعني يوقع الإنسان في المكروه، والشؤم هو توقع المكروه، فإذا ساء خلق الإنسان توقع المكروه وتشاءم^(٢).

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه وصدق ما يعتاده من توهُم



(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٨٥)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢١١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٦) وقال: رواه الطبراني وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٢/ ٢٠٧).

(٢) «جمع بعضهم علامات سوء الحق، فقال: «أن يكون قلب الحياء، كثير الأذى قليل الإصلاح، كذوب نسب، كثير اكلاه فسل العمل، كثير الزلل كثير المضول، لا برأ ولا وصولاً، ولا صبوراً ولا شكوراً، ولا حيماً، ولا رفقاً، ولا عفيفاً، ولا شقيقاً، نعد، سداً، مدماً، معتداً، عحولاً، حصوداً، حيلاً، حسوداً، غصوباً، كذا يحب في شهواته ولا يبغض فيهن، فهذا هو سوء الخلق» انظر: موسوعة نضرة العيم في مكرم أخلاق الرسول الكريم (١٠، ٤٦٥١).

بيان الوعيد الذي على اللعان

٣٤ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). أخرجه مسلم.

السَّنَج

مرّ حديث: «المؤمنُ ليس بالطَّعَّانِ وَلَا بِاللَّعَّانِ»^(٢)، فنفي عنه كمال الإيمان في ذلك الحديث، وفي هذا الحديث بأن الوعيد الذي على اللعان، وأن اللعان لا يكون شهيداً، قيل: لا يكون شهيداً في الدنيا، يعني لا تُقبل شهادته، لأنه يكون فاسقاً، ولفاسق لا تقبل شهادته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [البور ٢٤].

وقيل: لا يكون شهيداً يوم القيامة على الأمم. كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] في أن لرسول بلغوهم، لأنكم وحدتم في القرآن قصة قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، قصر القرآن عليكم خبر الأمم، والقرآن من عند الله ﷻ، فأنتم تشهدون على الأمم أن رسبهم بلغوا^(٣)، ولكن اللعان

(١) رواه مسلم في كتاب البر ولصّة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٨).

(٢) سبق تحريجه ص (١٩١).

(٣) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى قوله صوات الله وسلامه عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب. فيقول لأمته. هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي. يقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فتشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ رواه البخاري برقم (٢٣٣٩).

لا يكون شهيداً يوم القيامة، وهذا فيه فضل لهذه الأمة كونهم شهداء على الناس، وبهذا قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدولاً خيراً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، ولكن اللعان لا يكون مع الأمة في هذا الشيء، وهذا من باب العقوبة، فهو لا يكون شهيداً لا في الدنيا، ولا في الآخرة، حتى يتوب إلى الله ويترك اللعن، وكثير من الناس لا يُبالي باللعن، واعتاد لسانه ذلك، بل يلعن من يحب أحياناً يقول: هذا من باب المزاح، والصدقة بيننا، هذا والعياذ بالله خُلِقَ سيئاً.

(ولا يكون شافعاً) ولا يكون شفيعاً يوم القيامة، لأن أهل الإيمان يشفعون يوم القيامة في أصحاب الكبائر، الشفاعة معناها الوساطة في الخير، فيوم القيامة تكون هناك شفاعة عند الله بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله لشفاع أن يشفع.

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل الإيمان، إذا استحق إنسان مؤمن دخول النار أو دخلها بكبيرة أو كبائر فعلها، يشفع له الشفعاء يوم القيامة فيخرج من النار، ومن جملة الشفعاء: المؤمنون، فالأنبياء يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط - وهم الذين ماتوا صغاراً من أولاد المسلمين - يشفعون لأناتهم يوم لقيامة، فهذا اللعان الذي كان يلعن في الدنيا ويشتم ويسب، هذا لا يكون شافعاً عند الله يوم القيامة إهانة له، فهذا وعيد شديد على هذه الجريمة، وهي جريمة النفوذ باللعن، وهذا يتساهل فيه كثير من الناس^(١).

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «لأن اللعن بمائة بل من أبع الإساءة، والشفاعة إحسان، فلمسي في هذه الدار باللعن، يسلبه الله الإحسان في الأخرى بالشفاعة، فإن الإحسان إنما يحصد ما يزرع والإساءة مانعة -

التحذير: من عيّر الشخص بذنبه

٣٥ - وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عيّر أخاه بذنب، لم يمُتْ حتى يَعْمَلُهُ»^(١). أخرجه الترمذي وحسنه، وسنده منقطع.

الشرح

(من عيّر أخاه بذنب) يعني تنقّص أخاه لذنبه، وذكر ذنبه، بينما الواجب سترُ المسلم مع مناصحته، أما إذا عيّره وتنقّصه ونبذه بهذا الذنب، فإن الله يبتليه في أن يقع في مثل هذا الذنب عقوبةً له، فهذا فيه تحريمٌ تعيير المسلمين بذنوبهم، وذكر عيوبهم.

الواجبُ على المسلم أن يستر أخاه المسلم قال ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»^(٢)، ولكن مع النصيحة فيما بينك وبينه إشفقاً عليه، ورحمةً به.



من اشفعة التي هي إحسان، وأما منع العير من الشهادة فإن العير عداوة وهي مادية شهادة، ولهذا كن النبي ﷺ سيد الشعراء وشعيع الحقائق، كما أحسنه ورأفته ورحمته هم ﷺ بذائع اعوائد (٣، ١١٦٨)

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة النفيمة والرفائق، ب إورع عن رسول الله ﷺ، برقم (٢٥٠٥)، وقال «هذا حديث غريب وبس إسناده منقطع وخالد بن معدان لم يدرْ معاذ بن جبل». وقال ابن الجوزي رحمته الله في كتابه «الموضوعات» (٣/ ٢٧٧) «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ»

(٢) سبق تحريجه ص (٩٢)

التحذير من الكذب ليضحك الناس

٣٦ - وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلُّ لَهُ، ثُمَّ وَيَلُّ لَهُ»^(١). أخرجه الثلاثة. وإسناده قوي.

الشرح

(بهز بن حكيم) بن معاوية بن خنيدة، ومعاوية بن خنيدة، صحابي.
(وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلُّ لَهُ، ثُمَّ وَيَلُّ لَهُ)
وويل: كلمة عذاب، وقيل: واد في جهنم.

لا يجوز الكذب، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، قال تعالى:
﴿فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران ٦١]. فلا يجوز للإنسان أن يكذب ويقول خلاف الحقيقة، والواجب على المؤمن الصدق، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [السورة] المؤمن صادق فيما يقول، وفيما يعد، وفيما يعاهد. وفيما يتحدث عند الناس، فلا يخسر الناس بأخبار مكذوبة من أجل أن يضحكهم.
لا يجوز الكذب إلا في ثلاثة مسائل فقط، المصلحة فيها راجحة، هو كذب ولكن يحوز لأجل المصلحة الراجحة فيها:

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، برقم (٤٩٩٠)، والترمذي وحسنه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس. برقم (٢٣١٥)، وأحمد في مسنده (٣/٥) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في عية المروم، برقم (٣٧٦)

الأولى: الإصلاح بين الناس. فيكذب الإنسان من أجل أن يصلح بين المتنازعين، يأتي واحداً ويقول له: فلان يُشني عليك، ويمدحك، ويادم على ما حصل منه في حقك، ويريد المصالحة معك، وينتهي للثاني ويقول مثل هذا، فيجمع بين الاثنين، ويصلح بينهما، هذا الكذب من أجل الإصلاح بين الناس، والمصلحة فيه راجحة، فيجوز هذا.

الثانية: في الحرب، الحرب خدعة، فيجوز الكذب في الحرب لأجل خديعة العدو.

الثالثة: بين الزوجين؛ لأجل إصلاح العشرة، فالزوج يكذب على زوجته، والزوجة تكذب على زوجها من أجل إصلاح العشرة بينهما، يقول: أنا أحبك، وأنا أقدرك، وتقول هي كذلك: أنا أحبك وأنا راغبة فيك، وما أشبه ذلك، ولو كان ذلك غير صحيح من أجل إبقاء لعشرة بينهما، فالمصلحة راجحة في هذا.

وما عدا هذه الثلاث^(١)، الكذب حرام، ويدخل في هذا أصحاب التمثيليات الذين يضحكون الناس بالهزليات، ويأتون بشيء ليس واقعاً، وإنما هو كذب من أجل أن يضحكون الناس.



(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد (٤٠٤/٦) عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها، قالت: «ما سمعت رسول الله ﷺ يُرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقور يقور في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها...». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني رحمته الله، برقم (٥٤٥)

كفارة الغيبة

٣٧ - وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كفارة من اغتبتَه أن تستغفرَ له»^(١). رواه الحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف.

الشَّيْخُ

الغيبة حرام كما سبق، وهي كبيرة من كبائر الذنوب. والغيبة: ذكرُك أخاك بما يكره في حال غيبته، تتحدث عنه في المجالس، تذكر مساوئه، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ﴾ [المحرات ١٢].

فإذا وقع منك غيبة في أحبك، ثم ندمت وثبتت، فإن هذا لا يكفي؛ لأن هذا حق آدمي، وحق الادمي لا يسقط إلا بمسامحته، قال ﷺ: «من كانَ عنده لأخيه مظلمةٌ من مالٍ أو عرضٍ فليتحلَّله منه اليوم»^(٢)، فإذا اغتبت أحداً، وأردت التوبة، فإنك تطب المسامحة منه إلا في حالتين:

الحالة الأولى: إذا مات، أو إذا انتقل ولا تقدر على طلب المسامحة منه، هذ تستغفر له وتُثني عليه في المجالس التي اغتبتَه فيها.

الحالة الثانية: إذا كان إذا أخبرته يغضب، ولا يقبل أن يعفو عنك، بل يغضب وتشتد العداوة بينك وبينه، فدرء المفسد مقدّم على جلب المصالح، ففي هذه الحالة تستغفر له وتُثني عليه.

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في (بعية الباحث)، برقم (١٠٨٧)، وصغفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، برقم (١٥١٩).

(٢) سبق تخريجه ص (١٤٦).

أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ!!

٣٨ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصِمُ» ^(١). أخرجه مسلم.

الشَّيْخ

(الألد): هو الذي يخصم بالباطل، هو الذي يشتد في الخصومة، ولا يرعوي، قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [القرة: ٢٠٤]، وقال سبحانه: ﴿وَنُذِرَ يَوْمَ قَوْمٍ لَّدَا﴾ [مريم: ٩٧].

يُغض الله جل وعلا هذا لصنف من الناس، وإذا خاصم الإنسان فإنه يخاصم بالطرق الشرعية، ليتوصل إلى حقه، ولا يشتد في الخصومة، ويرتكب الحيل من أجل أن يتغلب على خصمه، بل يخاصم إن كان عنده بينة، وإن لم يكن عنده بينة يرضى بيمين المدعى عليه، ولا بلجأ إلى حصومات ومنازعات، وهو يعرف أنه ليس على حق، هذا هو ألد الخصام، هذا يبغضه الله يوم القيامة.

يجب على الإنسان إذا تبين له الحكم شرعي أن ينقاد ويرضى، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٥٨].



(١) رواه البخاري في كتاب المصالح، باب قول الله تعالى ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾. برفق (٢٤٥٧)، ومسلم في كتاب اعم، باب في الألد الخصم، برفق (٢٦٦٨).

باب الترغيب في مكارم الأخلاق

لما ذكر بحمّته في الباب السابق الأخلاق السيئة التي يجب تجنّبها، ذكر في هذا الباب الأخلاق الطيبة الحسنة التي يجب على المسلم أن يتحلّى بها.

(الترغيب): تفعيل من الرغبة، وهي طلب الشيء، فالرغبة في الشيء: طلبه، والرغبة عن الشيء: تركه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِثَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [سورة: ١٣٠]، يعني من يترك ملة إبراهيم إلا سفيه. (والمكارم): جمع مكرمة، ولشيء الكريم: هو لشيء لنفسه الطيب.

(والأخلاق): جمع خلق، وهو ما يتحقّق به الإنسان من الصفات الحميدة

الخلق بخلاف لخلق، الخلق هذا للصورة الظاهرة، وأما الخلق فهو للصورة الباطنة للإنسان، قد يكون الإنسان حسن الخلق وحسن الخلق، هذا أطيب ما يكون، وقد يكون سيئ الخلق وسيئ الخلق وهذا أسوأ ما يكون، وقد يكون سيئ الخلقة ولكنه حسن الخلق، وهذا طيب، العبرة ليست بالصورة الظاهرة، العبرة بالصورة الباطنة والتعامل الطيب والسلوك الحسن^(١).

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم». وفي رواية له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

الصدق من خصال الخلق الطيب

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرَّجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتبَ عندَ الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرَّجل يكذب، وينحرَّى الكذب حتى يُكتبَ عندَ الله كذاباً»^(١). متفق عليه.

الشرح

وفي هذا الحديث أنَّ من خصال الخلق الطيب الصدق، ومن خصال الخلق السيئ الكذب، وقد أثنى الله على أهل الصدق والصادقين ووعدهم بجزيل الثواب، وتوعَّد الله أهل الكذب والكاذبين بأليم العقاب، واصدق يكون مع الله جل وعلا فيم بير العبد وبين ربِّه بإصلاح النية، وحسن العبادة، والتزام طاعة الله، وترك معصية الله، ويكون الصدق أيضاً مع الناس في حسن التعامل، وتحمل الأذى وبذل الخير.

وحدث النبي ﷺ في هذا الحديث على الصدق فقال:

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وما يُنهى عن الكذب، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم (٢٦٠٧).

(عليكم بالصدق) عليكم: هذه كلمة حث وإغراء كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] هذا حث على إصلاح النفوس، (عليكم بالصدق) أي: الزموا الصدق في أقوالكم وأفعالكم وعباداتكم وجميع شؤونكم

ثم علل ﷺ هذا الأمر وهذا الحث بقوله: (فإن الصدق يهدي إلى البر) البر: كلمة جامعة تجمع كل خصال الخير، فإن الصدق يهدي: يعني يدل إلى البر.

(والبر يهدي إلى الجنة) البر وهو فعل الطاعات، وترك المحرمات، والتزام الخير، يهدي إلى الجنة. يعني يدل على أعمال الجنة ويوصل إلى الجنة، فالصدق وسيلة إلى البر، والبر وسيلة إلى الجنة.

(ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق) يصدق فيما يقول وفيما يفعل، ويتحرى الصدق، فلا يتساهل في أمر الصدق بل يتحرّاه ويلتزمه في جميع أعماله وأقواله، فما كان صدقاً فعلة، وما كان غير صدق تركه.

(حتى يكتب عند الله صديقاً) الصديق: البالغ في لصدق مع الله ومع الخلق، ودرجة الصديقين بعد درجة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء]، هذه منزلة عاصية، منزلة عصيمة بعد منزلة الأنبياء، والمؤمن يكتسبها بلزوم الصدق، ومن ذلك سمي أبو بكر رضي الله عنه بالصديق، لأنه كان كثير الصدق، ولم يُحرب عليه الكذب رضي الله عنه^(١).

(١) قال سماحة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العبد البدر في كتبه

وإصدق على قسمين: سنجية يجعلها الله في الإنسان ومكتسبة. لأن الإنسان يعود نفسه على الصدق، ولا يتساهل في الكذب، بل يترك الكذب نهائياً حتى ولو كان مازحاً، فإذا عود نفسه الصدق صار صديقاً.

(وإياكم والكذب) والكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع، فإذا طبق الخبر الواقع صار صدقاً، وإذا خالف الخبر الواقع صار كذباً.

(فإن الكذب يهدي إلى الفجور) الفجور: هو الخروج عن طاعة الله ﷻ، فافاجر وافاسق كلاهما خارج عن طاعة الله جلّ وعلا.

(وإن الفجور يهدي إلى النار) كما أن البر يهدي إلى الجنة، فالفجور يهدي إلى النار؛ لأنه يحمل صاحبه على فعل المعاصي وفعل السيئات. ويكذب فيما بينه وبين الله، ويكذب فيما بينه وبين الناس، فكون أعماله كلها كذباً، ويكون من أهل النار.

(ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) فإذا كان الإنسان لا يتحاشى الكذب، ولا يخاف من الكذب، فهذا نصير

- (من كوز لقرن لكریم) ص (١٥٥) عند تفسيره لسورة الفاتحة: «وقد استدلل شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بسورة الفاتحة على صحة خلافة أبي بكر ﷺ فقال في كتابه (أضواء البیان) (٥١/١): «يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق ﷺ لأنه داخل فيمن أمر الله في السبع المثاني والقرآن العظيم - أعني الفاتحة - بأن سانه أن يهدين صراطهم، فدل ذلك على أن صراطهم هو لصراط المستقيم وهو في قوله: ﴿هَدِ لَصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وقد بئر لدين أنعم عليهم فعده منهم المستقيمين. وتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم، الذين أمرنا الله أن سانه هداية إلى صراطهم. فلم يبق لبس في أن أبي بكر ﷺ على الصراط المستقيم وأن إمامته حق».

الكذب سحبةً له، ويُعرف به عند الناس، ويكون عند الله كذاباً، يُكتب عند الله كذاباً من الكذابين، فهذا فيه التنفير من الكذب. وهو من مساوئ الأخلاق، وأدعى الإنسان أن يبتعد عن الكذب، ولا يتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه فإنه يكون سحبةً له، ويخرج من دائرة الصدق إلى دائرة الكذب والفجور فيكون من أهل النار^(١).

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (العوائد) ص (١٩٧): «إياك والكذب، فإنه يُفسد عليك تصور المعنومات على ما هي عليه، ويُفسد عليك تصويرها وتعيمها للناس!».

فإن الكذب يُصور المعلوم موجوداً والموجود معدوم، والحق باطلاً والباطل حقاً، والخير شراً والشر خيراً؛ فيفسد عليه نظوره وعينه عقوبةً له. ثم يُصوّر ذلك في نفس المحاطب المعرّبه الراكس إليه؛ فيفسد عليه نظوره وعدمه ونفس الكذب مُعرضةً عن الحقيقة الموحودة، بُزاعةً إلى العدم، مؤثرةً للباطل. وإذا فسدت عليه قوة نظوره وعدمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي؛ فسدت عليه تلك الأفعال، وسرى حكم الكذب إليها، فصار صدوره عنه كصدور الكذب عن الناس، فلا يتمتع بسننه ولا بأعماله. ولهذا كان الكذب أساس الفجور؛ كما قال النبي ﷺ: «إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار».

وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد اللسان أقواله، فيعته الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد ويترامى دأؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدق ينقذ تلك المادة من أصيها.

وهذا كان أصل أعمال القنوب كلها اصدق، وأصداها من الرياء والعجب والكر والفخر والخيلاء والسطر والأشر والعجز والنكسل والخن والمهنة وغيرها أصيها الكذب؛ فكل عمل صانع ظاهر أو باطن فمشتوه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمشتوه الكذب.

والله تعالى يعذب الكذاب بأن يُقعدّه ويُبْطِطه عن مصالحه ومنافعه، ويشب اصدق بأن يوفقّه لتقييم بمصالح دينه وأخرته، فم استجلبت مصالح الدين والآخرة بمثل اصدق، ولا مفسدهما ومصدرهما بمثل الكذاب.

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١). متفق عليه.
تقدم هذا الحديث، وسلف شرحه هناك فليُنظر^(٢).



(١) سبق تخريجه وشرحه ص (١٥٨).

(٢) قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمته الله «فليس لك أن تظن بالمسلم شراً، إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل، فإب أخبرك بذلك عدل. فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذوراً، لأنك لو كذبتك كنت قد أسأت الظن بالمُحِبِّ، فلا ينبغي أن تُحسن الظن بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن نحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق لتهمة حينئذ بسبب ذلك».

ومتى حطر لك حطر سوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيب الشيطان ويدفعه عنه، فلا يُبْقِي إليك حطر سوء خيفة من اشتعالك بالدعاء والمراعاة. وإذا حققت هفوة مسلم، فاصححه في السر واعلم أن من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهى عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم مختصراً منهاج القاصدين ص (١٧٢).

الحذر من الجلوس في الطرقات إلا بحقها

٣ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات»، قالوا: يا رسول الله، ما لنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فأما إذا أبيئتم، فأعطوا الطريق حقه» قالوا: ما حقه؟ قال: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخُ

وهذا أيضاً من محاسن الأخلاق، أن الإنسان لا يجلس في طرقات الناس التي يترددون فيها. وأما الجلوس فيها فهو من سوء الخلق، ولهذا حذر النبي ﷺ فقال: (إياكم) هذه كلمة تحذير (والجلوس بالطرقات) يعني طرقات الناس التي يسلكونها؛ لأنه يمر فيها النساء، ويمر فيها من لا يرغب أن يطلع عليه أحد، والناس يطلبون استرار، والذي يجلس على الطرقات يكتشف أسرار الناس، ويطلع على ما لا يرغبون الاطلاع عليه.

والشيء الثاني أنه يعرض نفسه للفنسة والظفر المحرّم عند مرور النساء؛ لأن الصرقات يمر فيها الكسار و لصغار والرجال والنساء والأغنياء والفقراء، فالسلامة أن لا يجلس الإنسان فيها، ولهذا حذر منه ﷺ.

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب آفئيه الدور والجنوس فيها والجلوس على الضعفات، رقم (٢٤٦٥)، ومسلم في كتاب النذر والزينة، باب السهي عن المحوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، رقم (٢١٢١).

فلم قالوا: يا رسول الله، مجالسنا ما لنا منها بد، يعني: إلى أين نذهب؟ نحنأج إلى أن نتجمع وننأسر فيما بيننا، ويكون بيننا اتصال. وهذا لا يمكن إلا في الطرقات، ما لنا مكان يجتمع فيه الجيران، ويجتمع فيه الناس إلا على الطرقات، على حافة الشوارع، ما لنا منها بد، أي: ليس لنا عنها عني؛ لأنهم لا يريدون الجلوس في بيوتهم دائماً وأبداً، ولا يرى بعضهم بعضاً.

فقال ﷺ: (فأما إذا أبيئتم) يعني امتنعتم من ترك الجلوس في الطرقات، قالوا: هذا دليل على أن النهي منه ﷺ ليس للتحريم، لو كان السهي للتحريم لتجنبوه بدون مجادلة، وكونهم راجعوا الرسول ﷺ هذا دليل على أن النهي هنا ليس للتحريم، وإنما هو للكرهية وخلاف الأولى. (فأعطوا الطريق حقه) إذا أعطيت الطريق حقه جاز لك أن تجلس فيه، وإذا لم تعطه حقه لم يجز لك أن تجلس فيه.

قالوا: (وما حقه يا رسول الله؟) هذا فيه سؤال أهل العلم عما أشكل، فذكر ﷺ أربعة حقوق من حقوق الطريق:

الأول: (غضُّ البصر) يغضُّ الإنسان بصره عن ما لا يجوز النظر إليه، عند مرور النساء، لا ينظر إليهن عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَحَفَظُوا ذُرُوءَهُمْ﴾ [النور ٣٠]، أما الذي يجلس في لطريق يلاحق النساء، وينتظر مرور النساء هذا أثم، وحرام عليه هذا لفعل، ومن هنا نعلم أن هؤلاء الذين يخرجون إلى الأسواق وإلى الشوارع لملاحقة النساء والنظر إليهن ومعاكستهن، يرتكب إثماً؛ لأن هذه أمور محرمة، إذا كان الرسول ﷺ قد نهى عن مجرد الجلوس في الطريق، فكيف بالذي يذهب ويتابع النساء ويقصد هذا، ويذهب إلى تجمعات النساء ويغازلهن! هذا أشد شراً وإثماً والعياذ بالله.

الثاني: (كفُّ الأذى) كفُّ الأذى عن المارة، فلا تؤذ المارة بأن

تتكلم عليهم بكلام يجرح شعورهم، ولا تلق شيئاً يعثر المارء به، وكذلك الأذى يكون بالكلام، فالذي يضحك على الناس أو يستهزئ بهم أو يسخر من المارة، فعلة هذا أيضاً من أعظم الأذى لمارة.

الثالث: (رد السلام) إذا مرّ بك المسلم وسلّم وجب عليك ردّ السلام، البداءة بالسلام سنّة، وردّه واجب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء]، أقل شيء أن تردّ مثل ما سلّم، والأحسُّ أنك تزيد ردّ السلام.

الرابع وهو مهم جداً: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وإذا كنت جالساً في الطريق أو كنت مع أصحابك جالسين في الطريق، ورأيت منكراً وجب عليكم إكباره.

إذا رأيتم امرأة سافرة وجب عليكم الإنكار عيها وأمرها بالحجاب أو تبليغ رجال الحسبة عنها، إذا رأيتم رجلاً أو سفيهاً يؤذي النساء ويتعرض لهنّ، وجب عليكم الإنكار عليه أو إعطاء السلاغ عنه، هذا النهي عن المنكر، قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليسانه، فإن لم يستطع فليقلبه»^(١).

إذا رأى الجالس على الطريق إنساناً يتكاسل عن الصلاة، ولا يذهب للمسجد بعد الأذان فهو ينكره علنه، يأمره بالصلاة، وإذا لم يمتثل يبيغ عنه، ولا يسكت عنه ما دام أنك رأيت منكراً يلزمك إنكاره.



(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩)

فصلُ التفقُّه في الدين

٤ - وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخ

التفقه في الدين من أعظم مكرم الأخلاق.

(عن معاوية) أي: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) مَنْ يُرِدِ اللهُ: هذه إرادة كونية؛ لأن الإرادة من الله على نوعين: إرادة كونية وإرادة شرعية، المراد هنا الإرادة الكونية، يعني: مَنْ أَرَادَ اللهُ لَهُ الْخَيْرَ وَفَقَهُ لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ.

والتفقه في الدين: هو تفهُمُ الأحكام الشرعية من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ.

والفقه عند الأصوليين هو: معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية. وأما عند أهل اللغة فالفقه معناه: الفهُمُ، ومعناه في الاصطلاح: فهُمُ الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة.

ووجودُ هذا في الإنسان علامةٌ على أن الله أراد به الخيرَ، فإذا رأيتَ الرجل يتفقه في أمور دينه، فاعلم أن الله أراد به خيراً، ومفهوم

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من يريد الله به خيراً يفقهه في الدين - برقم

(٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب لنهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧)

ذلك أن الرجل إذا لم يتفقه في دين الله أن الله أراد به شراً. هذا مفهوم المخالفة، فالإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يتفقه فيه، هذا علامة على أن الله أراد به شراً.

والتفقه في دين الله له ضوابط، بأن يتعلم الإنسان قواعد الاستدلال، وقواعد الاستنباط المدونة في أصول الفقه، فيذ فهم هذه القواعد، وهذه الضوابط، فإنه يكون متأهلاً للفقه في الكتاب والسنة. أما إذا لم يعرف هذه الضوابط وهذه القواعد فإنه لا يستطيع لتفقه، وكذلك أصول الحديث الذي هو علم المصطلح، يجب على طالب العلم أن يتعلم هذه الأشياء حتى يتسنى له ويتيسر له التفقه في دين الله.

وكذلك من التفقه في دين الله قراءة كتب الفقه، لا سيما فقه المذاهب الأربعة، فيقرأ كلام أهل العلم وما استنبطوه من الأحكام؛ لأنها تُعينه على التفقه في دين الله^(١).



(١) قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه لهذا الحديث

«هذا الحديث العظيم يدلنا أن من علامات السعادة ومن دلائل الخير ومن براهين العاقبة الحميدة أن تكون فقيهاً في الدين متبصراً في الدين عارفاً بشارع ربك ﷻ».

هذه من الدلائل العظيمة والبراهين الواضحة أن الله سبحانه أراد بك خيراً حيث وفيت للمفقه في الدين وأن المتفقه في دين الله على طريق سعادة وأن الله سبحانه متى ررقه الفقه في الدين والبصيرة في الدين فذلك من علامات أن الله سبحانه أراد به حسراً أما من أصاب بالإعراض والحكمة عن الله وأندر الآخرة وعن صلب العلم: فذلك من علامات ودلائل أن الله أراد بالعمد شراً ولا حور ولا قوة إلا بالله. انظر حديث المساء لسماعته رَحِمَهُ اللهُ ص (٢٩).

أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن

٥ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق»^(١). أخرجه أبو داود، والترمذي وصححه.

- الشَّيْخ -

هذا فيه فصلٌ حسن الخلق، وحسن الخلق صفة يؤتيها الله جل وعلا مَنْ شاء من عباده، فيتعاملُ مع الناس بالرفق، ويتعاملُ معهم باللين واللطف، والرحمة، ويتقبل منهم ويصبرُ على مشقة استقبالهم وإجابة سؤلهم. هذا كله من حسن الخلق. وهذا ثَقِيلٌ في الميزان عند الله ﷻ، ولهذا أثنى على بيِّه بقوله: ﴿وَلَيْكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِطَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [ال عمران: ١٥٩].

فحسن الخلق يحتاج إليه العالم والداعي إلى الله والامرُ بالمعروف، والناهي عن المنكر، ويحتاج إليه أيضاً كلُّ مسلم، لذي يتعاملُ مع الناس بالمداينات بالبيع والشراء يحتاج إلى حسن الخلق معهم، كل مسلم بحاجة إلى حسن الخلق حتى مع زوجته، حتى مع أولاده، وأهل بيته بحاجة إلى حسن الخلق.



(١) واه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، سرقم (٤٧٩٩)، والترمذي في كتاب البر وأصله عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم (٢٠٠٢)، وأحمد في مسنده (٦ ٢٤٦ و ٤٤٨)، وصححه الألباني في سلسله الأحاديث الصحيحة، برقم (٨٧٦).

الحياء من الإيمان

٦ - وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١). متفق عليه.

— الشَّيْخ —

(الحياء من الإيمان) الحياء: صفةٌ تحملُ لإنسان على فعل الخير وتجنُّه الشرِّ، فهو خصلةٌ عظيمةٌ من خصال الإيمان.

(الحياء من الإيمان) أي: من خصال الإيمان؛ لأن الإيمان شُعْتُ كما قال السي رحمه الله: «الإيمان بضْعٌ وسبعونَ - أو بضْعٌ وستونَ - شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»^(٢).

الذي يستحي هذا فيه صفةٌ عظيمةٌ؛ لأن الحياء يمنعه مما لا يليقُ، ويحمُّه على فعل ما يجمُّله ويزيِّه، أما الذي لا يستحي فهذا يأتي في الحديث الذي عده: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، فالحياءُ خصلةٌ عظيمةٌ، ومن رُزق الحياء فقد رُزق خيراً كثيراً.

هذا الحياء الذي هو بهذه الصفة، أم الحياء الذي يمع الإنسان من قول الحق أو يمع الإنسان من سؤال أهل العلم، هذا ليس حياءً هذا نخجٌ وعجْرٌ وذُلٌّ وانكسارٌ، وهو صفةٌ سيئةٌ وهو مذموم.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، برقم (٢٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم (٣٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم (٣٥).

الحياء من ثراث الأنبياء

٧ - عن أبي مسعود البصري عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١). أخرجه البغاري.

الشَّيْخ

(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى) أي: من كلام الأنبياء السابقين عليهم وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) فهي كلمة مأثورة عن الأنبياء وغير منسوخة، مُجْمَعٌ عليها^(٢)، فدلَّ هذا على أن الذي ليس فيه حياء أنه ليس فيه شيء يمنعه من فعل الرذائل وفعل القبائح، فهذا فيه ذمُّ عدم الحياء وآثارُ عدم الحياء. ومن العلماء من يقول: إن معنى الحديث: أنك إذا أردت أن تفعل شيئاً فانظر إن كان مما يُستحب من فعله فاتركه، وإن كان مما لا يستحب من فعله فافعله.



(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب، رقم (٣٤٨٤).

(٢) كما قال الإمام بن الملق رحمته الله في شرحه لهذا الحديث: «ومعنى الحديث أن الحياء أمره ثبت منذ زمان النبوة الأول، فإنه ما من شيء إلا وقد بدد إلى الحياء وبُعث عليه، ولم يُبدد منها وذلك أنه أمر قد علم صوابه وبأن فضله وم يُنسح فيما نسخ من شرائعهم». نظر: لتوضح لشرح الجامع الصحيح لابن الملق (٦٥٧/١٩) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر.

ما جاء في فضل المؤمن القوي

٨ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ . اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ » ^(١) . أخرجه مسلم .

الشَّيْخ

(المؤمن القوي) القوي في إيمانه، والقوي في عزمته ونيتته، يكون عنده عزم، ويكون عنده قوة وصرامة في الحق، وهو خير من المؤمن الضعيف، ضعيف العزيمة، وضعيف الإرادة

(وفي كل خير) المؤمن القوي، والمؤمن الضعيف كلاهما فيه خير، ولكن الخير عند المؤمن القوي أكثر من الخير عند المؤمن الضعيف؛ لأن المؤمن القوي يتعدى نعمه، ونفع إيمانه إلى غيره، أما المؤمن الضعيف فإيمانه قاصر عليه لا يتعدى نفعه إلى غيره، هذا وجه المفاضلة بين الاثنين، فهما استويا بالإيمان، لكن الذي إيمانه قوي أفضل؛ فمثلاً عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في قوته وصرامته وقوة عزمته، استفاد المسلمون منه فائدة كبيرة، لقوة إيمانه، وكان إذا مشى من طريق يسلك الشيطان طريقاً

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتمويص المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

آخر^(١)، لا يجتمع هو وعمر في طريق واحد، لقوة إيمانه رضي الله عنه وقوة عزيمته وصبرامته، وبذلك فتح الفتوح ونشر الإسلام في مشرق الأرض ومغاربها بفصل الله ثم ببقوته، وقوة عزمته رضي الله عنه.

وكم استفاد المسلمون من قوة إيمان أبي بكر الصديق، لما توفي رسول الله ﷺ ثبت ثبوت الجبال، ولم يتضعع لقوة إيمانه، ولما حصلت الردة وارتد العرب بعد الرسول ﷺ، ثبت وصم على قتالهم حتى أخضعهم لدين الله، هذا كله من قوة إيمانه رضي الله عنه، حتى وطم الله به الإسلام، ولما جهز النبي ﷺ في آخر حياته جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، وقبل أن يغادر الجيش أمدية توفي الرسول ﷺ، فقل الصحابة لأبي بكر: لا تجعل الجيش يذهب، اجعله عند المسلمين ينتفعون به، قال: والله، لا أحل لواء عقده رسول الله ﷺ، فصم على أن يمضي الجيش، فذهب الجيش بقيادة أسامة الشاب الصحابي الجليل، وما مر بحي من أحياء العرب إلا وأصابهم الدل لما رأوا الجيش، وقالوا: ما جاء هذا الجيش إلا من قوة، ولما علمت لروم بقدوم هذا الجيش انحدلوا ورجعوا على أعقابهم، ثم رجع الجيش غانماً سالماً، هذا من قوة إيمان أبي بكر رضي الله عنه وعزيمته وثباته^(٢)، وهذا معنى قوله ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير).

ثم قال ﷺ: (أحرص على ما ينفعك) هذا فيه فعل الأسباب، وأن

(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في مناقب عمر رضي الله عنه، رقم (٣٦٨٣)، ومسلم رقم (٢٣٩٦) في كتاب فضائل الصحابة، في باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «... والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك...».

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب استئذان المرتدين... باب قتل من أوى قبور الفرائص، رقم (٦٩٢٤)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتل الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، رقم (٢٠).

الإنسان يفعل الأسباب المباحة، ولا يعجز ويتكاسل، ويحس ويتحرك الأسباب (أحرص) زيادة تأكيد على أنك تحرص على ما ينفعك، فتعمل بالأسباب، بطلب الرزق، ولا تقتصر على السبب، بل استعن بالله وَعَلَى مع فعلك للأسباب لا بد من التوكل على الله، تستعين بالله وَعَلَى ولا تعتمد على السبب الذي فعلته ولو كان السبب قوياً، فلا تعتمد عليه، واستعن بالله.

(ولا تعجز) هذا نهى عن العجز الذي هو لَخُورٌ وَاَضْعَفٌ، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من العجز، قال: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين، وقهر الرجال»^(١)، فالعجز الذي هو الكسل والخور هذا منهي عنه، أما العجز الذي هو عدم الاستطاعة فهذا معفو عن صاحبه

ثم بعد ذلك إذا فعلت السبب، وتركت العجز والخور، ولم يتحقق ويحصل ما أردت، وأصابك شيء تكرهه فلا تلومن نفسك، ولا تجزع مما أصابك، ولا تقل: (لو أنني فعلت كذا كان كذا وكذا، بل قل: قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعل) أنت فعلت الأسباب ولم تقصّر في شيء، وأما حصول النتيجة فهذا أمر من الله وَعَلَى، فإذا لم تحصل النتيجة فلا تحزن، ولا تغد على نفسك باللوم (لا تقل: لو أنني فعلت كذا، كان كذا، وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعل) لو أنه مقدرٌ لي هذا الشيء حصل، ولكن لما لم يقدر الله تعالى لم يحصل، ولا يثنيك هذا عن مواصلة الطلب، بل استمر في طلب الخير، وطلب الرزق، هذا سبيل أهل الإيمان فيهم يبذلون الأسباب ويتوكلون على الله، ويستعينون به، وإذا

(١) رواه البخاري في كتب الجهاد والسير، باب من غر، نصبي بخدمة، برفم (٢٨٩٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استعوذ من العجز والكسل وغيره، برقم (٢٧٠٦).

لم يحصل لهم شيء آمنوا بقضاء الله وقدره، واستمروا في طلب الرزق وطب الخير، ولا يياسون ولا يقنطون من رحمه الله ﷻ.

أما أهل النفاق وضعاف الإيمان فهم إذا لم يحصل لهم مقصودهم عادوا باليوم، وعادوا بالتسخط كما قال المنافقون لما قُتل من قُتل في واقعة أحد ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَعْطَاوُنَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨]. ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]، كذا هذا عدم إيمان بالقضاء والقدر، وهذا إذا كانت (لو) تتضمن التسخط للقضاء والقدر، أما إذا كانت (لو) بمعنى التأسف على فوات الخير، فهذا لا بأس به. قال النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي»^(١).



(١) رواه البخاري في كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»، برقم (١٢٢٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب سيار وحره الإحرام، رقم (١٢١١).

مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ

٩ - وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
 «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا
 يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(١). أخرجه مسلم

الشرح

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ) الوحي: هو الإعلامُ بسرعةٍ وخفاءٍ.
 ويكون ذلك بواسطة الملك وهو جبريل عليه الصلاة والسلام

(أَنْ تَوَاضَعُوا) هذا أمرٌ من الله حل وعلا لعباده بالتواضع،
 والتواضع هو عدم الكبر والترفع على الناس. وأد يرى أن له منزلةً فوق
 غيره من الناس، بل يرى أنه من سائر الناس أو من أقلهم، قد يكون
 غيره أفضل منه وهو لا يدري، فيتواضع ويتذكر أصله وأنه من تراب،
 وأنه مخلوقٌ من عدم.

ويتذكر أيضاً أنه لا ينال المنزلة عند الله إلا بالعمل الصالح. قال
 تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فنذكر هذا ليلتزم
 بالتواضع، فالتواضع له أسباب منها: أن يتذكر الإنسان حاله، ويتذكر
 ضعفه وفقره وحاجته إلى الله ﷻ.

(حتى لا يبغي أحدٌ على أحد، ولا يفخر أحدٌ على أحد) التواضع

(١) رواه مسلم في كتاب أحسنه وصفه عيهم وأهله، باب الصفات التي يُعرف بها
 في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).

يُكسب الإنسان هاتين الصفتين العظيمتين: أنه لا يبغى على الناس، والبغى: هو التعدي.

ولا يفخرُ بسببه أو بماله أو بجاهه، لا يفتخرُ على الناس، قل سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [القلم - ١٨]، الفخر والخُيلاء آفتان، فإذا سلم الإنسان من هاتين الخصلتين الذميمةتين: البغى على الناس، والتعدي عليهم في أنفسهم أو في أموالهم أو في أعراضهم، وأيضاً لا يفخر على الناس بماله أو بجاهه أو بعلمه أو بنسبه، ذلَّ هذا على أنه عنده تواضعٌ.

فهذا الحديث فيه الأمرُ بالتواضع، وأن التواضع يُكسب الإنسان الكفَّ عن العدوانِ على الناس، والكفَّ عن الافتخارِ على الناس^(١).



(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح (٢/ ٦٥٨ - ٦٥٩): «والتواضع للمحمود على برعن».

أحدهما: تواضع العبد عند أمر الله امتثالاً وعند هيبه احتشاماً، فإن النفس لطب الراحه تترك في أمره، فيبدو منها نوع إباء وشراد هرباً من العبودية، وتثبت عند هيبه طبعاً للطفر بما منع منه، فإذا وصح لعبد نفسه لأمر الله وهيبه فقد تواضع للعبودية.

النوع الثاني: تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبرائه، فكلمه شملت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرده بذلك وعصه الشديد على من راعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه ونكسر لعظمة الله فيه، وتطمن لهيبته وأخبت لمصنانه، فهذا عية التواضع وهو يستنزم الأول من غير عكس، ولمتواضع حقيقة من رزق «لأميرين، والله المستعان».

فضل الذب عن عرض المسلم

١٠ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).
أخرجه الترمذي وحسنه.

١١ - ولأحمد، من حديث أسماء بنت يزيد نحوه^(٢).

الشَّيْخ

(من رَدَّ عن عرض أخيه بالغيب) يعني: في حال غيبة أخيه، إذا حضر مجلساً يُذكر فيه أخوه المسلم بذنب أو تنقُص فإنه يُدافع عنه كما يدافع عن عرضه؛ لأن عرض أخيه مثل عرضه، فيدافع عن عرض أخيه؛ بأن ينكر على المغتابين ويمنعهم من الاسترسال في عرض أخيه المسلم، ولا يستسلم ويسكت ويتركهم يغتابون، هذا هو واجب المسلم، ولا يجوز له أن يسكت ويسالم، فإنه يَأْثِمُ بذلك ويكون شريكاً لهم في الإثم؛ لأنه رأى منكراً فلم يغيِّره وهو يقدر، فكيف إذا شاركهم بالفعل وحل يغتاب معهم، هذا أشد.

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، برقم (١٩٣١)، وأحمد في مسنده (٤٥٠/٦)، قال العلامة عبد الله بن صالح الفوزان حفظه الله في كتابه «منحة العلام» (١٠/٣٥٠): «وليس عند الترمذي ولا أحمد لفظة (بالغيب)».

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٦١/٦)، وصححه الألباني لشواهده في غية المرام (٢٤٦) ولفظه: «من ذب عن لحم أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار».

أما إذا ردَّ عن عرض أخيه، ومنعهم من غيبة أخيه، فإن الله جل وعلا يجزيه بأن يردَّ النار عن وجهه يوم القيامة. وهذا فضلٌ عظيم؛ لأنه في يوم القيامة تبرزُ النار، قال تعالى: ﴿وَبُرُزَّتِ السَّمَاءُ لِلْجَحِيمِ لِمَا يَرَى﴾ [الذِّكْرِ ٣٦] فيرونها، وقال جل وعلا: ﴿رَبَّاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف. ٥٣]، ويكون لها حرٌّ ولهيب، ولا يقي منها إلا الأعمالُ الصالحة، ينظر الإنسان عن يمينه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أمامه، فلا يرى إلا النار^(١). فعليه أن يستعد لهذا الموقف، ومن الاستعداد لهذا الموقف أن يكفَّ عن أعراض المسلمين وأن يدافع عنهم.

فهذا فيه الترعيبُ في الدفاع عن أعراض المسلمين التي تُتَهَكُّ في المحالِّس أو في الكتابات، إذ رأيتُ من يكتبُ في مسلم وفي العِصماء خاصةً، وفي ولائِ أمور المسلمين، فعيبك أن تدافع عنهم. هذا من الردِّ عن أعراض المسلمين^(٢).



- (١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (٢٣٤٨) في صحيحيهما عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق ثمرة...».
- (٢) قال الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان في «منحة العلام» (٣٥١/١٠): «... وهذا من مهمات الآداب وحقوق الإسلام التي يجب على حاضر مجلس الغيبة أن يتحلَّى به. وذلك لأن المغتاب ظالم لأخيه أكل لحمه، وأبوابه هو ردع الظالم ونصرة المظلوم...».

ثلاث خصال من مكارم الأخلاق

١٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١). أخرجه مسلم.

الشَّيْخ

هذه ثلاث خصال من مكارم الأخلاق، ذكرها لنبي ﷺ. كلُّ خصله يترتب عليها جزاءٌ حسنٌ وخيرٌ.

* (ما نقصَ مالٌ من صدقةٍ) فإن الصدقة وإن نقصت المال حساً إلا أنها تزيد معنًى، تزيد بركةً، تزيد سماءً، تزيد طهارةً، بل ربما تزيد حساً في أن يوفقه الله للكسب الطيب ونمو المال، وكثرة المال.

فالصدقة فيها فضائل عظيمة؛ لأن بعض الناس يشحُّ بالمال، ويظن أن الصدقة تنقص ماله، ويقول: لو تصدقتُ على هذا وهذا فني ما عندي، ولا يدري أن الصدقة لا تأتي إلا بخير، فإن الله يكتف له الأجر والثواب، ويدفع عن ماله الآفات والمثلفات، يحميه بالصدقة، ويبارك فيه بسبب الصدقة. سواءً كانت الصدقة واجبةً كالزكاة، أو مستحبةً كالصدقة على المحتاجين وفي وجوه الخير.

وبهذا جاءت الآياتُ الكثيرة والأحاديثُ الكثيرة في الحث على

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٨٨).

الصدقة، وذمّ البخل والشح؛ لأن الصدقة فيها نفع متعدّد ينفع المحتاجين ويُنمي المشريعَ الخيرية، وفيه إعانةٌ للناس في أمورهم، ففيها خير كثير، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْفِيهِ وَهُوَ خَدُّ الرَّزْقَيْنِ﴾ [سبا: ٣٩].

أما البخل فإنه على العكس، هو الذي ينقُصُ المالَ، وينزِعُ البركةَ منه، ويسلِطُ عليه الآفات، فإذا سَخِلَ بالزكاة فإن الله يسلِطُ على ماله التلفَ والهلاكَ.

* (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً) ما عفا رجلٌ من مظلمةٍ إلا زاده الله عزاً، القصاصُ وأخذُ الحقِّ حائِراً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ يَقُولُوا إِنَّهُ بَغْيٌ ظَالِمٌ فَيَتَوَلَّوْا رُءُوسَهُمْ وَأَن سَأَلُوا بِأَنفُسِهِمْ أَدِرَّ هُمْ يَتَوَلَّوْنَ﴾ [الشورى: ٢٢٩]، ولكن العفو أحسن، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْحَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، بكفَّل الله لك بالأجر، فما عفا رجل عن مظلمة يُظلم بها إلا زاده الله بها عزاً ورفعة؛ لأن بعض الناس يظن أنه إذا لم ينتقم ولم يأخذ بحقه أن هذه دلة، في حين أن الواقع هو العكس، أنه إذا عفا زاده الله بها عزاً، عند الله وعند خلقه.

* (وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله ﷻ) هذا فيه فضلُ التواضع كما سبق، وأن التواضع ليس ذلةً، وإنما هو عزٌّ. بعض الناس يظنُّ أنه لا يرتفع إلا بالتكبر والخيلاء في حين أن العكس هو الصحيح، التواضع هو الذي يعزُّ الله به الإنسان ويرفعه به.



من أسباب دخول الجنة

١٣ - وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس! أفشوا السَّلامَ، وصلُّوا الأرحامَ، وأطعموا الطعامَ، وصلُّوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنةَ بِسَلامٍ»^(١). أخرجه الترمذي، وصحَّحه.

الشَّيْخ

(عبد الله بن سلام رضي الله عنه) كان من أخبار اليهود في المدينة، ومن علمائهم لكبار وهو من ذرية يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. فلما قدم النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً واجتمع الناس عليه، ذهب عبد الله بن سلام ينظر إلى هذا الرجل الذي جاء واجتمع عليه الناس، فلما رأى وجه الرسول ﷺ قال: عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وأول حديث سمعه هذا الحديث: (أيها الناس! أفشوا السلام).

(أفشوا السلام) انشروا السلام بينكم، إذا مررت بأحيت فسلم عليه. وإذا سلم عيت فردَّ عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء ٨٦]، وإفشاء السلام ينشر المحبة بين الناس، قال ﷺ: «لا تدخلون الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا،

(١) روه الترمذي في كتاب صفة الغيمة والرفائق وروعه عن رسول الله ﷺ، باب برقه (٢٤٨٥)، وابن ماجة في كتاب الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل، برقه (١٣٣٤)، وأحمد في مسنده (٤١٥٥)، وصحَّحه الألباني في سلسلة لأحاديث أصحَّحة، برقه (٥٦٩)، وانظر إرواء الغليل (٣/ ٢٣٩).

أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

يورث السلام المحبة بين المسلمين، وترك السلام يورث الوحشة، وهذا شيء تجده من نفسك، إذا مرّ عليك أحدٌ وسلّم عليك تجد ارتباحاً له ومحبةً، بينما لو مرّ واحد ولم يسلم عليك وجدت نفرةً، ووجدت في نفسك عليه شيئاً من التشكك في أمره، وهذا شيء واضح، فدل على أن السلام له أهميه عسيمة، وفي الحديث: «وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٢)، وهذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.

(أَطْعَمُوا لَطْعَامًا) للمحتاجين والضيوف والجيران، هذا من الخصال الطيبة التي توجب دخول الجنة، وتجدون الذين يطعمون الطعام في المجتمع لهم ميزّة، وهم مكانة عند الناس، وتجدون أرزاقهم دائرةً عيهم، وفي الحديث فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه: «أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ»^(٣). وقد قال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر: «لَا تَوْعِي فَيَوْعِي اللَّهُ عَلَيْكَ»^(٤).

فمن أراد أن يدرّ الله له الرزق فلينفق مما آتاه الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبا ٣٩]، أم إذا أمسك فإن الله يمسك عنه، فإطعام الطعام له ميزّة عسيمة، خصوصاً

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم (٥٤).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، برقم (٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، برقم (٣٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب تفسير، باب قوله: ﴿وَكُنْتَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، برقم (٤٦٨٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ونشير لمغفر بالخلف، برقم (٩٩٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب البركة، باب الصدقة فيما استطاع، برقم (١٤٣٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء، برقم (١٠٢٩).

الدين على الطُّرقات، والذين في البر ويمرُّ بهم الضيوف والمحتاجون، وهؤلاء إذا أطعموا الطعام صارَ لهم فصلٌ عظيم، لاسيما في الأماكن التي فيها حاجة.

(صِلُوا الْأَرْحَامَ) الأرحام: جمع رَحِم، والمراد بهم: القرابة الذين يجتمعون معك لقرابة من جهة الأم أو من جهة الأب.

من جهة الأم: كالأخوال والخالات والأجداد والجَدات وأبناء الأخوال. ومن جهة الأب: كالأخوة والأخوات والأعمام، والعَمات وأبناء الأعمام إلى غير ذلك، هؤلاء هم الأرحام. يقول الله جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَلْتَمِسُونَ بِهِ نَفْسَكُمْ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء ١] أي: اتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقال تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا﴾ [إسراء ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء ٣٦].

وقد ورد في كثير من الآيات الأمرُ بصلة الأرحام، وفي آيات أخرى ورد الوعيدُ على من قطع رحمه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٣٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَصْرَهُمْ﴾ [محمد]، وقال أيضاً: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد ٢٥]، ومما أمر الله به أن يوصل الأرحام، الرحمُ له حق يأتي بعد حقِّ الوالدين، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فصلة الأرحام هذه ميزة عظيمة، وهي سببٌ لدخول الجنة، وقطيعتها سبب اللعنة والطرْد من رحمة الله ﷻ.

(صَلُّوا بِاللَّيْلِ) هذا يشمل صلاة لفريضة: صلاة العشاء وصلاة الفجر، ويشمل قيام الليل، لأن الليل وقتٌ ينام فيه، فإذا قام يصلي فهذا

(١) كما قال النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من قطع رحماً أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت»، أخرج له البيهقي في السنن الكبرى (٣٥/١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله مجموع طرقه في السلسلة الصحيحة، رقم (١١٢١).

دليلٌ على إيمانه حيثُ أثر الصلاة على النوم وعلى الراحة، كما قال تعالى: ﴿تَتَحَفَّى خُبُوتُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة ١٦] مع أنهم في حاجة إلى النوم، وبحاجة إلى الدفء في الشتاء، ويكون بحاجة إلى زوجته أيضاً. فترك ذلك كله ويقوم للصلاة، صلاة الليل وصلاة الفريضة. هذا الذي يصلي بالليل والناس الكسالى ينام على فرشهم، فرق بين من هو نائم وبين من هو قائم يصلي، (صلوا بالليل والناس نيام) لا ينام مع الناس بل يقوم، هذا دليلٌ على إيمانه وعلى رغبته في الخير.

من عمل هذه الخصال الأربع: أفشى السلام، وأطعم الطعام، ووصل الأرحام، وصلى بالليل والناس نيام. دخل الجنة بسلام. كما قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر، ٤١] وقال: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [إفا] هذا جزاؤهم؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وهذا جزاء عظيم. ودخول الجنة ليس بعده مطعم، هو أعظم المطامع، وأعظم المطالب، وهو يسير على من يسره الله عليه.

والجنة لا يعلم ما فيها من الخير والنعيم والمنة والسرور إلا الله ﷻ. ولا تتطلب منك سوى أعمال سهلة، كما قال ﷺ، لما قال له رجلٌ ذلّني على عملٍ يُدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً...»^(١) إلى آخر الحديث.

فهذه الخصال عظيمة، وهذا الحديث حديث عظيم، وهو من مكارم الأخلاق؛ لأن إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، هذه خصال يتعدى نفعها إلى الناس، وأما صلاة الليل والناس نيام هذه نفعها يقتصر على صاحبها.

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في كتاب الإيمان، باب كيف يسأل في الفتنة، برقم (٣٩١٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم (٤١٣).

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

١٤ - وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثلاثاً. قلنا: لمن هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١). أخرجه مسلم.

التَّشْرِيحُ

(تميم الداري) هو أبو رقية بن أوس الداري رضي الله عنه، والداري نسبة إلى جدّه دار، وقيل: لدير، تميم بن أوس الدير نسبة إلى الدير وهو معبد النصارى، كان نصرانياً ثم أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه.

(الدِّينُ النَّصِيحَةُ) الدين: مبتدأ، والنصيحة: خبر، وإذا عُرِفَ المبتدأ والخبرُ هـ، دليل على الحصر، وقوله: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) هذا حصر، حصر الدين كلّهُ في النصيحة.

والنصيحة في الأصل مأخوذة من نصح الشيء إذا خلص، والشيء النصح هو الحاصل من الغش والشوب، يُقال: لبر نصح، يعني خالٍ من الغش. فالنصيحة المراد بها الخلو من الغش. فإذا سلّم الإنسان من الغش كان نصحاً. وهذا هو الدين كلّهُ.

ولأهمية هذا الأمر لما حصر النبي ﷺ الدين في النصيحة أدرك الصحابة أهمية النصيحة، فسألوا النبي ﷺ، فقالوا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»، إذا كان

(١) سبق تحريجه ص (٢٨).

المسلم ناصحاً في هذه الأمور كلّها فقد استكمل الدين، وإذا نقصت نصيحته فيها نقص دينه؛ لأن الدين النصيحة.

قلنا: لمن تكون النصيحة يا رسول الله؟ قال:

(الله) كيف تكون ناصحاً لله؟ ما عندك غش في حق الله ﷻ، ذلك بأن تعبدَه حق عبادته، أن تؤمن بالله الإيمان الصادق، وتؤمن بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتؤمن بأن الله هو الخالق الرزق المحيي المميت المدبر، وأن أحداً لا يرزق مع الله، ولا يخلق مع الله، وتعبد الله حق عبادته ولا تعبد معه غيره، فإذا قلت: إن أحداً يرزق ويخلق مع الله، لم تكرر ناصحاً لله ﷻ، إذا عدت مع الله غيره لم تكرر ناصحاً لله ﷻ، بل تكون غاشاً فيما بينك وبين الله. وإذا كنت تؤمن بأسمائه وصفاته فلا تجحدها وتنفيها كما فعلت الْمُعْطَلَة، ولا تأولها وتحرفها عن مدلولها كما فعل الْمُؤَوَّلَة، ولا تشبهها بصفات المخوقين كما فعل الْمُشَبَّهَة، بل أثبتتها كما جاءت لله ﷻ معتقداً أنها حق، وأنها لا تائق بالله ﷻ، ولا تحرفها عن معانيها، بل اعتقد ما دلت عليه من صفات الله ﷻ، هذه هي النصيحة لله ﷻ. أن تثبت له الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ولا تنقص شيئاً من ذلك، وهذا رأس الأمر، وهذا هو التوحيد، وهو الركز الأول من أركان الإسلام، هذا مما يوضح أن الدين هو النصيحة لله.

(ولكتابيه) الذي هو القرآن، النصيحة للقرآن: أن تعتقد أنه كلام الله منزّل غير مخلوق، فالذي يقول: إنه مخلوق، هذا لم ينصح لكتاب الله ﷻ، وأيضاً عليك أن تتعلّمه وتعلّمه، وتنشره. ومن

(١) فائدة. عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من علّم آية من كتاب الله ﷻ كان له ثوابها ما ثلثت»، حسنه العلامة الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة، رقم (١٣٣٥) وقار: أخرجه أبو سهل القطان في «حديثه عن شيخه ٢٠٠».

النصيحة لكتاب الله: تعلّم معانيه وتدبره، لا يكفي أن تحفظه فقط، وتردد ألفاظه دون أن تفهم المعاني. هذا ليس من النصيحة لكتاب الله، بل لا بد أن تعمل به، إذ قرأته وتلوته وتدبرته وعرفت معانيه. فلا بد أن تعمل بالقرآن.

ومن النصيحة للقرآن أن لا تفسره بغير الطرق الصحيحة للتفسير، بأن تفسره برأيك أو بقول فلان وعلان، أو تؤوّل القرآن على هواك، وتحرف الآيات من أجل أن توافق هواك أو مذهبك كما يفعل أهل الضلال، لا. هذا من الغش لكتاب الله، بل لا بد أن تفسر القرآن التفسير الصحيح الموافق لمعناه الصحيح. ووجوه التفسير الصحيحة كما هي:

١ - تفسير القرآن بالقرآن.

٢ - تفسير القرآن بالسنة

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين.

٥ - تفسير القرآن بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها.

هذه وجوه التفسير الصحيح. فلا يفسر القرآن بالرأي، قال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^(١)، فيحب احترام القرآن وتعظيم القرآن، لأنه كلام رب العالمين.

تؤمن بأنه كلام الله، وأن الله تكلم به حقيقة، ولا تعتقد فيه أنه من كلام البشر، أو من كلام جبريل أو من كلام محمد ﷺ. أو أنه مأخوذ

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في لذي يفسر القرآن برأيه، برقم (٢٩٥٠) و(٢٩٥١)، وأحمد في مسنده (١/٢٦٩ و٢٩٣ و٢٢٣ و٣٢٧)، وضعفه الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم (١٧٨٣)

من اللوح المحفوظ مخلوق كما تقوله الجهمية ومن أخذ بقولهم، أو أن المعنى من عند الله، والدعوى من عند الرسول كما تقوله لأشاعرة والماتريدية، هذه الأقوال كلها من الغش لكتاب الله ﷻ، بل يجب أن تعتقد أنه كلام الله ألعاظه ومعانيه كلها من عند الله، هذا هو النصح لكتاب الله ﷻ.

(ولرسوله) النصيحة للرسول ﷺ: أن تعترف برسالته عليه الصلاة والسلام، ونؤمن بها ظاهراً وباطناً، وتعتقد بقلبك أنه رسول الله حقاً، وتنطق بلسانك أنه رسول الله ﷻ، لا يكفي أنك تعتقد بقلبك ولا تنطق بلسانك، فالمشركون يعتقدون أنه رسول الله ولكن أبوا أن يشهدوا بألسنتهم تكبراً وعناداً، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَيْتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام].

المنافقون يشهدون بألسنتهم، ولكن لا يعتقدون بقلوبهم، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتُنَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴿المسافرون﴾، يشهدون أنه رسول الله لأجل أن تسلم لهم أموالهم، فلا بد من الاعتراف برسالته ﷺ ظاهراً وباطناً، هذا من النصح لرسول الله ﷻ.

* ومن النصح لرسول الله: اتباعه، حتى لو أقر بقلبه، وشهد بلسانه أنه رسول الله حقاً، ولكن لم يتبعه، فليس هذا من النصح لرسول الله، ولا يعتبر هذا من الإيمان برسول الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف، ١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيدٌ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المصم].

عليك أن تقدم قول الرسول على قول كل أحد، على رأيك أنت،

وعلى رأي شيخك، وعلى رأي فلان وعلان، وعلى ما عنيه أهل البلد من العادات والسلوك، هذا من النصيحة لرسول الله ﷺ، أم لذي يقدم قول غير الرسول ﷺ، على قول الرسول ﷺ، فهذا لم يشهد أنه رسول الله تماماً.

* كذلك من النصيحة لرسول الله ﷺ: احترام سنة الرسول ﷺ. وأن لا يتكلم الإنسان فيه بتجريح أو تضعيف إلا عن علم، خلاف الذين يتسوررون الآن على السنة، وصاروا يتكلمون فيها بالتصحيح والتضعيف والتجريح من غير علم، بل هم متعلمون، ولا يحترموا سنة الرسول ﷺ، يتكلمون فيها بغير علم، فاحترم سنة الرسول ﷺ: أن تتوقف عن ما لا تعلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

* ومن النصيحة لرسول الله ﷺ: أنك إذا سلغك حديث عن الرسول ﷺ، وجب عليك المبادرة إلى العمل به ولا تتأخر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ [الأحراب].

(ولا أئمة المسلمين): وهم ولادة الأمور والعلماء، النصيحة لهم أن تحترمهم: لأنهم أئمة المسلمين، سواء كانوا أمواتاً أو أحياء، تحترمهم وتعظم من شأنهم، ولا تقع في أعراضهم، أو تنكس فيهم، الغيبة محرمة على كل حال لأطراف الناس، فكيف بأئمة المسلمين؟! عليك أن تكف لسانك عن أئمة المسلمين، هذا من النصيحة لهم، كذلك طاعتهم في غير معصية الله، قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»^(١).

(١) روى البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، برقم (٧١٣٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (١٨٣٥).

والله جل وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فجعل طاعة ولاية الأمور تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فلا يجوز الخروج عليهم. ولا يجوز سبهم. ولا يجوز تقصصهم؛ لأن هذا يسبب تفرقاً بين المسلمين، ويسبب الفصل بين الراعي والرعية، ويسبب لغضاء في مجتمع المسلمين، فلا يجوز الكلام في ولاية الأمور في مجالس كما يفعل بعض الناس يظن أن هذا من إنكار المنكر، هذا هو المنكر نفسه، إذا كان عندك ملاحظة أو عندك نصيحة لولي الأمر بلغها له، بأي وسيلة، أما إنك تتكلم فيه في المجالس فهذا منكر وليس نصيحة، هذا تشهير وتعيير وليس هو النصيحة، وليس هو إنكار المنكر، هذا هو المنكر نفسه. فلا يجوز الكلام في ولاية الأمور من العلماء والأمراء؛ لأن هذا يقلل من شأنهم عند الناس. ويوجب التفرق، ويوجب الغضاء بينهم^(١).

وكذلك من النصيحة لأئمة المسلمين: أنهم إذا ولوك عملاً واستأمنوك على عمل وظيفي فإنه يجب عليك القيام به على الوجه المطلوب من غير محاباة من غير تأخير، ومن غير أخذ رشوة، هذا من النصيحة لولاية الأمور؛ لأنهم ائتمنوك على هذا لعمل، وأسندوه إليك، وأعطوك بدله مالا تتقاضاه^(٢).

ومن النصيحة لولاية الأمور: الدعاء لهم بالهداية والتوفيق؛ لأن

(١) قال العلامة ابن النحاس الدمشقي رحمه الله في كتابه: «تنبيه العافيين عن أعمال الجاهلين» ص (٥٨ - ٥٩): «إذا وقع المنكر من السلطان ليس لأحد منعه بالفهر والقوه ولا أن شهر عليه سلاحاً، أو يجمع عليه أعوان، لأن في ذلك تحريكاً للفتن، وتهيجاً للشر. وإذا هاباً لهيبة السلطان من قلوب الرعية، ورب أدى ذلك إلى تحريثهم للخروج عليه وتحريب البلاد، وغير ذلك مما لا يخفى»

(٢) لمزيد من الفائدة: انظر كتاب «كف يؤدي الموظف الأمانة» لشيخ العلامة المحدث عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله تعالى.

صلاحهم صلاحاً للمسلمين. فتدعو لهم بالصلاح. وتدعو لهم بالتوفيق. وتدعو لهم بالاستقامة، لأن بعض الجاهل يدعو عليهم، وهذا من الغش لأئمة المسلمين، بل من الغش للمسلمين عموماً. الدعاء على ولاية أمور المسلمين هذا من الغش. الواجب العكس أنك تدعو لهم بالصلاح والتوفيق والهداية والتسديد^(١).

(١) ومن هنا جاء اهتمام السلف بدعاء للإمام وكان عمل لمسلمين على ذلك، عن الفضيل بن عياض أنه قال: «لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام...». أخرجه أبو نعيم في الحبيه (٩١/٨)، وفي «السنة» للحلال (٨٣/١) عن حنبل - أن الإمام أحمد رحمته - قال عن إمام المسلمين: «وإنني لأدعو له بالتسديد والتوفيق والتأييد في الليل والنهار وأرى ذلك واجباً علي».

وقال الإمام ابن القيم رحمته في كتابه «الروح» (٧١٦/٢): «... والفرق بين النصيحة والتأنيب. أن النصيحة إحسانٌ إلى من تنصحه بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له. وعليه فهو إحسانٌ محضٌ يصدر عن رحمة ورقّة ومراؤ الناصح بها وجه الله ورضاه، والإحسانُ إلى خلقه، فيتلطف في بدلها غاية التلطف، ويحتمل أذى المصنوع ولائحته، ويعامنه معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المشيع مرضاً، فهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرتة، ويتلطف في وصول اسواء إليه بكل ممكن. فهذا شأن الناصح؟»

وأما المؤنب، فهو رجلٌ قصده التعيير والإهانة. وذمٌ من يؤنبه، وشتمه في صورة النصيح. فهو يقول له: يا فاعل كذا وكذا، يا مسحقاً للدم والإهانة، وفي صورة ناصح مُشفقٍ وعلامة هذا أنه لو رأى من يحبّه ويحسن إليه على مثل عمل هذا أو شر منه لم يعرض له، ولم يقل له شيئاً ويطلب له وحوه المعاذير. فإن غلبَ قل: وأينا ضمنتُ له العصمة؟ والإنسان عرضة للخطأ، ومحاسنه أكثر من مساويه، والله غفورٌ رحيم، ونحو ذلك. فيا عجباً كيف كان هذا لمن يحبه دون من يبغضه؟ وكيف كان حظُّ ذلك منك التأنيب في صورة النصيح، وحظُّ هذا من رحاء العفو والمغفرة. وطلب وجوه المعذير؟.

ومن الفروق بين الناصح والمؤنب: أنَّ الناصح لا يُعاديك إذا لم تقبل نصيحته، وقال قد وقع أجري على الله، قبلت أو لم تقبل. ويدعو لك بظهر الغيب، ولا يذكر عيوبك ويبتئها في الناس. والمؤنب بضد ذلك..».

(ولعامّة المسلمين) النصيحة لعامّة المسلمين لها مجالات كثيرة: تعليمُ الجاهل، تذكيرُ الغافل، الأمرُ بالمعروف، النهيُ عن المنكر، الدعوةُ إلى الله ﷻ، التعاونُ على البر والتقوى، هذا كله من النصيحة لعامّة المسلمين، وكذلك عند التعامل مع لمسلمين عليك أن تكون ناصحاً، لا يكون عندك غشٌّ ولا خديعة ولا مكْر، تتعامل مع المسلمين كما تتعامل مع نفسك بالصدق والأمانة والثقة، لا تخذعُ في البيع، لا تغش، لا تغرُ الحامل، لا تأكلُ أموال الناس بالباطل، هذا من النصيحة لعامّة المسلمين.

على كل حالٍ هذا حديثٌ عظيمٌ استقصى جميعُ أمور الدين، ولهذا قال ﷺ: «الدينُ النصيحة» فإذا توفرت النصيحة بهذه الوجوه المذكورة توفّر الدينُ كاملاً، وصلحت العقيدة، وصلح اتباعُ لرسول ﷺ، وصلح طاعةُ ولايةِ أمور المسلمين وجمعُ الكلمة، وصلح المجتمعُ فيما بينه في التعامل والثقة بين المسلمين، إذا تَمَّت هذه الأمور فهذا هو الدينُ وصدقَ رسول الله ﷺ حيث قال: «الدينُ النصيحة».



ما جاء في أن التقوى وحسن الخلق من أسباب دخول الجنة

١٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ ما يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). أخرجه الترمذي، وصححه الحاكم.

الشَّيْخ

الجنة لا تُدخَلُ إلا بسبب الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٣٢]، فلا تُدخَلُ الجنة بدون عمل، الجنة غالية وعالية ولا تُدرك بالأماني وإنما بالأعمال الصالحة، فهي سبب لدخول الجنة، قال ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»^(٢).

أما دخول الجنة نفسه فهو فضل الله ورحمته ﷻ، ولكن الله إنما يتفضل ويرحم أهل الإيمان وأهل العمل الصالح، فإذا أردت الحصة

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم (٢٠١٤)، والحاكم (٤/٣٢٤)، وأحمد في مسنده (٢/٢٩١)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٩١٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب المرضى، باب نمي للمريض الموت، برقم (٥٦٧٣)، ومسلم في كتاب صفه القيمين والجنة والدر، باب من يدخل أحد الجنة بعمله، برقم (٢٨١٦).

فاعمل بالأسباب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١١) [الاسراء].

(تقوى الله) فيم بينك وبين الله جل وعلا، بأن تعمل بطاعته وتجتنب ما نهاك عنه مخلصاً لله في ذلك^(١)

(حسن الخلق): هذا فيما بينك وبين الناس، بالتعامل والمخالطة، فيكون معك خلق حسن، وسيأتي قريباً أن النبي ﷺ دعا فقال: «اللهم فكما أحسنت خلقي فأحسن خلقي».

فحسن الخلق: هو البشاشة مع الناس، والسهولة مع الناس، ولإقبال على الناس، وعدم الجفاء وعدم الكبر، وعدم الغلظة، هذا حسن الخلق، التسامح مع المتعاملين الذين تبيع وشترى معهم، نكون سمحاً إذا بعث سمحاً إذا اشتريت، تتسامح في الذين في الاستيفاء، وفي الإسقاط، تُنظر المعسر، وتتصدق على المحتاج، هذا من حسن الخلق مع الناس، وقد قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلُقٍ حسن»^(٢).

فإذا توفر عند الإنسان هذان السببان، فإنه يدخل الجنة.



(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى قول طلق بن حبيب رحمه الله: «تقوى الله أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله». أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/١٦٤)

(٢) رواه الترمذي في كتاب اسر والصدقة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧)، وأحمد في مسنده (٥/١٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٩٧).

حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ

١٦ - وعنه عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَسْمُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١).
أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

الْشَيْخ

(لَا تَسْمُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ) النَّاسُ كَثِيرُونَ، وَالْمَالُ قَلِيلٌ، مَا لَكَ لَا يَغْطِي كُلَّ النَّاسِ، بَلْ وَلَا قَلِيلاً مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ يَغْطِي النَّاسَ وَيَشْمَلُ النَّاسَ وَهُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَهَذَا سَهْلٌ عَلَيْكَ، بِشَاشَةِ الْوَجْهِ، وَطَلَاقَةِ لُوجِهِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَعَامَلَ مَعَ النَّاسِ كُلَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى (٤٢٨/١١) الْحَدِيثَ رَقْمَ (٦٥٥٠) طَبْعَةُ دَارِ الْمَأْمُونِ لِلتِّرَاثِ، وَالْحَاكِمُ (١٢٤/١) وَاللَّفْظُ لَهُ. وَحَسَنَ الْحَافِظُ ابْنَ حَجَرٍ فِي لَفْنَحِ (٥٨٨/١٣) تَحْقِيقَ الشَّيْخِ نَظَرَ الْفَارِسِيِّ حَفْضَهُ اللَّهُ. وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ بِرَقْمِ (٢٦٦١): صَحِيحٌ لِفَيْهِ.

(٢) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته الله فِي «تَهْذِيبِ السِّنَنِ» ص (٢٣١١ - ٢٣١٣): «وَلِ التَّرْمِذِيِّ (٢٠٠٥) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَذَرُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى».

وَقَالَ غَيْرُهُ: حُسْنُ الْخُلُقِ قِسْمَانِ.

أَحَدُهُمَا: مَعَ اللَّهِ ﷻ، وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا بَيْنِي مِنْكَ يُوْجِبُ عَذْرًا، وَكُلُّ مَا يَأْتِي مِنَ اللَّهِ يُوْجِبُ شُكْرًا، فَلَا تَزَلْ شَاكِرًا لَهُ، مُعْتَدِرًا إِلَيْهِ، سَائِرًا إِلَيْهِ بَيْنَ مَطَالَعَةِ مَنَّتِهِ، وَشَهُودِ عَيْبِ نَفْسِكَ وَأَعْمَالِكَ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، وَجَمَاعَةُ أُمَرَاءِ بَنِي الْمَعْرُوفِ قَوْلًا

المؤمن مرآة أخيه

١٧ - وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن مرآة

المؤمن»^(١). أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

- وفعلاً، وكف الأذى فعلاً وفعلاً.
وهذا إنما يقوم على أركان خمسة: العزم، والحدود، والصبر، وطيب العود، وصحة الإسلام.
أما العلم فلا أنه به يعرف معالي الأخلاق وسفاسفها، فيمكنه أن يتصف بهذا ويتحلى به، ويترك هذا ويتخلى عنه.
وأما الجود: فسماحة نفسه وبذلها ونقيادها لذلك، إذا أَرَادَهُ منها.
وأما الصبر: فلا أنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائها، لم يتهياً له.
وأما طيب العود: فأَنْ يكون الله تعالى حقه على طبيعة مقادة سهلة لقياد، سريعة الاستجابة لداعي الحيرات.
والطبائع ثلاثة: طبيعة: حجرية صلبة قاسية لا تيس ولا تنقاد. وطبيعة: مائية هوائية سريعة الانقياد، مسخية بكل داع، كالعصن أي نسيم مر يعطفه وهتان محرفتان، الأولى: لا تقبل، والثانية: لا تحفظ.
وطبيعة قد جمعت اللين والصلابة والصفاء، فهي نقل لينها، وتحفظ بصلابتها، وتدرك حقائق الأمور بصفائها، فهذه الطبيعة لكاملة التي يشأ عنها كل خلق صحيح
وأما صحة الإسلام: فهو جماع ذلك والمصحح لكل خسر حسن، فبه نحسب قوة إيمانه وبصديقته باحراء وحسن موعود الله وثوابه، يسهل عليه تحمل ذلك، ويند له الانصاف به. والله الموفق المعين.

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في لصيحة والحيطة، رقم (٤٩١٨). وحسنه لألسي في سلسة الأحاديث الصحيحة، رقم (٩٢٦)

❦ الشَّيْخ ❦

(المؤمن مرآة المؤمن) امرأة: هي التي تُريك صورتك إذا وقفت أمامها، سواء كانت صورةً حسنة، أو صورةً تحتاج إلى إصلاح وتعديل، الإنسان إذا أراد أن يخرج يقفُ أمام المرأة^(١)، ربما يكون فيه شيءٌ يحتاج إلى تحسين أو إزالة، يعدّل نفسه يعدّل ملابسه، هذا شيء طيب، أن يظهر الإنسان على الناس بمظهرٍ طيبٍ وحسنٍ.

ولكن هناك مرآة معنوية تُريك معائك، وهي أخوك المسلم، فالمؤمن مرآة أخيه، فأخوك يعرفُ ما عندك من الخطأ ومن النقص، ومن المكملات فهو يشير عليك ويرشدك، فاقبل منه.

هذا فيه الحث على أن تقل من أخيك ما يرشدك إليه من تجميل الصورة الطاهرة والصورة الباطنة، وأنه يرى منك ما لا تراه أنت من نفسك، قد يرى الإنسان أنه كامل، وأنه ما عنده أخطاء، ولا عنده شيء، ربما أخوه النصيح يرى عنده أخطاءً ونقصاً، فيرشدُه إليها، فلا تقصُرْ على نفسك ورأيك، شاوَرْ أخاك، اسمعْ منه إذا أَدَى لك نصيحةً.

فهذا فيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن الإنسان يقلُّ النصيحة من أخيه فيما يرى عليه من عيوب، فيعدّله.

المسألة الثانية: أنه يجبُ على المسلم أن ينصح أخاه ولا يسكت على ما يرى عليه من نقائص وعيوب، أو بالعكس قد يمدّحه وينافقُ عنده بغير الصحيح، هذا غشٌّ، (المؤمن مرآة أخيه) يرى فيه صورته، وما يحتاجُ إلى تكميل وإلى تعديل

(١) قال الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعائي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ النُّسُورِ شرح لجامع الصغير (٤٤٨/١٠): «قال الطيبي . . . وقيل معناه . . . كن لأخيت كالمراة تريه محاسن أحواله ونعته على الشكر وتمنعه عن الكبر وتريه قذبح أموره ببين يي حمية تنصحه ولا تفصححه . . .»

فضل المخالطة وترك العزلة

١٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(١). أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن، وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسم الصحابي.

الشيخ

(لم يسم الصحابي) لا تضر جهالة الصحابي، الصحابة كلهم عدول، ولو لم يسم، فإن هذا لا يضر في الحديث.

وهذا الحديث فيه الكلام على العزلة والخلطة مع الناس، الإنسان كما يقال: اجتماعي بالطبع، لا يستطيع أن يعيش وحده، لا يعيش إلا مع الناس، يحتاج إلى الناس، والناس يحتاجون إليه، لا يستطيع أن يستقل بنفسه أبداً، ولكن إذا كان هناك في المجتمع سوء، أو من تخاطبهم عندهم سوء، فهل من المستحسن أن تعزلهم أم من المستحسن أن تخاطبهم؟

فصل الرسول ﷺ في هذا الحديث، (المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم) ويصبر على أذاهم بهذا الشرط (خير من الذي لا

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ولفرائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أواني الخوض، برقم (٢٥٠٧). وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم (٤٠٣٢)، وأحمد في مسنده (٤٣/٢) و(٥/١٣٦٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٩٣٩).

يخالطُ الناس، ولا يصبرُ على أذاهم) مخالطتُك للناس إذا ترتب عليها إصلاحٌ، دعوةٌ إلى الله ﷻ، تعليمُ الخير، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهذه خلطةٌ لا بد منها، هذه خلطةٌ لإصلاح، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

فالذي يخالط الناس ويُصلحُ ويدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويعلم الجاهل، ويساعد المحتاج، ويصحح بين الناس، هذا خيرٌ من الذي يعرف، الذي يعرفُ يسلمُ من شر الناس، ولكن الذي خالطهم وضرَّ على أذاهم هذا خيرٌ منه، فهذا فيه التفصيلُ في الخلطة والعزلة، إذا كانت الخلطةُ يترتب عليها خيرٌ فهي أفضل من العزلة، أما إذا كانت الخلطةُ يترتب عليها العكسُ أن يتأثر الإنسان بأهل الشر، ولا يؤثر، فالعزلةُ خير من الخلطة التي يترتب عليها شرٌ.



كان النبي ﷺ أكمل الناس خلقاً وخلقاً

١٩ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»^(١). رواه أحمد، وصححه ابن حبان.

❦ الشَّيْخ ❦

قنا: إن الإنسان يتكون من صورتين:

الصورة الظاهرة: وهي الجسم، والصورة الباطنة: وهي الخلق.

الصورة الأولى يقال لها: لخلق، والثانية يُقال لها: الخلق. بضم الخاء واللام.

فالإنسان يتكون من هاتين الصورتين، من الناس من صورته سيئة وخلق سيئ، هذا أقبح لناس، ومن الناس من صورته الظاهرة سيئة، هو سيئ المنظر ما يراه الناس شيئاً، لكن صورته الباطنة طيبة، هذا صيب أيضاً، ولا يضره قبح المظهر إذا كان المخبر حسناً، ومن الناس العكس، من صورته الظاهرة حسنة، وصورته الباطنة قبيحة، وهذا كالمنافق والعيذ بالله، وهذا قبيح، والنبي ﷺ دعا بالأميرين الأولين حسن الصورة الظاهرة، وحسن الصورة الباطنة فقال (اللَّهُمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي)، وكان ﷺ أكمل الدس خلقاً وخلقاً.

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٠٣ ١) ملقط: «اللَّهُمَّ أحسنت خلقي، فأحسن خلقي».

وابن حبان برقم (٩٥٥)، وبعبارة: «اللَّهُمَّ حسنت خلقي فحسن خلقي».

وصححه لألباني في التعليلات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٨٨/٢)

ورواه العليل، برقم (١٤).

وهذا فيه الاقتداء بالرسول ﷺ^(١)، وأن المسلم يدعو الله بهذا لدعاء، ولا يكمل نفسه، ويقول: أنا كامل وليس عندي نقص. بل يلجأ إلى الله في أن يحسن صورته لظاهرة وصورته البطنة، والله تعالى أعلم.



(١) قال الإمام ابن حزم الأسلمي رحمه الله في كتابه «الأحلاق وأسير» ص (٩١) «من أراد حير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل لسيرة والاحتواء على محاسن الأحلاق كلها وسحقاق الفضائل بأسرها، فليفتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيرته وأمكه. أعاد الله على الأنساء به، بمنته، آمين»

باب الذكر والدعاء

هذا الباب هو ختام الكتاب، وهو باب (الذكر والدعاء).

وذكر الله ﷻ يكون باللسان، ويكون بالقلب، ويكون بالعمل.

باللسان: كالنسيب والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن وغير ذلك.

وبالقلب: وهو التفكير في نعم الله ﷻ، والثناء على الله، واعتقاد أن هذه المخلوقات، وهذه النعم كلها دالة على عظمة الله ﷻ، وعلى فضله وإحسانه على عباده فيتفكر فيها.

ويكون الذكر أيضاً بالجوارح، وذلك بالصلاة والركوع والسجود والجهاد في سبيل الله، ويكون بالصيام وبحميم أنواع العبادات البدنية، ويكون بالعبادات المالية أيضاً كالصدقة والزكاة. وذكر الله شامل لجميع أنواع العبادات، كل عبادات ذكر الله ﷻ.

وأما الدعاء فهو على قسمين:

دعاء العبادة: وهو الثناء على الله بأسمائه وصفاته وآلائه.

ودعاء مسألة: وهو طلب الحوائج من الله ﷻ، فالعبد محتاج إلى الله في كل لحظة، لا غنى له عن الله طرفة عين، فهو بحاجة إلى الدعاء بأن يطلب من الله كل ما يحتاجه من الهدى والرشاد ولأرزاق، ومن العافية، ومن المعرفة، فيطلب من الله كل ما يحتاجه، وهو محتاج إلى الله في كل أحواله، فلا غنى له عن الدعاء.

والدعاء عبادة عظيمة، كما يأتي أن الدعاء هو العبادة، قد أمر الله تعالى به في آيات كثيرة، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

بِالَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١٦٠﴾ [غافر: ١٦٠]،
وقال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٦٤]، وقال ﷺ:
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
[البقرة: ١٨٦].

فالدعاء عبادة عظيمة، والعبد بحاجة إليه ليرفع حوائجه إلى الله ﷻ
في كل لحظة وفي كل حين، وهو سمّة الأنبياء والمرسلين كما ذكر الله
ذلك في كتابه عن أنبيائه أنهم يدعونه ويتضرعون إليه، ويطلبون منه
حوائجهم، فلا أحد يستغني عن الدعاء.



(١) قال القاضي عياض رحمه الله: «أذن الله في دعائه وعظم ادعائه في كتابه لحليقته،
وعلم النبي ﷺ لدعاء لأُمَّته واحتتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعزم
باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد أحال
الشيطان للناس من هذه المواقف، فقيض لهم قوم سوء يحترعون لهم أدعية
بشتعلون بها من الاقتداء بالنبي ﷺ بطرف لفتوحات الرأية على الأذكار
النووية لاس إعلان (١٧١)»

* وقد شجع الإسلام ابن تيمية رحمه الله «وينبغي للحنوف أن يدعوا بالأدعية
الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة، فإن ذلك لا ريب في فوائده وحسنه وأنه
الصراط المستقيم، صراط الذين أجمع الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصلحاء، وحسن أولئك رفيقاً» مجموع الفتاوى (٣٤٦/١).

معية الله للمؤمن معية خاصة

١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»^(١). أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان. وذكره البخاري معلقاً.

الشَّيْخُ

قال الله تعالى: (أَنَا مَعَ عَبْدِي) هذا فيه المعية الخاصة؛ لأن الله مع عبده كلهم المؤمن والكافر، معية إحاطة وعدم، وهو مع عباده لمؤمنين معية خاصة لقربه منهم، وإعانته لهم، وحفظه لهم. هذه معية خاصة، ومنها ما ذكر في هذا الحديث أن الله مع عبده معية خاصة إذا ذكره، ما تحركت به شفتاه، فهذا فيه فصل الذكر باللسان، وفي الحديث أن الله ﻳَـﻨـﻔـُـسُ يقول: «... وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ (يعني في جماعة) ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ...»^(٢)، يعني الملائكة؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

(١) علقه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قوه تعالى ﴿لَا تُخَافُ بِهِ لِسَانٌ﴾، ووصفه في (خبر أفعال العباد)، برقم (٤٣٦)، ورواه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم (٣٧٩٢)، وأحمد في مسنده (٢، ٥٤٠)، بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ ﻳَـﻨـﻔـُـسُ يَقُولُ: «أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَيَمِرُّكُمْ اللَّهُ نَفْسُهُ﴾، برقم (٧٤٠٥)، ومسنم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاسعفار، باب البحث على ذكر الله، برقم (٢٦٦٥).

والله جل وعلا يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فمن ذكر الله ذكره الله ﷻ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه.

فهذا فيه أن المسلم ينبغي له أن يكون ذاكراً لله دائماً وأنداء، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَاةِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] لا يغفل الإنسان عن ذكر الله ﷻ.

وقال سبحانه: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (١) [الكهف].



(١) قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله كما في كتاب «فقه

الأدعية و الأذكار» للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن الدر (٨، ١):

فذكر إله العرش سراً ومعلنًا	يُرِيْلُ الشَّقَّ وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
وبجلب لبحيرات دنيا وجلا	وإن يأتك الوسوس يوماً يُشْرِدُ
فقد أخبر لمختار يوماً لصاحبه	بأن كثير الذكر في السبق مُفْرِدُ
ووضى معاد يستعين إلهه	عنى ذكره والشكر بالحسن يعبدُ
وأوصى لشخص قد أتى لصيحة	وقد كن في حمى لشرائع يَجْهَدُ
أن لا يزال رطباً لسأك هذه	تُعِينُ عَنِ كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسَعِدُ
وأخبر أن الذكر غرس لأهله	بجنان عدن والمساكن تُمَهِّدُ
وأحسر أن الله يذكر عبده	ومعه على كل الأمور يُسَدُّ
وأخبر أن الذكر يبقى بجنة	وينقطع التكليف حين يُخَلَّدُوا
ولو لم يكن في ذكره غير أنه	طريق إلى حب الإله ومُرَشِّدُ
وينهى الفتى عن غيبة ونميمة	وعن كل قول للدين مُفْسِدُ
لكأن به حظاً عظيم ورغبة	كثرة ذكر الله نعم المُوَحِّدُ
ولكن من جهل قل ذكر	كما قل من لاله التَّعَبُّدُ

ذِكْرُ اللَّهِ سَبَبٌ فِي نَجَاةِ الْعَبْدِ مِنَ الْمَهَالِكِ

٢ - وعن معاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» ^(١). أخرجه ابنُ أبي شيبة، والطبراني بإسناد حسن.

الشَّيْخُ

هذا فيه أن الذكر يسمى عملاً، وأنه أعظم الأعمال، فالذكر سبب في نجاة العبد من المهالك في الدنيا والآخرة، فمن لهج بذكر الله ﷻ فإن الله ينجيهِ من كل كرب، ولهذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا وقعوا في ضيقٍ أو في كربٍ وشدةٍ يذكرون الله ﷻ ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، برقم (٣٣٧٧)، وأحمد في مسنده (٦٣٩/٥)، وابن أبي شيبة في المصنف، برقم (٣٠٦٥) و(٣٦١٩٤) طبعة دار القبة، وصححه الألباني في صحيح الجامع لصغير، برقم (٥٦٤٤).

(٢) كما قال جلَّ ثناؤه. ﴿وَأَنذَرْتُ إِذْ فَدَيْتُ رَبِّي أَنِّي مَسِيءٌ لَّعَنُتُ وَلَئِن لَّزَيْتُ لَأَكْفِرَنَّ لَكَ فَأَسْتَغِيبَ لَكَ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِهِ وَرِكَزِي لِعَبِيدِنَ﴾ ^(١) [لأنبياء].
وقال جلَّتْ عظمته ﴿وَدَا أَسْوَدٌ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَصِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَتَى سَجْنَتَكَ فِي كُتٍّ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ ^(٢) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ النَّارِ وَأَعْتَدْنَا لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَجْرًا لَّأَنَّهُ كَانِ مِنْ السَّاجِدِينَ﴾ ^(٣) [الأنبياء].
وقال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذْ نُوحِيَ إِلَيْهِمْ أَن يَبْنُوا فَاذْبَحُوا وَكَانُوا صَدُّوا وَقَالُوا بَعْضُنا مِنْ بَعْضٍ وَكُنَّا عَمَلًا فَرِحًا وَمِنْهُمْ قَوْمٌ لَّا يَرْجِعُونَ﴾ ^(٤) [القمر].

فضل مجالس الذكر

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١). أخرجه مسلم.

الشيخ

هذا فيه فضل مجالس الذكر التي يُذكرُ الله فيها بالنسيح والتهلِيل والتكبير والاستغفار والتوبة، فإذا جلس المسلمون يذكرون الله في المساجد أو في غيرها من خلق الذكر، فإنهم يستفيدون هذه الفوائد العظيمة: أنها تحفُّهم الملائكة؛ لأن هناك ملائكةً سيّاحين يتبعون خلق الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله جسوا معهم وحفُّو بهم، فالملائكة تقربُ من ذكر الله، ومن العبد إذا ذكر الله، واشياطين تنهرُ من ذكر الله ﷻ، وذكرُ الله يسبب حضور الملائكة مع العبد، ومجالسة الملائكة له، والغفلة عن ذكر الله، يجلبُ له الشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانٌ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الرحم].

(حفَّتْهم الملائكة وغشيتهم الرحمة) تنزلُ عليهم الرحمة وتعمُّهم رحمة الله، وأعظمُ من ذلك أن الله يذكرهم فيمن عنده، وهم الملائكة.

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩)، ومن ملاحه في كتاب الأدب، باب فصل الذكر، برقم (٣٧٩١) والمصطلح له. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله (١/ ١٥٦) حديث رقم (١٥)، وصحيح سنن أبي داود به، برقم (١٣٠٨).

فيذكر الله عباده المؤمنين الذين يذكرونه في الأرض، يذكّرهم الله في السماء عند الملائكة لمقربين، وهذا فيه فضل الذكر لله ﷻ والاجتماع عليه، وليس معنى ذلك ما يفعله الصوفية من الذكر الجماعي، والألفاظ المبتدعة، وإنما هو الذكر الوارد في كتاب الله وسنة رسوله، وكل واحد يذكر الله في نفسه منفرداً عن الآخرين، أما الذكر الجماعي فهو بدعة^(١).

(١) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن من يقول أنا أعتقد أن من أحدث شئاً من الأذكار غير ما شرعه رسول الله ﷺ وصرح عنه أنه قد أساء وأخطأ إذا لو ارتضى أن يكون رسول الله ﷺ بنيه وإمامه ودليمة لاكتفى بما صح عنه من الأذكار، فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل وتريين من الشيطان وخلاف للسنة إذ الرسول لم يترك خيراً إلا دلنا عليه وشره لنا، ولم يدخر الله عنه حيراً دليل إعطائه خير الدنيا والآخرة. إذ هو أكرم الخلق على الله، فهل الأمر كذلك أم لا؟

فأجاب: «الحمد لله لا ريب إن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، وعبادات منهاه على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحرّاه المتحري من لذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمد وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إسان، وما سواه من الأذكار قد يكون محرماً وقد يكون مكروهاً وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسنّ لبدع نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يوطب الناس عليها كما يراظنون على أصولات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن به الله بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله لبدع سنة، فهذا إذ لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الحزم بتحريمه، نكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب؟

وأما اتحاد ورد غير شرعي واستئناس ذكر غير شرعي، فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية لشرعية ولأذكار الشرعية غنية المطلب الصحيحة وبهاية المقصد العلية، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثّة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعبد» مجموع الفتاوى (٢٢/٥١٠ - ٥١١).

المجالس التي تخلو من ذكر الله حسرة على أصحابها

٤ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). أخرجه الترمذي: وقال حسن.

الشَّيْخ

هذا فيه أنه ينبغي أن تُعَمَّرَ المجالسُ بذكر الله، وأن لا تخلو من ذكر الله ﷻ، والصلاة على النبي ﷺ، فذكرُ الله حقُّ الله على عباده، والصلاة على النبي ﷺ حقُّ للنبي ﷺ على المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ﴾ [الأحراب ٥٦]، ففيه أن المجالس التي تخلو من ذكر الله تكون حسرةً على أصحابها.

وفي الرواية الأخرى: «إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ» يعني بقصاً، فينبغي أن لا تخلو المجالسُ من ذكر الله ﷻ، ويشغل أهلها بالقليل والقال والغفلة عن ذكر الله^(٢).

(١) رواه الترمذي وحسنه في كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم (٣٣٨٠)، بلفظ: «ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذِبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُمْ». وأحمد في مسنده (٤٤٦/٢، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٧٤)، و(٧٦).

(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إِلَّا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة» رواه أبو داود برقم (٤٨٥٥)، وأحمد في مسنده (٣٨٩/١)، والحاكم (٤٩٢/١).

فضل التهليل عشر مرات

هـ - وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
 «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ
 إِسْمَاعِيلَ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخ

وهذا الحديث فيه بيان نوع من أنواع الذكر، وهو قول: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)
 يكررها عشر مرات، ويكون ثوابها يعادل ثواب من أعتق أربعة من ولد
 إسماعيل، أربعة رقاب، والعتق معروف فضله وثوابه، ولا سيما إذا كانت
 الرقبة المعتقة نبيسة: (ومن ولد إسماعيل) يعني من العرب؛ لأن العرب
 ولد إسماعيل ﷺ.

فهذا فيه فضل هذه الكلمات (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هذه كلمة التوحيد،
 ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، فهي نفْي وإثبات، نفْي للعبودية
 والُلوهية لغير الله، وإبطال لعبودية غير الله، وإثبات للعبودية لله ﷻ،
 فهي كلمة التوحيد، وقوله: (لا شريك له) تأكيد (وحده) هذا تأكيد

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم (٦٤٠٤)، ومسلم
 في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح
 والدعاء، برقم (٢٦٩٣).

للاِثبات في آخر الكلمة، (لا شريك له) هذا تأكيدٌ للنفي في أول الكلمة؛ لأن أولها نفيٌّ وآخرها إثبات.

(له الملك) مُنكَ لسموات و لأرض، لا أحد يشارك الله جل وعلا في ملكه (وله الحمد) وهو الثناء؛ لأن النعم كلها من الله جل وعلا، فهو الذي يستحقُّ الحمد المطلق، وكلُّ الحمد له ﷻ (وهو على كل شيء قدير) اعترافٌ بقدرة الله وأنها شاملة لكل شيء، وأن الله لا يُعجزه شيءٌ في الأرض أو في السماء، إذا أراد شيئاً فإنما يقولُ له كن فيكون. (عشر مرات) ففيه فضلٌ تكرار هذا الذكر عشرَ مرات.

وفي الحديث أنه يجوزُ استرقاق العرب، هذا من أدلة القائلين بأن الاسترقاق ليس خاصاً باليهود والنصارى وأهل الكتاب، بل يعمُّ كل كافر، إذا استولى المسلمون عليه بالحرب فإنه يُسترقُّ، لما أبى أن يعدد الله ﷻ، عاقبه الله فجعله رقيقاً مملوكاً للمخلوقين، عقوبةً له.

كما عرّف العلماء الرق: بأنه عجزٌ حُكْمِيٌّ سببه الكفر، فلما كفر بالله، وأبى أن يدخلَ في دين الله، والله خلقه لعبادته فعبدَ غير الله، صرب الله عليه الرقَّ عقوبةً له، ولا يرتفع عنه الرقُّ إلا بالعتق. وهذا فيه ردٌّ على الذين ينكرون الرق من الكفرة ومن تأثر بهم من الكتّاب الجهال، وهذا حكمٌ شرعي لا يجوز الشك فيه أو التردد فيه.



فضل التسبيح

٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١). متفق عليه.

- الشَّيْخُ -

(حُطَّتْ خَطَايَاهُ) يعني غُفِرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) وَكَرَّرَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ، لَا يَسْتَكْثِرُ شَيْئًا يَعْطِيهِ جَلَّ وَعَلَا. لِأَنَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ، غَنِيٌّ كَرِيمٌ، يُعْطِي بِلا حِسَابٍ وَبِلا حَصْرٍ، وَيَغْفِرُ جَمِيعَ لَذُنُوبٍ لِمَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَهَذَا كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا اسْتِكْفِيرٌ لِلذُّنُوبِ، وَأَنَّ هَذَا خَاصٌّ بِالصَّغَائِرِ، أَمَّا الذُّنُوبُ الْكُبْرَى فَلَا بَدَّ مِنَ التَّوْبَةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَجَتَبَّهُوا كَذِبًا مَا يَبُوءُونَ عَنْهُ لُكْفَرٌ عَنْكُمْ سَكِّتَ تَكُفُّكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وَقَالَ السَّيِّدُ ﷺ: «الْصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، كَفَّارَةٌ

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، برقم (٦٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهنيت والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩١).

لما بينهنَّ إذا اجْتُنِبَتْ الكبائر^(١)، فالنكفير خاصٌّ بالصغائر، وأما الكبائر فلا تُكْفَرُ إلا بالتوبة منها، وإن كانت مثلَ رَيْدِ البحر.

ومعنى (سبحان الله) تنزيهه، التسييح: هو التنزيه، أي أنزه الله جل وعلا عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب، أنزهه عن الشريك، وأنزهه عن الولد، وعن الزوجة كما يقوله المشركون والصارى، وأنزهه عن كل نقصٍ وعيبٍ، ونزّهه عن ما يقوله المعطّلة من نفي أسمائه وصفاته، وثبت له ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات؛ لأنها كمالٌ لله ﷻ.

(وبحمده) الحمد: هو الشئ على الله نعيمه ﷻ.

فهذا الحديث جمع بين نوعين من أنواع الذكر: التسبيح والحمد لله ﷻ^(٢)، فأنت تسبح الله وتحمده على نعمه وآلائه.



(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب اصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان مكفّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، برقم (٢٣٣).

(٢) روى الإمام مسلم ﷺ في صحيحه، برقم (٢٧٣١) من حديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أي الكلام أفصل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده».

* وروى الإمام مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٩٢) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه».

من فضائل التسبيح والتحميد

٧ - وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ: لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْهُ الْيَوْمَ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةِ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١). أخرجه مسلم.

الشرح

(جويرية بنت الحارث) الهلالية أم المؤمنين رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، كانت حالسة تذكّر الله ﷻ، وعندها حصّى تعدّ به التسبيح والتهليل، دخل عليها النبي ﷺ وأخبرها أنه قال أربع كلمات تعدل ما قاله في جميع اليوم (أربع كلمات) لا شك أنها في مجلسها هذا الطوير قالت ذكراً كثيراً، ولكن أربع كلمات تعدل ما قاله في هذا اليوم وهي: (سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزينة عرشه، ومداد كلماته).

(سبحان الله وبحمده) الذي ذكر في الحديث الذي قبله، أن من قالها مئة مرة حُطَّتْ عنه خطاياها.

(عدد خلقه) عدد ما خلق الله جل وعلا في السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات تُسبحه، وتحمده ومن يُحصي مخلوقات الله ﷻ؟

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فِي تَسْبِيحِ أَوَّلِ النَّهَارِ وَعِنْدَ لَيْلٍ، بِرَقْمِ (٢٧٢٦).

(ورضا نفسه) حتى يرضى الله ﷻ، فهذا فيه وصف الله جل وعلا بالرضا، وأنه يُرضيه التسبيح والذكر. وهذا فيه فضل هذا الذكر؛ لأنه يكسب العبد أن الله يرضى عنه ﷻ.

(وزنة عرشه) العرش: هو أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات، والله جل وعلا مستوياً على العرش فوق مخلوقاته، فالعرش هو أعظمها، (زنة عرشه) أي: سبحانه الله وبحمده زنة عرشه، ومادا يوازن العرش على كبره وضخامته وعظمته؟ فهذه الكلمة تعدل زنة العرش من فضلها وعظمتها^(١).

(ومداد كلماته) المداد: هو الحبر الذي يكتب به، وكلمات الله: كلام الله جل وعلا، لا يعلمه إلا هو، ولا يحصيه إلا هو، لأنه يتكلم

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في المنار المنيف ص (١٨ - ١٩) «وقوله: وزنة عرشه فيه إثبات لعرش وإضافته إلى الرب ﷻ، وأنه أثقل لمخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيء أثقل منه لوزن به تسبيح، وهذا يرد على من يقول: إن العرش ليس بثقل ولا خفيف، وهذا لم يعرف العرش ولا قدره حق قدره. فالتضعيف الأول: للعدد والكمية.

والثاني: للصفة والكيفية.

والثالث: للعظم والثقل وكبر المقدار.

وقوله. (ومداد كلماته)، هذا بعم الأقسام الثلاثة وشملها، فإن مدد كلماته سبحانه لا نهاية لقدره ولا لصفته ولا لعدده، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْحَرُّ مِدَادًا لَكُمِيتَ رَبِّي لَغَدَّ الْحَرُّ قُلْ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا بِمِثْلِهِ، مَدَدٌ ۖ﴾ [الكهف]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْحَرُّ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سِتْعَةَ الْحَرِّ مَا هَدَتْ كَلِمَتُ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ ذَكِيٌّ ۖ﴾ [القلم]. ومعنى هذا أنه لو فرض البحر مداداً وبعده سعة البحر تمده كلها مداداً وجميع أشجار الأرض أقلاماً، والأقلام تسمد من دلت المداد، فتفنى البحار والأقلام وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفد.

(فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد

كلماته).

جل وعلا ويأمر وينهى ويخلق، وما زال يتكلم ﷺ بأوامره ونواهيه لكونية والشرعية.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٨١] وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [القلم: ٢٧].

كلام الله لا يُحصيه إلا الله جل وعلا، فهذه الكلمة تعادل المداد الذي يكتب به كلام الله، فدل على فضلها، ومكانتها عند الله ﷻ، ينبغي للعبد أن يلهج بها ويكثر منها.



ما جاء في تفسير الباقيات الصالحات

٨ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(١). أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم.

الشرح

(الباقيات الصالحات): هي الأعمال الصالحة التي يبقى ثوابها، قال تعالى: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ومن الباقيات الصالحات هذه الكلمات: (سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

هذه الباقيات الصالحات، خمس كلمات هذه من الباقيات الصالحات التي تبقى للعبد ويستمر ثوابها عند الله سبحانه، وأما ما عداها من أمور الدنيا وثروات الدنيا فإنها تذهب، قال سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [٤٦]، فالذي يعطى الأموال والأولاد لا يستمر له ذلك، إنما هو عطاء مؤقت، أما الذي يستمر ويبقى هو هذه الكلمات التي يوق للمؤمن لأن يقولها ويكررها، هذه هي التي تبقى له عند الله ﷻ.

(١) رواه ابن حبان برقم (٨٤٠)، والحاكم (٥١٢/١ - ٥١٣)، والإمام أحمد في مسنده (٧٥/٣)، وحسه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٣٢٦٤)، وانظر كتاب منحة العلام في شرح بلوغ المرام لفصيلة الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان (٤٠٨/١٠ - ٤٠٩).

(سبحان الله، ولا إله إلا الله) مرّ تفسيرها

(الله أكبر) أي: أعظمّ من كل شيء، فلا كبير إلا والله جل وعلا أكبر منه وأعظمّ منه، فهي كلمة عظيمة.
(الحمد لله) مرّ تفسيرها.

(ولا حول ولا قوة إلا بالله) لا حول ولا قوة، أي: لا تحوّل من حالي إلى حالٍ إلا بالله جل وعلا، فلا نستطيع أن نتحوّل من المعصية إلى الطاعة إلا بالله ﷻ، ولا نستطيع أن نتحوّل من المرض إلى الصحة إلا بالله ﷻ، ولا نستطيع أن نتحوّل من الفقر إلى الغنى إلا بالله ﷻ، ولا نستطيع أن نتحوّل من حال إلى حال إلا بالله سبحانه، أنت لا حول لك، أنت مخلوقٌ ضعيف لا تقوى على شيء، لا بتقوية الله لك.

فهذا فيه التفويض إلى الله جل وعلا والسراء من الحول والقوة، وأد الإنسان لا يُعجبُ بحوله وقوته، بل يفوض ذلك إلى الله جل وعلا، فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا تفويض لله ﷻ، وبراءة من الحول والقوة، واعترافٌ بعجز العبد، وأنه لا يستطيع شيئاً إلا إذا أقدره الله عليه وأعانهُ عليه.



أحب الكلام إلى الله سبحانه

٩ - وعن سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ^(١). أخرجه مسلم.

الشرح

(أحب الكلام إلى الله) هذا فيه أن الله يحب الأعمال الصالحة ويحب أهلها، ففيه إثبات المحبة لله ﷻ. وأنه يحب الأعمال الصالحة. ويحب الصالحين، ويحب امتقين. ويحب الذكر، فهذه أربع كلمات (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) هي أحب إلى الله ﷻ مما سواهن من الأذكار، لما تضمنه هذه الجمل العظيمة من تنزيه الله ﷻ. والثناء عليه وتعظيمه.

(لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأت) يعني سواء قدّمت فيهن أو أخرت فلا يضر هذا، سواء جئت بهن مرتبات كما في الحديث، أو أنك قدّمت بعضهن على بعض لا يضر^(٢).

(١) رواه مسلم في كتاب الأدب، باب كراهية التسمية بالأسماء اقبليحة، برقم (٢١٣٦).

(٢) هذه الكلمات الأربع لها فضائل عظيمة منها: ما رواه الإمام الترمذي رحمته الله برقم (٣٤٦٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة، أثرية، عذبة الماء، وأنها قيعن، غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» حسبه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة، برقم (١٠٥).

كنز من كنوز الجنة

١٠ - وعن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عَبْدَ اللَّهِ بن قَيْسٍ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١). متفق عليه.

زاد النسائي: «وَلَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ»^(٢).

الشيخ -

(أبو موسى الأشعري رضي الله عنه) واسمُه عَبْدُ اللَّهِ بن قَيْسٍ، وهو من لسابقين الأولين إلى الإسلام، ومن أفاضل الصحابة رضي الله عنه.

(كنز من كنوز الجنة) بمعنى أن ثوابها عظيم، وهو الجنة، والجنة هي أعظمُ امطالب، ففيه فضلُ هذه الكلمة (لا حول ولا قوة إلا الله) وعرفنا معناها، ولماذا كانت بهذه لمثابه؛ لأنها تتضمن التوحيص إلى الله جل وعلا وإظهار العجز والفقر إلى الله تعالى، وأن الله هو لقويُّ القادر

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذ علا عقبة، برقم (٦٣٨٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حفص النصب بالذكر، برقم (٢٧٠٤)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم (١٥٢٦)، وابن ماجة في كتاب الأدب، باب ما جاء في (لا حول ولا قوة إلا بالله) برقم (٣٨٢٤).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، في كتاب «عمل ليوم والديلة»، برقم (١٠١١٨)، وأحمد (٢ ٣٠٩)، والحاكم (١ ٥١٧). وانظر تخريجه في كتاب منحة العلامة في شرح بلوغ المرام (١٠/٤١٣).

على كل شيء، فهي كلمة عظيمة، وهي خفيفة على اللسان سهلة يرددها الإنسان، ولا يغفل عنها. يعود الإنسان لسانه الذكر (زاد النسائي) ولا ملجأ من الله (إلا إليه) إذا أرادك الله بشيء فلا أحد ينفذك من الله ﷻ إلا الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [مؤمنون: ٨٨] يجير من استجاره، ولا يُجار عليه، إذا طلب أحداً من عباده فلا أحد يستطيع منع هذا العبد من ما أراد الله تعالى به، كما قال ﷺ: «واعلم أن أهل الأرض لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»^(١)، هذا معني (لا ملجأ من الله إلا إليه) كما قال ﷺ: «وأعوذ بك منك»^(٢)، أي: أَلجأ إليك منك سبحانه، فلا أحد يُجِيرُ على الله، ولا أحد يمنع أحداً، لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع، قال جل وعلا: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٣].



- (١) سبق تخريجه ص (١١٨).
- (٢) حرم من حديث رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٦).
- (٣) من فضائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٨٢١) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ - ليلة أُسري به - مر على إبراهيم - فقال إبراهيم لجبريل: من معك يا جبريل؟ قال جبريل: هذا محمد ﷺ، فقال إبراهيم: يا محمد! لم أمنتك أن تكشروا غراس الجنة، فإن نزلتها طيبة وأرضها واسعة، فقال رسول الله ﷺ لإبراهيم وما غراس الجنة؟ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، (قال الألباني رحمه الله في التعليلات الحسان على صحيح ابن حبان ٢: ٢٠٦): صحيح لغيره، ونظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٥).

الدعاء هو العبادة

١١ - وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» ^(١). رواه الأربعة. وصححه الترمذي.

١٢ - وله من حديث أنسٍ رضي الله عنه مرفوعاً: «الدُّعَاءُ مُنْجُ الْعِبَادَةِ» ^(٢).

الشرح

انتهى من الذكر ثم انتقل إلى الشق الثاني من الباب وهو الدعاء، والدعاء - كما ذكرنا - على نوعين:

الأول: دعاء العبادة: وهو الثناء على الله ﷻ بأسمائه وصفاته.

والثاني: دعاء الطلب: وهو طلب الحوائج من الله ﷻ.

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٧٩)، والترمذي في كتب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (٣٣٧٢)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فصل الدعاء، برقم (٣٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح مسر أبي داود، برقم (١٣٢٩)، وأحكام الحديث ص (١٩٤).

(٢) رواه الترمذي في كتب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (٣٣٧١) وقال: غريب. وسئل سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته، ما صحة حديث الدعاء مُنْجُ الْعِبَادَةِ؟ فأجاب قائلاً: «فيه ضعف، ولكن الصحيح (الدعاء هو العبادة)، أما الدعاء مخ العبادة ففيه ضعف ومعناه صحيح» شرح كتاب كشف الشبهات، ط. المؤسسة ص (٥٨).

وقال الشيخ الألباني رحمته إسناده ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٧٥)، وهداية الرواة برقم (٢١٧٢).

وكلاهما تَضَمَّنَتْ سورة الفاتحة، فإنها تَضَمَّنَتْ نوعي الدعاء، أولها دعاء العبادَةِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ③ ﴿هَذَا دَعَاءُ عِبَادَةٍ وَثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ. وَتَمَجِيدُ اللَّهِ ﷻ ④ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑤ هَذَا دَعَاءُ مَسْأَلَةٍ، تَسْتَغِيثُ بِاللهِ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَأَنْ يَجْنِبَكَ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ. هَذَا دَعَاءُ مَسْأَلَةٍ. لِذَلِكَ صَارَتْ هَذِهِ آسُورَةٌ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِمَا تَتَضَمَّنَتْهُ مِنَ الدُّعَاءِ بِنَوْعِيهِ، وَلِذَلِكَ فَرَّصَ اللَّهُ قِرَاءَتَهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنَ الصَّلَاةِ فَرِيضَةً أَوْ نَافِلَةً لِعَظَمَتِهَا، وَلِعَظَمِ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ نَوْعِي الدُّعَاءِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ السَّيِّئَ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» يَعْنِي أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ. الْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ فَهُوَ عِبَادَةٌ. وَحَتَّى الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ إِذَا قَصَدَ الْمُسْلِمُ بِهَا الْإِسْتِعَانَةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ صَارَتْ عِبَادَةً، تَتَحَوَّلُ الْعَادَةُ إِلَى عِبَادَةٍ. لَوْ بَامِ الْإِنْسَانِ فِي النَّهَارِ بِقَصْدِ ذَلِكَ أَنْ يَقْوَى عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنْ نَوَّهَ عِبَادَةً؛ لِأَنَّهُ نَوَى بِهِ الْعِبَادَةَ؛ وَلِأَنَّهُ اسْتَعَانَ عَلَى الْعِبَادَةِ.

فَالْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ: الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالتَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ. هَذِهِ كُلُّهَا عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّةٌ. وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالِاسْتِغْفَارُ. هَذِهِ عِبَادَاتٌ قَوْلِيَّةٌ. وَالصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ هَذِهِ عِبَادَاتٌ بَدَنِيَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ وَالزَّكَاةُ وَالتَّعَاوُنُ هَذِهِ عِبَادَاتٌ مَالِيَّةٌ. فَالْعِبَادَاتُ مَتَنوعَةٌ وَكَثِيرَةٌ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ① هـ.

(١) انظر: كتاب «العبودية» لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله

وقوله: (الدعاء هو العبادة) ليس معناه احصر، أن العبادة هي الدعاء فقط، ولكن معناها أن الدعاء هو أعظم أنواع العبادة، كما قال ﷺ: «الحج عرفة» يعني الوقوف بعرفة، ليس معنى ذلك أنك إذا وقفت بعرفة انتهى الحج، ولكن معنى قوله: «الحج عرفة» أي: أعظم أركان الحج هو الوقوف بعرفة.

وكذلك هنا (الدعاء هو العبادة) أي: أعظم أنواع العبادة الدعاء، ففيه فضل الدعاء وأنه أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [عمر. ٦٠] سُمِّاهُ عبادةً، وقال سبحانه: ﴿فَدَعُوا اللَّهَ حُضَيْدًا لَهُ الْدِّينَ﴾ [عمر ١٤] مخلصين له الدعاء، فهو عبادة وهو دين، وهو أعظم أنواع العبادة، مما يدل على أنه ينبغي للعبد أن يكثر من الدعاء، لأن الله جل وعلا يحث من عباده أن يدعوهم ويكثرُوا من دعائه ﷺ، والله جل وعلا يرضى أنك تلج عليه، وكل ما أكثرت من الدعاء فإن الله يحب ذلك، بخلاف المحذوق، المخلوق إذا طلبت منه شيئاً، وسألته بغضب عليك، أما الله جل وعلا إذا دعوته فإن يرضى عنك ويحب ذلك، ولهذا يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل تغضب

فالدعاء مقامه عظيم عند الله ﷻ، فيسبغ للمسلم أن يكثر من الدعاء في كل ما يحتاج إليه من أمور دينه، وأمور دنياه وآخرته.

(منح) امح: هو الخالص. الدعاء: هو خالص العبادة وأخصها وأعظمها^(١).

(١) قال لإمام ابن القيم رحمه الله في الموائد (١٤١ - ١٤٢): «أما من كل خير أن نعم أن ما شاء الله كد وما لم يشأ لم يكن، فتتقن حسنة أن لحسنات من نعمه، فتشكره عليها وتتصرع إليه أن لا يقصعها عنك، وأن السبب من خذلانه وعقوبته، فتشهر إليه أن حول سبب وسبب، ولا يكتف في فعل الحسنات وترك السيئات إلى بسبب».

فضل الدعاء

١٣ - وله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»^(١). وصححه ابن حبان والحاكم.

= وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله توفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبد. وأجمعوا أن التوفيق أن لا يتركك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك.

فإذا كان كل خير فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء ولافتقار وصدق اللأحأ والرعة والرهمة إليه؛ فمضى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مَرْتَجاً دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ، وَلَكِنْ هَمَّ الدُّعَاءِ». فإذا أَلْهِمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ.

وعنى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعنته؛ ولمعونة من الله تنزل على العبد على قدر همهم وثبتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين، يضع التوفيق في مواضعه الثلاثة له، والخذلان في مواضعه الثلاثة له، وهو العليم الحكيم، وما أتى من أتى إلا من قبل إصاعة الشكر وإهمال الافتقار والدُّعَاءِ، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقامه شاكراً وصدق لافتقار والدُّعَاءِ.

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (٣٣٧٠)، وابن ماجه في كتاب لأدب، باب فصل الدعاء، برقم (٣٨٢٩)، وابن حبان برقم (٨٧٠)، وأحمد في مسنده (٣٦٢، ٢)، والحاكم (١)، (٤٩٠)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، برقم (٨٦٧).

الشَّيْخُ

وهذا أيضاً فيه فضلُ الدعاء (ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء) فدل على أن الله يحب الدعاء. يحب من عباده أن يدعوه، ويفرح بذلك ويرضى عن صاحبه، فالعبد يُلحُّ في الدعاء، ولا يقنط ويقول: أنا دعوتُ ودعوتُ ولم يُستجب لي، نهى النبي ﷺ عن ذلك^(١)، عليه أن يدعو ولو لم يحصل له مطلوبه؛ لأنه لو دعا الله لم يخلُ من إحدى ثلاث حالاتٍ.

١ - إما أن يعجِّل الله له دعوته.

٢ - وإما أن يدَّخرها له في الآخرة في وقتٍ هو أحوَجُ إليها.

٣ - وإما أن يدفع عنه من السوءِ مثلها.

فدعاؤك لا يضيعُ عند الله ﷻ، ولكن الشأنُ في إخلاص الدعاء، وفي تجنُّب ما يمنع قبول الدعاء

وموانعُ القبولِ كثيرة، منها: أن يدعو الله بقلْبٍ غافلٍ، هذا لا يُستجاب له، لا بدَّ أن يكون قلبه حاضراً عند الدعاء، مقبلاً على الله ﷻ، ومن موانع الدعاء: أن يدعو الله وهو يأكلُ الحرامَ، أو يلبس الحرامَ، أو يشرب الحرامَ، كالحديث: «الرجل يطيلُ السفرَ أشعثَ

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٠)، ومسلم برقم (٢٧٣٥) عن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي (١١/١٤١): «وفي هذا لحديث أدب من آداب الدعاء وهو أنه يلازم الطيب ولا ييأس من الإجابة، ما في ذلك من الانقياد وإطهار الافتقار، حتى قال بعض السلف: لأننا أشدُّ حشية أن نُحرم الدعاء من أن نُحرم الإجابة.. وقال الداودي يُخشى على من خالف وقال: قد دعوت فتم يستجب لي أن يحرم الإجابة..».

ومنها: أُرِ يدْعُو بِإِثْمٍ أَوْ قُطِيعَةٍ رَحِمٍ، فلا يستجاب له؛ لأن هذا اعتداءً في الدعاء ولا يقبل منه، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف].



❖ قال سماحة الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله، في شرحه لهذا الحديث: «لَمْ يَسَّ السَّيِّئُ أَنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَمْرُوا بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، بَيِّنٌ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَخَافُ هَذَا الْمَسْئِلَةَ، فَلَا يَكُونُ أَكْبَهُ طَيِّبًا، بَلْ يَعْمَدُ إِلَى اكْتِسَابِ الْحَرَامِ وَاسْتِعْمَالِهِ فِي حَمِيعِ شُؤْنِهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَنْسُوعٍ وَعِدَاءٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ سَبَابِ عَدَمِ قَبُولِ دَعَائِهِ، مَعَ كَوْنِهِ أَمْرًا بِأَسْبَابِ قَبُولِ الدَّعَاءِ، رَهَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ السُّبُورِ مَعَ إِطَائِقَتِهِ، وَكَوْنُهُ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ، وَكَوْنُهُ يَمْدُ يَدَيْهِ بِالْإِعْدَاءِ، وَكَوْنُهُ سَادِي اللَّهِ رِبُونَتَهُ، مَعَ إِحْيَاةِ عَمَى رُؤْيِهِ تَكَرُّارَ ذَلِكَ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «فَأَنِّي يَسْتَجَابُ لِلذَّكَاءِ» اسْتِعْدَادُ حُصُولِ الْإِحْيَاةِ لَوْجُودِ الْأَسْبَابِ الْمُدْعَاةِ مِنَ قُبُولِ الدَّعَاءِ». انظر. كتب رسائل لشيخ عبد المحسن العدد (١٢٩، ٣).

استحباب الدعاء بين الأذان والإقامة

١٤ - عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ» ^(١). أخرجه النسائي وغيره، وصححه ابن حبان وغيره.

الشَّيْخ

الدعاء على قسمين:

القسم الأول: دعاء مطلق في كل وقت، وفي كل حل.

والقسم الثاني: دعاء محدّد موقت بأحوال أو بأوقات، يُسمّى الدعاء المقيّد.

ومنه هذا الحديث (الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ) فيُستحب أن يدعو الإنسان في هذا الوقت، بين الأذان والإقامة، يكثر من الدعاء ومن الاستغفار والتسبيح، والتهليل والتكبير والذكر، يُشغل الوقت ما بين الأذان والإقامة بذكر الله ودعائه، كثيرٌ من الناس يهتمون الدعاء بين الأذان والإقامة، ويُشغنون بتلاوة القرآن، تلاوة القرآن لا شك أنها عملٌ جليل، ولكن تلاوة القرآن لها وقتٌ آخر، كونك تستغلُّ هذا الوقت

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، رقم (٥٢١)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء في أن الدعاء لا سرد بين الأذان والإقامة، رقم (٢١٢)، والنسائي في السنن الكبرى، برقم (٩٨١٢)، وابن حبان برقم (١٦٩٦)، وأحمد في مسنده (١٥٥/٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم (٥٣٤)، وإرواء الغليل برقم (٢٤٤).

بالدعاء والذكر أفضل؛ لأن الدعاء المقيّد في وقته أفضل من الدعاء المطلق، تلاوة القرآن مطبقة في كل وقت، وهذا الوقت مخصّص للدعاء، فكونك تشغل بالدعاء والذكر والاستغفار أفضل من تلاوة القرآن في هذا الوقت، هذا ينبغي أن يُفطن له.

كما أن فيه الحثّ على التقدم للمسجد، بأن يكون هناك وقت يقضيه الإنسان قبل الإقامة يتجه للمسجد عند الأذان، بحيث إذا أذن هو في المسجد من أجل أن يجلس ينتظر الإقامة ويدعو، أما الذي لا يأتي إلا عند الإقامة أو بعد ما يفوت بعض الصلاة، فهذا تفوته هذه الفضيلة العظيمة، والفرصة الثمينة، فهذا فيه الحثّ على التقدم للمسجد والتفرغ للدعاء بين الأذان والإقامة.

وكذلك من الأحوال التي فيها الدعاء مستحب الدعاء في السجود، قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجدٌ، فأكثرُوا من الدعاء»^(١)، ولدعاء في آخر الصلاة قُلّ السلام، والدعاء بعد السلام من الصلاة أدبار الصلوات، كلُّ هذه أوقات للإجابة، والدعاء في الأسحار في آخر الليل بعد التهجد، هذا أيضاً يكون له فضيلة، ووقت النزول الإلهي حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول: «هل من داعٍ فأستجيب له، هل من سائلٍ فأعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له»^(٢).

فهناك أوقات لا ينبغي للمسلم أن يفوتها؛ لأنها خسارة عليه، فهو بحاجة إلى اغتنامها، ولكن الغفلة والإعراض والجهل كل هذا مما يبعد الإنسان عن ذكر الله، وعن الدعاء، وعن منافع نفسه.

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٢)

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسكرين وقصره، باب الترعيب في الدعاء والذكر آخر الليل والإجابة فيه، برقم (٧٥٨).

والاشتغال بالدنيا وأعمالها أيضاً يُشغل الإنسان عن استغلال هذه الأوقات العظيمة، وأعظم من ذلك الاشتغال باللهو واللعب ومتابعة القنوات الفضائية، هذا يشغل الإنسان عن ذكر الله وعن الدعاء وعن صلاة الليل، بل يُشغله عن صلاة الفجر، فهذه صوارف ومعوّقات تحرم الإنسان من هذه الفضائل العظيمة^(١).



(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «الوحي الحبيب وراعي الكرم الطيب» ص (٣٦) طبعة عالم العوائد. (قال بعض السلف: «إن آدم أتى محتججاً إلى نبيك من الدنيا وأتى إلى نبيك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنبيك من الدنيا أصعبت نبيك من الآخرة وكنت من نبيك الدنيا على خطر. وإن بدأت بنبيك من الآخرة فرت نبيك من الدنيا وتنظمتك تنظماً»).

فضل رفع اليدين في الدعاء

١٥ - وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(١). أخرجه الأربعة إلا النسائي، وصححه الحاكم.

الشَّحْخُ

هذا فيه وصف الله جل وعلا بالحياء، وهو وصف يليق بجلاله، ليس مثل وصف المخلوق، يستحي الله جل وعلا، وكُنْ حياءً ليس مثل حياء المخلوق (إن الله حيي كريم) وصف الله بالحياء والكرم، وصفان عظيمان لله ﷻ.

(يستحي من عبده أن يمد يديه فيردّهما صفرًا) وهذا فيه فضل الدعاء وفضل رفع اليدين في الدعاء، والأصل في الدعاء رفع اليدين، وهذا من أسباب الإجابة إلا في المواطن التي ثبت أن النبي ﷺ دعا ولم يرفع يديه فيها، فنحن لا نرفع أيدينا فيها، مثل بعد الصلوات المفروضة لم يثبت أن النبي ﷺ رفع يديه بعد الفريضة، وإنما كان يدعو بدون رفع اليدين، مثل الدعاء في التشهد الأخير، ما كان يرفع يديه ﷺ مثل رفع ليدنين بعد ما يقوم من الركوع، مثل ما يفعل بعض الجهال، هذا إنما هو

(١) رواه أبو دود في كتب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٨٨)، والترمذي في كتب الدعوات، باب، برقم (٣٥٥٦)، ومن مآجه في كتاب الأدب، باب رفع اليدين في الصلاة، برقم (٣٨٦٥)، والحاكم (٤٩٧/١)، وأحمد في مسنده (٤٣٨ ٥)، وصححه لألدي في صحيح سنن أبي دود، برقم (١٣٣٧).

في القنوت فقط، أما أنه إذ رفع رأسه وقال: ربنا ولك الحمد. يرفع يديه. هذه بدع ما أنزل الله بها من سلطان، ولأصل رفع اليدين مع الدعاء إلا في المواطن التي دعا فيها الرسول ﷺ ولم يرفع يديه، مثل الدعاء في خطبة الجمعة لا يرفع يديه في الدعاء إلا في الاستسقاء إذا دعا في خطبة الجمعة بالاستسقاء يرفع يديه، أما إذا دعا بغير الاستسقاء فلا يرفع يديه، هذه مواطن دعا فيها الرسول ﷺ ولم يرفع يديه فيها. وما عداها فإن الأفضل رفع اليدين في الدعاء، وهو سب للإجابة.

(فلا يردهما صفراً) يعني: خالبيين، يرفع يديه لربه الكريم فيردهما صفراً لا يستجيب له، هذا لا يليق بالله ﷻ؛ لأنه الكريم السميع المجيب، فلا يليق به أن يرد من دعاه إلا إذا كان عند أحد مانع من موانع الدعاء كما ذكرنا، أما إذا خلا من الموانع، ودعا بقلب حاضر، فإن الله لا يخيب دعاءه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [عمر ٦٠].

وهذا وعد من الله جل وعلا، ولا يحلف الله وعده ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ [البقرة ١٨٦] بهذا الشرط أنك تستجيب لله بطاعته وترك ما نهاك الله عنه حتى يستجيب دعائك.



حُكْم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء

١٦ - وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ»^(١).
أخرجه الترمذي وله شواهد منها:

١٧ - حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «عَنْ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ. وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ»^(٢).

الْتِمَاحُ

الحديث فيه حُكْم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء، وفيه أن النبي ﷺ كان يمسح وجهه، ولكن الحديث في سنده ضعف، ولكن يقول الحافظ: أن له شواهد من أحاديث أخر تجعله حسناً، يعني حسناً لغيره، والحسن: ما كانت مرتبته دون الصحيح، وفوق الضعيف، والحسن يُحتجُّ به، فمن رأى أن هذه الشواهد ترفع هذا الحديث إلى درجة

(١) رواه الترمذي في كتب الدعوات. باب ما جاء في رفع الأيدي عند الدعاء، برقم (٣٣٨٦)، والنزار في مسنده (٢٤٣/١)، وضعفه الألباني في الإرواء، برقم (٤٣٣).

(٢) رواه أبو دود في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٨٥) و(١٤٩٢)
* وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٨٢٦): «وفي إسناد حماد بن عيسى الجهني الواسطي، ضعفه الأكثر وتبعهم في «لتقريب» (١٥١١) وقال: ضعيف من التاسعة. مد سة ثمان ومائتين». اهـ ونظر: إرواء الغليل للألباني، برقم (٤٣٤)

الحسن. فإنه يرى مسح الوجه باليدين بعد لدعاء، ومن يرى أنها لا ترفعها: لأنها كلها ضعيفة لا تخلو من مقال^(١)، فلا ترتفع إلى الاحتجاج قال: لا يُمسحُ الوجهُ باليدين بعد الدعاء. والظاهر - والله أعلم - أن المسألة وسعة، فلا يُنكر على من مسح وجهه بيديه بعد الدعاء، ولا على من لم يمسح. المسألة فيها سعة والله الحمد.

قالوا. والحكمة في مسح الوجه باليدين بعد الدعاء كما في الحديث الذي قبله: «إن الله حييٌّ كريم يستحي إذا مدّه أحدكم يده بالدعاء أن يردهما صفراً»، فالمناسبة أنه لما كان الدعاء بهذه المثابة، وأن الله جل وعلا يضع في يديه من بركة الدعاء ولا يردهما صفراً يعني خاليتين، فهو يمسح وجهه من أجل هذا، من أجل بركة الدعاء الذي دعا به ربه ﷻ^(٢).

(١) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٥١٩/٢٢): «... وأما رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء فقد جاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة، وأما مسح وجهه بيديه فليس عنه فيه إلا حديث أو حديثان لا يقوم بهما حجة والله أعلم».

وقال الإمام البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (٢١٢، ٢) «فأما مسح الوجه باليدين عند الفراغ من الدعاء فليست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارجها، وقد روي فيه عن النبي ﷺ حديث فيه ضعف وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة، وأما في الصلاة فهو عمل لم ثبت بحر صحيح ولا أثر ثابت ولا قدس، فلا أولى أن لا يفعله، ويقتصر على ما فعله السلف ﷺ من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه...».

(٢) وللمريد من الفوائد في مسألة. (مسح الوجه باليدين بعد الدعاء) انظر كتاب: «جرء في مسح الوجه باليدين بعد دفعهما لدعاء» لفضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله.

فضل الصلاة على النبي ﷺ

١٨ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(١) . أخرجه الترمذي ، وصححه ابن حبان .

الشرح

مناسبة هذا الحديث - والله أعلم - لباب الدعاء ؛ لأن من آداب الدعاء أن يحمّد الله ، ثم يصلي على نبيه ، ثم يدعو ، وفي هذا الحديث فضل الصلاة على النبي ﷺ ؛ في أنّ من أكثر من الصلاة على لبي ﷺ أنه يكون قريباً منه ﷺ يوم القيامة في المنزلة .

وقيل : إنه تسأله شفاعته لبي ﷺ : «(أولى الناس بي) يعني : بشفاعتي أو (أولى الناس) يعني : أقرب منزلة .

فهذا الحديث فيه فضل الصلاة على النبي ﷺ ولا سيما في الدعاء ، وفيه مشروعية الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ ، وهذا من حقه

(١) رواه الترمذي في كتاب الوتر ، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، برقم (٤٨٤) ، وابن حبان برقم (٩١١) ، وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/٢٥٩) - حسن لغيره .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : «في هذا الخبر دليل على أن أولى الناس برسول الله ﷺ في القيامة يكون أصحاب الحديث ، إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه ﷺ منهم» .

انظر : التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان لعلامه الألباني رحمته الله (٢/٢٥٨) .

عليها. من حق الرسول ﷺ علينا أن نصلي ونسلم عليه؛ لأن الله أمرنا بذلك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

(١) وقد لعلامة ابن القيم في كتابه «جلاء الأفهام» ص (١٦٩) في معرض الكلام على صلاة الله وملائكته على رسوله ﷺ وأمر عباده المؤمنين أن يصلوا عليه بعد أن رد أن يكون المعنى الرحمة والاسنعقاد، و: «بل لصلاة اسماء بها فيها - يعني آية الأحزاب - هي الطيب من الله ما أخرجه عن صلاته، وصلاة ملائكته، وهي: شاء عليه، وإظهار لفصله وشرفه، وإرادة تكريمه وتقريبه، فهي تتضمن الخير والطيب، وشأن هذا السؤال والدعاء من نحن صلاة عليه لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه، والإشادة بذكر شرفه وفضله، والإرادة والمحبة لذلك من الله، فقد تضمنت الخير والطلب.

والوجه الثاني: أن ذلك سمي صلاة من سؤاات من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه: ثناؤه لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به» انتهى. وانظر كتب ورسائل الشيخ عبد المحسن العباد البدر (٦٢/٦).

«وأم معنى التسليم على النبي ﷺ، فقد قال فيه المحمديون في كتابه «الصلاة والبشر» «ومعناه السلام الذي هو اسم من أسماء الله تعالى عليك وتأويبه: لا حوت من الخيرات والبركات، وسمت من المكروه والافات؛ إذ كان اسم الله تعالى، ثم يذكر على الأمور توقعا لاحتجاج معنى الخير والبركة فيها، ونفء عوارض الخلل والفساد عنها.

ويحتمل أن يكون السلام بمعنى سلامة أي: ليكر قضاء الله تعالى عيبك السلامة، أي: سمت من الأعلام والنقائص.

فقد قلت: اللهم سلم على محمد. وإنما تريد منه اللهم اكسب محمد في دعونه وأمنته، وذكره السلامة من كل نقص، فتزداد دعوته على ممر الأيام عبوا وأمنته تكاثرا، وذكره «تقاعا» ذكره سماحة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد في مجموع كتبه ورسائله (٦٣/٦).

سيد الاستغفار

١٩ - وعن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ
الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ
وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ،
أُبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأُبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَأَعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ»^(١). أخرجه البخاري.

— الشَّيْخ —

وهذا الحديث فيه فضلُ هذا الاستغفار، سمّاه النبي ﷺ سيد
الاستغفار، والسيد: هو المقدم على غيره، فكونه سيد الاستغفار، أي:
هو أفضل الاستغفار؛ لأن السيد لا يكون إلا أفضل من غيره، فهذا
الاستغفار هو أفضل أنواع الاستغفار.

(اللهم أنتَ ربِّي) اللهم: هذا نداء، أصله يا الله، ثم حُذفت ياء
النداء وعُوّض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة، فصارت (اللهم أنتَ
ربِّي) اعترافٌ بربوبية الله وتوسلٌ إليه بربوبيته سبحانه، أي: أنت خالقِي
وما ليكي وأنت وليي.

(لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) أي: لا معبودَ بحق سواك، هذا توسلٌ إلى الله
بالتوحيد.

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم (٦٣١٦).

(خلقتني وأنا عبدك) خلقتني: لا خالق غير الله ﷻ. الله هو الذي خلقنا، وخلق الخلق كله، لا شريك له في خلقه، وكل ما سواه فهو مخلوق، خلقتني، أي: أوجدتني من عدم (وأنا عبدك) والعبد: هو المملوك، أي أنا مملوك لك، وأنا أعبدك وأتقرب إليك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) [المذريات].

والعبد على نوعين: عبد بمعنى مملوك، وعبد بمعنى عابد لله ﷻ، فالمؤمن يجتمع فيه الأمران: أنه مملوك لله، وأنه يعبد الله ﷻ، وأما الكافر ففيه المعنى الأول أنه مملوك لله، ولكنه لا يعبد الله ويشرك به.

(وأنا على عهدك) الله حل وعلا عهد إلينا أن لا نعبد إلا إياه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَسَىٰ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٦) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٧﴾ [يسرا]، هذا عهد من الله ﷻ أخذه على بي آدم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ولهذا تقرأ في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) هذا عهد، نُعاهد الله ﷻ في كل ركعة أن لا نعبد إلا إياه، ولا نستعين إلا به.

(ووعدك) حيث وعدت من عبدك بالجزاء.

(ما استطعت) هذا براءة من الحول ولقوة في أن أحداً لا يستطيع أن يعبد الله حقَّ عبادته، ولكنه يعبدُه بحسب استطاعته، وإلا فلا أحد يقوم بعبادة الله على الوجه الكامل؛ لأن الإنسان مخلوق ضعيف ولا يستطيع أن يعبد الله حقَّ عبادته، ولكن يعبدُه بحسب استطاعته.

(أعوذ بك) العوذ: هو الالتجاء، أي: ألتجئ بك (من شرِّ ما صنعت) من شر الذنوب والمعاصي، فأنت تستعيد بالله من ذنوبك، ومن سيئاتك أن يعذبك به، وهذا مثل قول النبي ﷺ: «ونعوذ بالله من

شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا»^(١). فمن وقي شر نفسه، وشر ذنوبه فإنه سعيد في الدنيا والآخرة.

ثم قال: (أَبِوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ) أبوء: يعني أقر وأعترف بنعمتك. حلاف الذي يحشد نعمة الله ﷻ وينكرها (أَبِوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) هذا اعتراف نعمة الله، وشكر لنعمة الله.

(أَبِوءُ بِذَنْبِي) أبوء: يعني أقر بذنبي، وهذا من التوسل إلى الله حل وعلا، بالاعتراف بالذنوب، كما قال آدم وحواء ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِلَٰهُ تَغَفَّرْ لَنَا وَارْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف]، فالعبد يعترف بذنبه ويطلب من ربه أن يغفر له، ولا يزكي نفسه، ويعجب بعمله.

(فاغفر لي) لما توسل إلى الله جل وعلا بهذه التوسلات، طلب منه المغفرة، والمغفرة: هي ستر الذنوب، من الغفر وهو الستر ومنه المعفر؛ لأنه يستر الرأس عن السهام.

(إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) هذا اعتراف بأن الذنوب لا يغفرها إلا الله، وإذا لم يغفرها فإنها تبقى على صاحبها، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فذنوبك لا أحد يعفيك منها إلا الله جل وعلا، لا يعفيك منها الخلق أو أي شيء إلا أن الله هو الذي يغفرها، فإن لم يغفرها فإنها تهلكك

(١) رواه أبو داود في كتاب السكاح، باب في خطبة السكاح، برقم (٢١١٨)، والترمذي في كتاب السكاح عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في خطبة السكاح، برقم (١١٠٥)، وابن ماجة في كتاب السكاح، باب خطبة السكاح، برقم (١٨٩٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (١٨٤٣) و(١٨٤٤)

وهذا فيه فصلُ هذا الاستغفار وأنه سيدُ الاستغفار. وأن الإنسان
يكثرُ من الدعاء به صباحاً ومساءً^(١).



(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الاستغفار يُجرح العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل النقص إلى العمل التمام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل. فإن لعبد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد علماً بالله وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله ويرى نقصه في حضور قلبه في مهمات العلية وعظائرها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار ليل الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائماً في الأحوال والأحوال. في اغوائب والمشاهد لما فيه من المصلح، وجب الحيرات، ودفع لمصبرات» مجموع الفتاوى (١١/٦٩٦).

من الأدعية الجامعة في الصباح والمساء

٢٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يُمسي وحين يُصبح: «اللهم إني أسألك العافية في ديني ودُنْيائي، وأَهلي ومالي، اللهم اسر عوراتي وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(١). أخرجه النسائي، وابن ماجه، وصححه الحاكم.

الشَّحْجُ

كان النبي ﷺ لا يدع هذا الدعاء حين يصبح، أي: يدخل في الصباح، وقت الفجر، وحين يمسي، أي: يدخل في المساء، كان يدعو بهذا الدعاء في أول الصباح، وفي أول المساء، فيسأل الله العافية في دينه ودنياه وأهله وماله.

(في دينه): يعافيه الله من البدع، والمعاصي والسيئات؛ لأن هذه الأمور تُنقص الدين أو تذهب به نهائياً، وبدأ بالدين؛ لأنه أهم شيء.
(وفي دنياه) يعافيه الله في دنياه من الفتن والشُرور، ويعافي أهله

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، برقم (٥٠٧٤)، والنسائي في كتاب الاستعاذة، برقم (٥٥٣٠)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، برقم (٣٨٧١)، والحاكم (٥١٧/١)، وأحمد في مسنده (٢٥/٢). وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه، برقم (٣١٢١).

زوجاته وأولاده، يعافيهُم الله جل وعلا من الأمراض، ومن السيئات والذنوب، فهذا فيه فضلُ الدعاء للأهل من الزوجات والأولاد والأقارب.

(ومالي) يعافيه الله في ماله، بأن يكونَ من الكسبِ الحلال، وأنه يصرفه في طاعة الله؛ لأنَّ لمالَ له أهميةٌ في اكتسابه من الوجوه المباحة وترك الوجوه المحرَّمة، وفي إنفاقه فيما ينفعك، ولا ينفقه في معصية الله، فمن عفاه الله في ماله فإنه يسلم من شرِّ كثير، والمالُ فتنة، فتنَّةٌ في اكتسابه، وفتنة في إنفاقه، فمن عافاه الله من فتنة المال فقد سَعِدَ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١) [التعنن: ١٥].

ثم سأل الله سبحانه بقية الأدعية. (اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي) استر عوراتي: العورات الحسبة والعورت المعنوية، يسترها الله ولا يفضح الإنسان بها، سترُ العورة الحسية هذا من حفظ الفرج، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون]، وقال سبحانه: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَرْكَنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ نِكْمٍ﴾ العورات، هذا من نعم الله ﷻ ﴿يُؤَرِّى سَوْءَ نِكْمٍ وَرِيثًا﴾ [الأعراف: ٢٦] وهو الزينة.

واللباسُ على قسمين: منه قسمٌ يستر لعورة، ومنه قسمٌ يجمل لهيئة. وهذا هو الريش، ثم نبّه على ما هو أحسنُ منه قال: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ لما ذكر لباس الحسي ذكر اللباس المعنوي، وأخبر أنه خيرٌ من اللباس الحسي، قد يكون الإنسان متجملًا في هيئته، ولكن يكون عاريًا من تقوى الله ﷻ. كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

(١) وكما قال الرسول ﷺ «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال»، روه الترمذي برقم (٢٣٣٦)، وأحمد (١٦٠/٤)، والحاكم (٣١٨/٤). وصححه الألباني رحمه الله في سلسلة الصحيحة، برقم (٥٩٢).

استر عوراتي الحسية والمعنوية، وهي الذنوب والمعاصي والمخالفات، يسترها الله، ولا يفضح الإنسان بها، فإذا سترها الله عليه فإنه يغفرها له، أما إذا فضحه بها فإنه يكون ذلك من الخزي والعار. وهذا من فضل الله أنه يستر علينا، ولو أنه فضحنا بدنونا، ومعاصينا لساءت حالتنا، ولأبغضنا الناس، ونفروا منا، فالله جل وعلا بمنه ستر علينا ويسر لنا التوبة^(١).

(وَأَمِنْ رُوعَاتِي) روعاتي: جمع روعة، وهي الخوف والفزع، يعني يؤمنك الله من الخوف، والخوف شديد والعياذ بالله، خوف الإنسان يجعله لا يطمئن ولا يستقر ولا ينام ولا يأكل ولا يشرب، ولا يتلذذ مع وحود لخوف، والأمن من أكبر النعم، نعم الله على عباده إذا أמו من عدوهم، وأمنوا من المحاذير استراحوا، فهو طلب من الله أن يؤمن روعاته في الدنيا والآخرة، وروعات الآخرة أشد، ولكن أهل الإيمان يأمنون من الفزع الأكبر، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، أما من خلا من طاعة الله فإنه ليس له أمن.

(واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي) يحفظك من المخاوف: لأبك محاط بالأعداء من كل جهة، شياطين الإنس والجن ونفسك الأمارة بالسوء، والشيطان نعهد قال: ﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، فاعدو محيط بك من كل جانب، والرسول ﷺ سأل الله أن يحفظه من هذه الجهات.

(١) أخرج أبو نعيم في الحية (٢١٥/١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «حذر امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أن أدري ما هذا؟ قلت: لا. قال: العبد يخلو بمعاصي الله ﷻ فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر..».

(احفظني من بين يدي) يعني: أمامي (ومن خلفي) يعني: من وراء ظهري (وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي).

ثم قال: (وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي).

الاغتيال: هو الهلاك المفاجئ، من تحتي: بالخسف، كما خسف بالأمم السابقة^(١)، خسف بهم الأرض وهلكوا، كما حصل لقوم لوط، وكما حصل لفرعون، وكما حصل لفرعون وغيره ممن اعتيلوا من تحتهم، قال جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسْبَغٍ﴾ [الأعام: ٦٥]. فأنت تسأل الله أن يحفظك من هذه المخاطر المحزنة بك.



(١) كما قال الله حَتَّ عِظْمَتِهِ. ﴿قُلْ أَعَدَّا يَدْبِقُ فَيَمْهَمُّ مِّنْ أَرْضِكَ عَلَوُ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْدَتِ الْفَيْحَكُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفَ بِهِ الْأَرْضُ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كُنَّا أَنَّهُ لِيُصْبِحَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

استحباب الاستعاذة من هذه الأربع

٢١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»^(١). أخرجه مسلم.

الشرح

هذا دعاء عظيم، يقول ﷺ في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك)، فإن الله قادر على أن يزيل النعمة بسبب الذنوب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم]، والنعم إنما تزول بسبب الكفر، إذا لم تشكر فإنها تزول، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أُنْعِمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُنْفِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال].

فالله إذ أعم نعمته لا يزيدها إلا بسبب من قبل العبد المنعم عليه، إن شكرها ثبت وزادت، وإن كفرها زلت. وأبده الله بها خوفًا وجوعًا، قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ...﴾ يعني كفر أهلها كفار قريش ﴿وَنَفَذَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَاكْفَرُوا﴾ [الحر ١١٢ - ١١٣]، فلما كفروا بسعم الله أزل الله نعمته، وهذا مهدد به كل من لم يشكر نعمة الله عليه.

(١) رواه مسلم في كتاب لرقق، باب أكثر أهل الجنة المقراء وأكثر أهل النار النساء، وبين الفتنة بالسوء، برقم (٢٧٣٩).

(وَمِنْ تَحَوُّلٍ عَافِيَتِكَ) تحوُّلُ عَافِيَةٍ إِلَى ضِدِّهَا، إِلَى الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ، تَحَوُّلُ الْعَافِيَةِ فِي الْبَدَنِ إِلَى الْمَرَضِ، الْعَافِيَةُ تَكُونُ فِي الْبَدَنِ تَتَحَوَّلُ إِلَى مَرَضٍ، وَتَكُونُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا تَتَحَوَّلُ إِلَى فِتْنَةٍ وَإِبْتِلَاءٍ وَإِمْتِحَانٍ.

(وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ) اسْتِعَاذَ بِاللهِ مِنْ جَمِيعِ سَخَطِ اللهِ، وَهَذَا فِيهِ وَصْفُ اللهِ بِأَنَّهُ يَسْخَطُ وَيَغْضَبُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ ^(١).



(١) قَالَ الْإِمَامُ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ تَحْفَةِ لَذَكْرَيْنِ ص (٤٦٠) عِنْدَ شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ: «اسْتِعَاذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِ شُكْرِهَا وَالْمُضِيِّ عَلَى مَا تَسْتَحِقُّهُ وَتَقْتَضِيهِ، كَالْبِخْلِ بِمَا تَقْتَضِيهِ النِّعَمُ عَلَى صَاحِبِهَا مِنْ تَأْدِيَةٍ مَا يَحِبُّ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ وَالْمَوَاسَاةِ وَإِحْرَاجِ مَا يَجِبُ إِخْرَاجُهُ.

وَاسْتِعَاذَ أَيْضاً رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِهِ سَبْحَانَهُ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ اخْتَصَمَهُ اللهُ بِسَبْحَانِهِ بِعَافِيَتِهِ، فَقَدْ ظَهَرَ بَخِيلُ الدَّارَيْنِ، فَإِنْ تَحَوَّلَتْ عَنْهُ فَقَدْ أَصِيبَ شَرُّ الدَّرَجَتَيْنِ، فَإِنَّ الْعَافِيَةَ يَكُونُ فِيهَا صَلَاحُ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَاسْتِعَاذَ ﷺ مِنْ فَحَاةِ نِقْمَةِ اللهِ بِسَبْحَانِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا انْتَقَمَ مِنَ الْعَبْدِ فَقَدْ أَحْلَى بِهِ مِنَ الْمَلَاءِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ، وَلَا يَسُدُّعُ سَائِرَ الْمَخْلُوقِينَ وَإِنْ اجْتَمَعُوا جَمِيعاً، وَالْفَجَاءَةُ مِنْ فَاجَأَةٍ مَفْحَاةٍ، إِذَا جَاءَ بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ أَلْ يَعْلَمُ ذَلِكَ.

وَاسْتِعَاذَ ﷺ مِنْ جَمِيعِ سَخَطِهِ، لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ إِذَا سَخَطَ عَلَى الْعَبْدِ فَقَدْ هَمَّ بِحَبِّ وَخَسْرٍ، وَلَوْ كَانَ السَّخَطُ فِي أَدْنَى شَيْءٍ وَبِأَسْرَ سَبَبٍ، وَلِهَذَا قَالَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»، وَجَاءَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ شَمَلَةً لِكُلِّ سَخَطٍ.

استحباب الاستعاذة من غلبة الدين وشماتة الأعداء

٢٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الْعَدُوِّ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»^(١). رواه النسائي، وصححه الحاكم.

الشَّحْ

استعذ ﷺ بالله من ثلاثة أشياء: من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء.

(غلبة الدين): أن تعجز عن سداذه، ثم يطالبك به أصحابه ويضيقون عليك، كما يقال: الدين سهر بالليل وهم بالهار، الدين خطير جدًا، حقوق الناس، والناس لا يعذرون، فالتبني ﷺ استعاذ بالله من غلبة الدين، وهو الدين الذي يعجز الإنسان عن سداذه، فيطالب به، ويكون

(١) روه النسائي في كتب الاستعاذة، الاستعاذة من عنة الدين، برقم (٥٤٧٥)، وأحمد في مسنده (١٧٣/٢)، والحاكم (١/٥٣١)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٥٤١)

* وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى في حاشيته على بلوغ المرام ص (٨٣٢): (وأخرج البحاري رقم (٦٣٤٧) واللفظ له ومسلم رقم (٢٧٠٧) رحمه الله عنهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَمِنْ دُرُكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ». وفي لفظ لمسلم رقم (٢٧٠٧) قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من جهد البلاء، ومن درك الشقاء، ومن سوء القضاء، ومن شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»

ذليلاً. ويحمله على الكذب وعلى الجبل حتى يتخلص من غريمه، فغلبة الدين يترتب عليها أمور سيئة كثيرة. ولا أقل من يسلم من الدين. ولكن إذا استدان يكون عنده سداد. أما إذا لم يكر عنه سداد فهذا هو موقع الخطر. وهذا مما يحث المسلم على الاهتمام بالدين، وأنه لا يستدين إلا عند الضرورة. وإذا استدان فإنه يبادر بالسداد حتى لا يعجز عنه في المستقبل. وقد جاء في الحديث: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها، أتلفه الله»^(١)، ففيه الاهتمام بالدين. استعاذ النبي ﷺ بالله من غلبة الدين.

(ومن غَلَبَةِ العدو) العدو إذا غلب أذلك، استهان بك، واستبح حرمته. لا يرحمك العدو إذا تغلب عليك، فأنت تستعبد بالله من غلبة العدو.

(ومن شِمَاتَةِ الأعداء) الشماتة، إذا علم الأعداء شيئاً من الغيوب أخذوا ينشرونه على الناس، ويفضحونك به، فالإنسان يتجنب ما فيه شماتة من التصرفات والأخلاق، ويعمل ما فيه ستر، وما فيه شرف له عند الناس، وعند الله، ويجتنب الأمور التي فيها شماتة وفيها ضرر عليه، والناس لا يرحمون، فلو أنهم علموا شيئاً من عيوبك لنشروه، فهذا فيه الاستعاذة من شماتة الأعداء، ومعناها أن الإنسان يتجنب الأمور التي يُشمت فيها، ويعاب بها. ويلزم الأمور الطيبة التي تكون شرفاً له وسترًا أمام الناس، لأن بعض الناس لا يبالي بالأمور السيئة والأخلاق الرذيلة والأشياء التي يُعاب بها، لا يبالي بهذا، وهذا شر له.



(١) روه البخاري في كتاب الاستفراض وأدب السيون... باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم (٢٣٨١)

التوسل إلى الله بالتوحيد

٢٣ - وعن بُريدة رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رجلاً يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(١). أخرجه الأربعة، وصححه ابن حبان.

❦ الشَّيْخ ❦

وهذا الحديث فيه مشروعية هذا الوسل إلى الله جل وعلا بالدعاء، التوسل إلى الله بالتوحيد، وتنزيه الله ﷻ عن العيوب، فهذا الرجل سمعه النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» هذا توسلٌ بالتوحيد، كما قل تعالى عن ذي النور ﷺ: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فيتوسل إلى الله بالتوحيد، بأنك أنت الله: لا معبود بحق إلا أنت. (الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد) هذا مأخوذ من سورة

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٩٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع ادعاء عن النبي ﷺ، برقم (٣٤٧٥)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب اسم الله الأعظم، برقم (٣٨٥٧)، وأحمد في مسنده (٣٤٩/٥)، وصححه لألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (١٣٤٢).

الإخلاص (الأحد): الذي لا شريك له ﷻ، بمعنى الواحد الذي لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، فهو واحد لا شريك له.

(الذي لم يولد) هذا فيه ردٌ على الذين قالوا بأن الله ولدًا، تنزيهٌ لله عن ذلك، وهم النصارى الذين قالوا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِي جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] جعلوا المسيح جزءاً من الله، تعالى الله عن ذلك؛ لأن الولد جزء من الوالد، والله جل وعلا لا ولد له، لأنه غني ﷻ، والناس كُهم عبادٌ له، والمسيح أَيْضاً، ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُعَرَّبُونَ﴾ [نساء: ١٧٢].

وكذلك فيه الردُّ على المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله، قال تعالى: ﴿وَعَبَّأُوا الْمَلَائِكَةَ آلِينَ لَهُمْ عِبَدٌ الرَّحْمَنِ نِسَاءً﴾ [الزخرف: ١٩] قالوا: بنات الله، تعالى الله عما يقولون، قال سبحانه: ﴿أَمْ أَخَذَ مِنْهَا بَحْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَحَكُمْ بِالْبَيِّنِ﴾ [الرحم: ١٦] ﴿وَعَبَّأُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحر: ١٢] لأنهم يكرهون البنات يدفعوهن وهن أحياء، ولم ينزِّهوا الله، فهم ينزهون أنفسهم عن البنات، ولا ينزهون الله، قال تعالى: ﴿وَعَبَّأُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ النِّسَاءَ﴾ [الحل: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿أَفَأَصْفَحَكُمْ بِالْبَيِّنِ وَأَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَاءً﴾ [الإسراء: ٤٠] هذا نزعمهم أن الملائكة ساءت الله، والله جل وعلا ليس له ولد، ولا أباء ولا بنات؛ لأن الوالد محتاجٌ إلى الأولاد، والله ليس به حاجة إلى أحد، والولد يشبه لوالده، والله جل وعلا لا شبيه له ﷻ، قال جل وعلا: ﴿أَفَنُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١] يعني زوجة، وأولاد يلزم منه وجودُ الزوجة، الله ليس له زوجة، قال

سبحانه: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] هو الخالق ﷻ.

(ولم يولد) ليس له بداية ﷻ، ما أحد قال: إن الله مولود، ولكن هذا من كمال التنزيه لله ﷻ، بأنه لم يلد، ليس له ولد، ولم يولد، ليس له أصل من الآباء والأمهات حل وعلا، أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، فلذي يولد هذا وجد بعد أن لم يكن.

(ولم يكن له كفواً أحد) لا شبيه له، الكفو: معناه الشبيه، والله جل وعلا لا شبيه له، ولا ند له، ولا مثيل له ﷻ، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] السمي: معناه اسمائيل والشبيه والنضير، فهذا تنزيه.

فهذا أولاً: أنه توسل إلى الله بالتوحيد، وثانياً: أنه توسل إلى الله بتنزيهه من العيوب والنقائص^(١).

(١) قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته في كتابه التحفة الكريمة ص (١٢٦). «وأما التوسل برحمة الله، واسمه الأعظم، وكلماته الثمانية، فهو توسل شرعي، قد دل عليه القرآن الكريم، والسنة المطهرة، في قوله سبحانه ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله ﷻ: «مر نزل منزلاً فقال: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»، رواه مسلم في صحيحه من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها. وهكذا التوسل بتوحيد الله، والإيمان به. وبالأعظم الصابحات: كل ذلك قد جاءت به السنة الصحيحة، كحديث أصحاب العار، وهو مخرج في الصحيحين، وكحديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يدعو في سجوده بقوله: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، حرجه مسلم في صحيحه (٤٨٦)». اهـ.

فقال رسول الله ﷺ: «لقد سأل الله باسمه الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى». فهذا الدعاء من أسباب الإجابة، وقد قيل: إن هذا هو اسمُ الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى؛ فيسحبُ أن يقدمَ الداعي هذا الثناء على الله في دعائه؛ لأن ذلك من أسباب الإجابة.



من أذكار الصباح والمساء

٢٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح يقول: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، وإذا أمسى قال مثل ذلك، إلا أنه قال: «وإليك المصير»^(١). أخرجه الأربعة.

الشَّيْخ

وهذا نوع من الدعاء الذي يقال في لصباح والمساء، كان ﷺ إذا أصبح، يعني: دخل في الصباح قال: «اللَّهُمَّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور».

(١) روه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٦٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإد أمسى، برقم (٣٣٩١). وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإد أمسى، برقم (٣٨٦٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٢٦٢) و(٢٦٣) و(٣٨٦٨).

* وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٨٣١): «وأخرج اترمدي رحمته الله برقم (٣٤٠١) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليقل: الحمد لله الذي رد عليّ روحي وعافني في جسدي وأذن لي بذكره» اهـ. وقد عزاه شارح الترمذي [تحفة لأخوذي ٣٤٧/٩] إلى الصحيحين ولم أجده فيهما، وهكذا ابن القيم رحمته الله في اللوابس ص (٢٠٥) والظاهر أنهما قد وهما.

وقد سه على ذلك أحونا العلامة محمد ناصر الدين الألباني في حاشيته على «الكلم لطيب» ص (٧٧) ولأح في الله بشير محمد عيون في حاشيته على اللوابس ص (٢٠٥).

(اللهم بك أصبحنا) أي: أنت الذي أحيتنا وأيقظتنا من النوم،
(وبك أمسينا) يعني: ندخلُ في المساء بإذن الله ﷻ، ولو شاء الله م
أصبحت ولا أمسيّت، وإنما هذا بتقدير الله ﷻ، وهذا فيه تفويض الأمر
إلى الله ﷻ.

(وبك نحيا، وبك نموتُ) المناسبة ذكرُ الحياة والموت أنه إذا قام
من انوم وهو المنة لضعف، تذكرُ الإحياء من الموت يومَ البعث.
(وإليك النشور) النشور: هو البعث من القبور.

(وإذا أمسى) يعني دخل في المساء كرّر هذا الدعاء مرةً ثانية (اللهم
بك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور)، وفي رواية: (وإليك
المصير)، أي: المرحع والمرء إلى الله ﷻ، فهذا فيه تذكُّر الرخوع
إلى الله ﷻ، وفيه أن العبد لا يخرج عن إرادة الله وقدره الله في صبحه،
وفي مساءه.



من جوامع الدعاء

٢٥ - وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخ

هذا في القرآن ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة]. هذا دعاء جامع لخيري الدني والآخره. ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حسنة الدنيا تشمل كل خير، حسنة في الرزق، حسنة في الأهل، حسنة في الولد، حسنة في لعمل، تشمل كل ما هو حسن ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة والنعيم والخلود والسرور، فهذا دعاء جامع ينبغي للمسلم أن يكرّره، ولا يقتصر على الدني فلا يدعو الله إلا بملأ الدنيا ويسى الآخرة، كحال الكفر الذين يقولون: ﴿فَمِنْ أُنَاسٍ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ كانوا إذا فرغوا من الحج يقفون ويقولون: اللهم اجعله عاماً خصباً، وعاماً ممطراً وعاماً وكذا وكذا، ولا يذكرون الآخرة^(٢).

(١) روه البخاري في كتاب لدعوات، باب قول لسي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» رقم (٦٣٨٩)، ومسلم في كتاب الذكر والسعاء وتوبة والاستغفار، باب فصل الدعاء اللهم آتني في الدني حسنة وفي لآخره حسنة وقد عذب انار، رقم (٢٦٩٥).

(٢) اطرو: تفسير ابن جرير وابن كثر للآية ٢٠٠ من سورة البقرة

أما أهل الإيمان فإبهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
 الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، وهذا هو الذي كان النبي ﷺ يكثر
 من الدعاء به؛ لأنه دعاء جامع لحيري الدنيا والآخرة.

وفيه أن الإنسان لا يقتصر على أمور الدنيا في دعائه، ولا يقتصر
 كذلك على أمور الآخرة، بل يدعو بصلاح دنيه وآخرته، لأن الدنيا مطية
 الآخرة، ومزرعة الآخرة، فيدعو لدنياه ولآخرته، هذا هو المشروع.



من جوامع الدعاء

٢٦ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئَتِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١). متفق عليه.

الشَّيْخُ

وهذا حديث عظيم، ودعاء جامع أيضاً (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي) يعني جميع خطيائي، وهي الذنوب، لأن المفرد إذا أضيف يعم، خطيئتي يعني جميع خطاياي.

(وجهلي) الجهل يطلق ويراد به عدم العلم بالشيء، ويطلق ويراد به عدم الحلم، هو يعلم ولكنه لا يحلم بل يكون فيه غشم. وفيه صلح وفيه جور. هذا جهل معناه: عدم الحلم:

أَلَا لَا يَجْهَلُ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾

[انساء ١٧]

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ»، برقم (٦٣٩٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والذكر والاستغفار، باب التَّوْبَةِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، برقم (٢٧١٩)

الجهالة: عدم الحلم والبصيرة، هذا الذي دعا النبي ﷺ أن يغفره له.

(وإسرافي في أمري)، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، الإسراف: هو عدم الاعتدال، والمطلوب لتوسط في الإنفاق، وفي القول والعمل، لا يسرف في أموره، بل يكون عدله اعتدالاً؛ لأن الإسراف إن كان في الإنفاق فالله لا يحب المسرفين، وإن كان الإسراف في غير الإنفاق فكذلك لأن الإسراف لا يؤول إلى خير.

(وما أنت أعلم به مني) فوض إلى الله جل وعلا؛ لأن الإنسان قد يسيء ويخطئ وهو لا يدري والله يعلم ذلك، فهو فوض الأمر إلى الله.

(اللهم اغفر لي جدلي وهزلي) جدلي بكسر الجيم، يقابل الهزل، والهزل: هو عدم الجد، جاداً: يعني قاصداً لشيء، أو هازلاً، يعني غير قاصد من باب المزاح، ومن باب الضحك، وقد يهزل ويضحك وهو يسيء لما بينه وبين الله، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَعَبٌ قُلْ أَبِإِنَّفَاقِهِمْ وَأَيْسُرُكُمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [النور: ٢٥]، فلا يجوز المزاح والضحك في أمور الدين، لا جاداً ولا هازلاً، فإن كان جاداً فالأمر واضح، وإن كان هازلاً فكذلك، لأن أمور الدين ليس فيها لعب وليس فيها مزاح، فالنبي ﷺ استغفر من الجد الذي هو قصد الشيء، ومن الهزل الذي هو عدم قصده، وهذا يدل على أن الإنسان يؤاخذ على الهزل.

(وخطئي وعمدي) وخطئي: وهو عدم التعمد، وعمدي: هو القصد والتعمد، مثل: هزلي وجدلي.

(وكل ذلك عندي) وكل هذه الأمور: الهزل والجد والخطأ والعمد، كله عند العبد العبد، لا يزكي نفسه، ويقول: لا، أنا م عندي

إلا خير، وإن لا يمكن أن أقع في خطأ، وأنا عندي علمٌ وصيرة، فلا يزكي نفسه، قال جل وعلا: ﴿وَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ تُفْقَرُونَ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرْكَبُونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ بُرْكَى مَن يَسْأَلُ وَلَا يُطْلَمُونَ فِتْنًا﴾ [الساء: ٤٩]، فالإنسان لا يركي نفسه، ويمدح نفسه.

(اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت) مما لا يرضي الله ﷻ، ما أخر من طاعة الله، وما قدّم من معصية الله.

(وما أسررت وما أعلنت) السرّ والعلانية، الشيء الذي يظهره عند الناس، والشيء الذي يخفيه عن الناس، ولكنه لا يخفى عن الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩]، فلو أن الناس ما دروا فالله جل وعلا يعلم، فيستغفر الله من المعصية في سرّ، ومن المعصية في الجهر.

(وما أنت أعلم به مني) لأن الإنسان قد يسيء وقد يخطئ وهو لا يدري.

(أنت المقدم وأنت المؤخر) هذا من أفعال الله ﷻ، أنه هو المقدم وهو المؤخر، فمن قدّمه الله فلا مؤخر له، ومن أخره فلا مقدم له.

(وأنت على كل شيء قدير) فوض الأمر إلى الله، لأن الأمور كلّها تحت مشيئته وقدرته ﷻ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهذا اعترافٌ بالعجز ولتقصير، وتمويضٌ إلى الله جل وعلا، وتوسلٌ إليه بقدرته العامة لتي لا يعجزه شيء.



دعاء عظيم لصلاح الدين والدنيا والآخرة

٢٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي
فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً
لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(١). أخرجه مسلم.

- الشُّحْ -

هذا دعاء عظيم كان النبي ﷺ يدعو به، لصلاح دينه، وصلاح
دُنياه وصلاح آخِرته (أصلح لي ديني الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي) فلا نَجَاةَ
لِلْإِسْد إِلَّا بِالْإِسْدِ، وإذا لم يصلح الدين لم تحصل له العِصْمَةُ، بل
يكون في الخطأ أو الزلل، (عِصْمَةُ أَمْرِي) من الخطأ ومن العاقبة السيئة،
تعصمني به من كل محذور.

(وأصلح لي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي) يسأل الإنسان الله صلاح دُنْيَاهُ
كما سبق، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً﴾ لا ينسى الدُّنْيَا؛ لأنه إذا صدحت الدنيا صدحت الآخرة، وإذا
فسدت دُنْيَاهُ فسدت آخِرَتُهُ، الآخرة مبنية على الدُّنْيَا، فيسأل الله أن يُصَحِّحَ
له دُنْيَاهُ، بأن تكون عوناً له على طاعة الله ﷻ، ولا أحد يستغني عن
الدُّنْيَا

(١) رواه مسلم في كتب الذكر والدعاء، باب التَّوَدُّعِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا
لَمْ يَعْمَلْ، برقم (٢٧٢٠).

(وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي) أي: مرجعي ومردي، بأن يجعله الله من الصالحين في الآخرة، ويلحقه بالصالحين؛ لأن أكثر الناس لا تصلح آخرتهم ولعياد بالله.

(واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر) هذا دعاء عظيم، أد الإنسان يسأل الله أن يجعل حياته، زيادةً له من الخير: «وخيركم من طال عمره، وحسن عمله»^(١)، فطول العمر إذا كان على طاعة الله فهو خير، وتزود من الخير.

(والموت راحةً لي من كل شر) وهذا فيه تفويض الأمر إلى الله، وأن الإنسان لا يدعو على نفسه بالموت، ولا يجوز تمنى الموت^(٢)، بل يسأل الله أن يحييه حياة طيبة، وأن يميته ميتة طيبة، يفوض الأمر إلى الله ﷻ.



(١) رواه البرمذي في كتاب الرهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، برقم (٢٣٢٩)، وأحمد في مسنده (٤/١٩٠)، وأبو يعيم في الحلية (١١١/٦ - ١١٢) من حديث عبد الله بن بسر المازني ﷺ قال: جاء أعربيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله»، وقال الآخر: أي العمل خير؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رحمه الله (٤/٤٥١) حديث رقم (١٨٣٦).

(٢) لأن النبي ﷺ سئل عن ذلك فقال: «لا يتمنين أحدٌ منكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» رواه البخاري برقم (٦٣٥١)، ومسلم برقم (٢٦٨٠).

الدعاء بالعلم النافع

٢٨ - وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بما عَلَّمْتَنِي، وَعَلَّمْنِي ما يَنْفَعُنِي، وارْزُقْنِي عِلْماً يَنْفَعُنِي»^(١).
رواه النسائي والحاكم.

٢٩ - وللترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه. وقال في آخره: «وَرِزْقِي عِلْماً، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»^(٢).

الشَّيْخ

(اللهم انْفَعْنِي بما عَلَّمْتَنِي) الإنسان قد يكون يَعْلَمُ، ولكنه لا يَنْتَفِعُ بعلمه، ويكون علمه حجةً عليه، ويكون كالحمارٍ يحملُ أسفاراً، يحمل العلم ولا يَنْتَفِعُ به، فليس المقصودُ العلم فقط، ولكن المقصودُ العلم والعمل، العلم الذي يَنْفَعُ، أما لعلم الذي لا يَنْفَعُ، فهذا لا يفيدُ صاحبه شيئاً، بل يكون من أول من تُسْعَرُ بهمُ لنار يوم القيامة، كما صرح في الحديث^(٣).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم (٧٨١٩)، والحاكم (٥١٠/١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٣١٥١).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في العموم والعرفية، برقم (٣٥٩٩)، وضعفه الألباني في «هدية الرواة» (٣/١٣٢).

(٣) يُشير الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥)، وأحمد (٣٢٢، ٢)، والبيهقي في سننه (٩/١٦٨).

(وَعَلَّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي) لَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَعْلَمْهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ،
كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [القرة: ٣٢]
أَنْتَ تَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْلَمَكَ مَا يَنْفَعُكَ، وَأَنْ يَنْفَعَكَ بِمَا عَلَّمَكَ.

(وَارزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي) مَا قَالَ عِلْمًا فَقَطْ، بَلْ قَالَ: عِلْمًا يَنْفَعُنِي،
الْعِلْمَ الَّذِي لَا يَنْفَعُ هَذَا حِجَّةً عَلَى صَاحِبِهِ.

فَهَذَا فِيهِ الْإِهْتِمَامُ بِالْعِلْمِ، وَأَنْ لِمَسْمُ يُسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَعْلَمَهُ مَا يَنْفَعُهُ،
وَأَنْ يَجْعَلَ عِلْمَهُ نَافِعًا لَهُ، وَلَا يَجْعَلُهُ حِجَّةً عَلَيْهِ

وَفِيهِ أَنَّ الْعِلْمَ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَنْفَعُ عَمَلٌ بِدُونِ عِلْمٍ بَلْ يَكُونُ
ضَلَالًا، وَلَا يَنْفَعُ عِلْمٌ بِدُونِ عَمَلٍ بَلْ يَكُونُ غَضًا مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَلِهَذَا
نَدَعُو: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿وَهُمْ
أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ﴾ غَيْرِ الْمَضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿وَهُمْ أَهْلُ الْعَمَلِ بِدُونِ عِلْمٍ
﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ بِدُونِ عَمَلٍ، فَلَا الْعِلْمُ يَنْفَعُ بِدُونِ
عَمَلٍ، وَلَا الْعَمَلُ يَنْفَعُ بِدُونِ عِلْمٍ، لَا بَدَّ مِنْ ارْتِبَاطِهِمَا مَعًا.

(وَرَزَقْنِي عِلْمًا) هَذَا فِي الْقُرْآنِ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]
فَالْإِنْسَانُ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ فَهُوَ جَاهِلٌ، مَا يَجْهَلُ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُ، فَلَا
يَقُولُ الْإِنْسَانُ: أَنَا أَنْتَهَيْتُ وَحَصَلْتُ عَلَى عِلْمٍ غَرِيرٍ، لَا، وَلِيَذْكُرَ قَوْلَهُ
تَعَالَى: ﴿وَقَوْكَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ [سجدة: ١٧٦]، فَأَنْتَ تَسْأَلُ اللَّهَ
الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ) وَهَذَا ثَنَاءٌ
عَلَى اللَّهِ جَرٍّ وَعِلَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَالْمُسْلِمُ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ،
حَالِ السَّرَّاءِ، وَحَالِ الضَّرَّاءِ، يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَيَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَحْوَالِ
أَهْلِ النَّارِ.



من جوامع الدعاء

٣٠ - وعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النبي ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا»^(١). أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان، والحاكم.

— الشَّيْخ —

وهذا دُعَاءٌ عَظِيمٌ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ لَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وهو تَعْلِيمٌ لغيرها من الأُمَّة، وَفِيهِ أَنَّ الدُّعَاءَ يَكُونُ تَوْقِيفِيًّا، لَا يَدْعُو الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ لَا أَصْلَ لَهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ فِيهِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، سِوَاكَ كَانَ يَلْفِظُهُ أَوْ بِمَعْنَاهُ، الْمَهْمُ أَنَّهُ لَا يَخْلُفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَائِشَةَ أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَنْ تَعُوذَ بِهِ مِنَ

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب الجوامع من الدعاء، برقم (٣٨٤٦).
وأحمد في مسنده (١٣٤/٦)، والحاكم (٥٢١/١ - ٥٢٢)، وابن حبان برقم (١٦٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٥٤٢).

الشرُّ كله، فالإنسان يسأل الله من الخير، ولا يقتصر على شيء معين، بل يفوض الأمر إلى الله، يسأل الله من الخير كله؛ لأن فضل الله عظيم، فيدعو الله من الخير كل الخير، لا بعض الخير فقط، ويستعيذ من كل الشر؛ لأن لشر ضررً قبيحاً وكثيره، فيستعيذ بالله منه جميعاً، ولا يتساهل بشيء منه، وأن تسأل الله من خير ما سألته رسول الله ﷺ، وتستعيذ بالله من شر ما استعاذ منه الرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ أعلم بربه، وأعلم بما ينفع، وما يضر، فهي تدعو الله بم دعو به الرسول ﷺ من الخير، وتعوذ به مما استعاذ منه الرسول ﷺ من الشر.

وتسأل الله الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، لأن الجنة هي غاية المطاف، ولكن الجنة لا تنال إلا بالأعمال الصالحة، ولهذا يقول: ما قرب إليها من قول صالح أو عمل صالح؛ لأن الجنة لا تُنال إلا بسبب العمل الصالح، وتعود من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل، فدل على أن النار لها أسباب، القول والعمل، القول السيئ، والعمل السيئ.

(وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قُضِيَتْهُ لِي خَيْرًا)، وتسأل الله حسن القضاء، أن يقدر الله لها الخير، ويقضي لها بالخير، لأن الأمر بيد الله ﷻ.

وهذا فيه أن الدعاء لا يعارض القضاء والقدر، فالأمر بيد الله ﷻ.



سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

٣١ - وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

الشيخ

هذا فيه فضل هاتين الكلمتين من ذكر الله ﷻ (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم).

(كلمتان حبيبتان إلى الرحمن) يحبهما الله ﷻ (خفيفتان على اللسان) ما تكلف الإنسان شيئاً، لأنها حروفٌ يسيرة.

(ثقلتان في الميزان) ثقلتان في ميزان الأعمال يوم القيامة، لأن يوم القيامة ترصع الموازين وتوزن بها الأعمال ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١١) ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٢) ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٣) ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (١٤) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (١٥) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (١٦) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (١٧) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِبَةٌ﴾ (١٨) ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (١٩) [الفارعة]، ففيه الميزان يوم القيامة، وهذا من عدل الله ﷻ، أن أعمال لعباده توزن بميزان حقيقي له كفتان، توصع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، هذا بالنسبة للمؤمنين الذين لهم

(١) روه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾، برقم (٧٥٦٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التسبيح والتنهيل والدعاء، برقم (٢٦٩٤).

حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ، أَمَا بِالسَّبِّةِ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ حَسَنَاتٌ فَقِيلَ: لَا تُوزَنُ أَعْمَالُهُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ حَسٌّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف، ١٠٥] وَإِنَّمَا يَدْخُلُونَ النَّارَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ، وَإِنَّمَا لَهُمْ حَسَنَاتٌ، هَؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَا حِسَابَ وَلَا عَذَابَ؛ لِأَنَّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ كُلُّ أَعْمَالِهِمْ حَسَنَاتٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ لِمُقَرَّبُونَ يَدْخُلُونَ احْنَةً بغير حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَسَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ تُوزَنُ حَسَنَتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، وَقِيلَ: إِنْ لَجَمِيعُ تَوَزَنُ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَالْوَرَنَ عَامٌ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، بَلْ جَاءَ أَدْ كَلِمَةً (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَثْقُلُ فِي مِيزَانِ الْعَدَدِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَطَاقَةِ، «أَنَّ رَجُلًا يَوْتِي لَهُ بِنَسْعَةٍ وَتَسْعِينَ سَجَلًا مَمْلُوءَةً بِالسَّيِّئَاتِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَنْكُرُ مِنْ هَذِهِ السَّجَلَاتِ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ، فَيَوْتِي بِبَطَاقَةٍ فِيهَا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَتَوَضَعُ الْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، وَالسَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، فَتَطِيرُ السَّجَلَاتُ، وَتَثْقُلُ الْبَطَاقَةُ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ^(١)»، فَالْكَلِمَةُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَهَا مَكَارٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ.

(سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) سُبْحَانَ اللَّهِ: مَعْنَاهَا تَنْزِيهِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ (سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ مَخْتَصِرَتَانِ لِهَمَا هَذَا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ

(١) رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي حَسَنٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَدْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، بِرَقْمِ (٣٦٣٩)، وَاسْ مَاحَهُ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ، بَابُ مَا يُرْحَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِرَقْمِ (٤٣١٠)، وَأَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ (٢)، (٢١٣)، وَحَاكَمُ (٦/١) وَ(٥٢٩)، وَصَحِّحَهُ الْأَنْسَابِيُّ فِي سِلْسِلَةِ الْأَحَادِيثِ، الصَّحِيحَةِ، بِرَقْمِ (١٣٥).

وختتم بهما المصنف رحمه الله هذا الكتاب، كما حتم البخاري رحمه الله صحيحه بهذا الحديث.

ونسأل الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعله حجةً لنا لا عينا، وأن يزيدنا من العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
ترجمة المصنف	١٩
باب الأدب	٢٥
يد حق المسلم على المسلم	٢٦
نظروا إلى من هو أسفل منكم	٣٤
ما جاء في تفسير البر والإثم	٣٦
من آداب المجالس ولاحتماعات	٣٨
ما جاء في النهي عن إقامة الإنسان من مجلسه	٤١
ستحباب لعق الأصابع والقصة	٤٣
من آداب السلام	٤٦
ما جاء في سلام لجماعة وردّهم	٤٩
لنهي عن ابتداء أهل الكتب بالسلام	٥٠
صفة نشمت وعطس وجواه	٥٢
من آداب الشرب	٥٤
من آداب اطعمم والشراب	٥٦
من آداب اللبس	٥٧
تحريم حر الثوب خيلاء	٥٩
من وصايا النبي الكريم ﷺ	٦١
بابه البز والصلة	٦٣
من فضائل صلة الرحم	٦٤
قطيعة ارحم من كباثر الدروب	٦٦
سنة خصال هي عنها النبي ﷺ	٦٩

- ٧٦ رض الله في رضا الوالدين
- ١٩ الإحسان إلى الجار
- ٨٢ أئ الذنب أعظم؟
- ٨٤ ما جاء في أن لتسبب إلى شتم لوالدين من لكبر
- ٨٦ تحريم ايهجر بين المؤمنين
- ٨٨ الترغيب في دار المعروف
- ٨٩ مستحب صلاة الوجه عند الملق
- ٩٠ المعروف إلى المحار ولو كان دلسر
- ٩٢ فضل السر والتيسر على المسلمين وقضاء حوائجهم
- ٩٥ فصل الدلالة على الخير
- ٩٦ حديث عظيم فيه ثلاث مسائل
- ٩٩ باب الزهد والزوع
- ١٠١ من اتقى الشبهات فقد استترأ لدية وعرضه
- ١٠٩ ما جاء في ذم الطمع في الدنيا
- ١١١ كن في الدنيا كأنت غريب
- ١١٤ لواجب على المسم أن يعتز بدينه
- ١١٨ ما جاء في فضل حفظ أوامر الله ونواهيه
- ١٢٤ من أسباب محبة الله عباده
- ١٢٦ من أسباب محبة الله للعباد
- ١٢٩ من حسن إسلام المرء
- ١٣٠ النهي عن السع والتنعيم بالدن
- ١٣٢ كن بني آدم خطاء
- ١٣٤ الصمت حكمة
- ١٣٦ باب الترهيب من مساوي لأخلاق
- ١٣٨ يياكم والحسد

الصفحة

الموضوع

١٤٢	إنما القوي الذي يملك نفسه عند الغضب
١٤٥	الظلم ظلمات يوم القيامة
١٤٨	التحذير من الشح
١٥٠	ما جاء في ذم الرياء
١٥٢	من علامات المنافق
١٥٦	النهي عن سباب المسلم وقتاله
١٥٨	الظن أكذب الحديث
١٥٩	جزاء من مات وهو غاش لرعيته
١٦٣	الجزاء من جنس العمل
١٦٦	وصية جامعة: لا تغضب
١٦٨	المال مسؤولية جعله الله لمصالح العباد
١٧١	نداء من الله سبحانه لجميع الناس
١٧٣	الغيبة كبيرة من كبائر الذنوب
١٧٦	التحذير من مساوئ الأخلاق
١٨١	ما جاء في الاستعاذة من بعض المنكرات
١٨٣	النهي عن المراء والمزاح وإخلاف الوعد
١٨٥	ما جاء في ذم البخل وسوء الخلق
١٨٧	ليس المؤمن بالسبّاب
١٨٨	لا يجوز للمسلم أن يضر أخاه المسلم
١٩٠	إن الله يُغض الفاحش البذيء
١٩١	ليس المؤمن بالطعان
١٩٣	النهي عن سب الأموات
١٩٤	لا يدخل الجنة قتات
١٩٦	فضل كف الغضب
١٩٨	ما جاء في بعض مساوئ الأخلاق

الصفحة

الموضوع

٢٠٠	ما جاء من الوعيد في تسمُّع حديث الآخرين
٢٠٢	وعدُّ كريم لمن شغلَّه عيِّه عن عيوب الناس
٢٠٣	تحريم الكبر والخِيلاء وإعجاب المرء بنفسه
٢٠٥	ما جاء في ذم العجلة
٢٠٧	ما جاء في ذم سوء الخُلُق
٢٠٨	بيان الوعيد الذي على اللِّئان
٢١٠	التحذير: من عيَّب الشخص بذنبه
٢١١	التحذير من الكذب ليضحك الناس
٢١٣	كفارة الغيبة
٢١٤	أبغض الرجال إلى الله!!
٢١٥	باب الترغيب في مكارم الأخلاق
٢١٦	الصدق من خصال الخُلُق الطيب
٢٢١	الحذر من الجلوس في الطرقات إلا بحقها
٢٢٤	فضل التفقه في الدين
٢٢٦	أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن
٢٢٧	الحياء من الإيمان
٢٢٨	الحياء من تراث الأنبياء
٢٢٩	ما جاء في فضل المؤمن القوي
٢٣٣	من تواضع لله رفعه
٢٣٥	فضل الذبِّ عن عرض المسلم
٢٣٧	ثلاث خصال من مكارم الأخلاق
٢٣٩	من أسباب دخول الجنة
٢٤٣	الدين النصيحة
٢٥١	ما جاء في أن التقوى وحسن الخلق من أسباب دخول الجنة
٢٥٣	حُسن الخُلُق مع الناس

الصفحة

الموضوع

٢٥٤	المؤمن مرآة أخيه
٢٥٦	فضل المخالطة وترك العزلة
٢٥٨	كان النبي ﷺ أكمل الناس خُلُقاً وخُلُقاً
٢٦١	باب الذكر والدعاء
٢٦٣	معية الله للمؤمن معية خاصة
٢٦٥	ذكر الله سبب في نجاة العبد من المهالك
٢٦٦	فضل مجالس الذكر
٢٦٨	المجالس التي تخلو من ذكر الله حسرة على أصحابها
٢٦٩	فضل التهليل عشر مرات
٢٧١	فضل التسبيح
٢٧٣	من فضائل التسبيح والتحميد
٢٧٦	ما جاء في تفسير الباقيات الصالحات
٢٧٨	أحب الكلام إلى الله
٢٧٩	كنز من كنوز الجنة
٢٨١	الدعاء هو العبادة
٢٨٤	فضل الدعاء
٢٨٧	استحباب الدعاء بين الأذان والإقامة
٢٩٠	فضل رفع اليدين في الدعاء
٢٩٢	حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء
٢٩٤	فضل الصلاة على النبي ﷺ
٢٩٦	سيد الاستغفار
٣٠٠	من الأدعية الجامعة في الصباح والمساء
٣٠٤	استحباب الاستعاذة من هذه الأربع
٣٠٦	استحباب الاستعاذة من غلبة الدين وشماتة الأعداء
٣٠٨	التوسل إلى الله بالتوحيد

الصفحة

الموضوع

٣١٢	من أذكار الصباح والمساء
٣١٤	من جوامع الدعاء
٣١٦	من جوامع الدعاء
٣١٩	دعاء عظيم لصلاح الدين والدنيا والآخرة
٣٢١	الدعاء بالعلم النافع
٣٢٣	من جوامع الدعاء
٣٢٥	سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
٣٢٩	الفهرس

